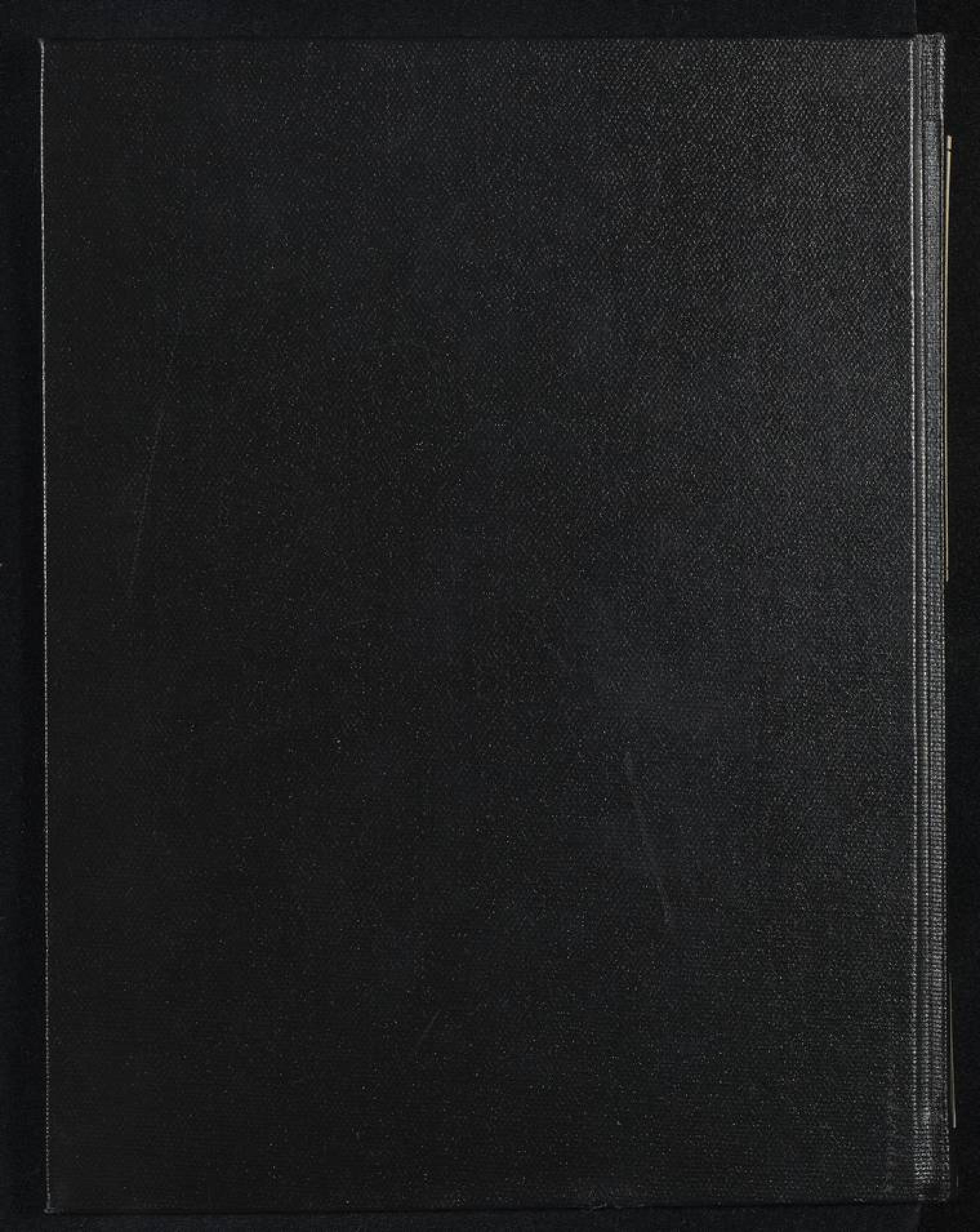






الخواطر

خطب ومقالات في الاجتماع والسياسة

بقلم

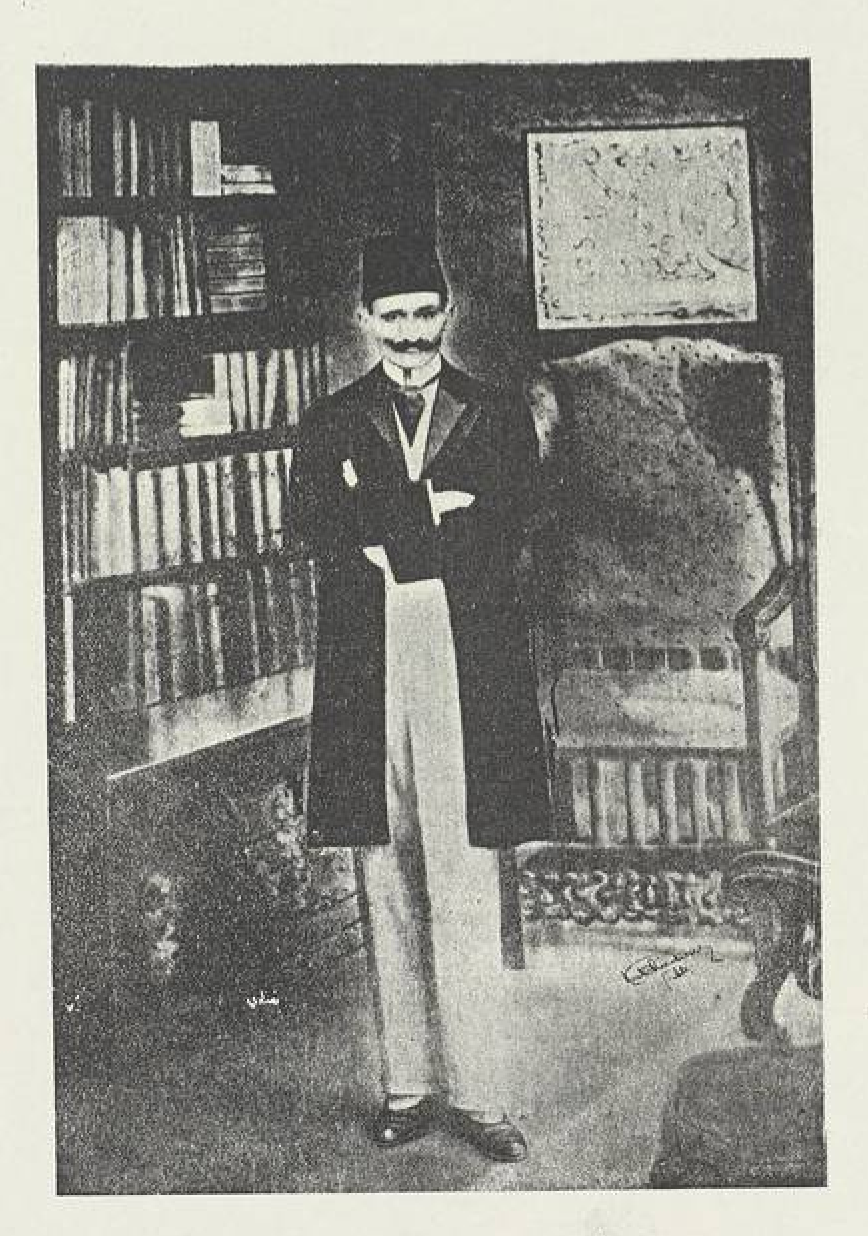
ابراهيم ابي خاطر



طبع لحساب جريدة « زحلة الفتاة »

= ثمن النسخة ليرة سورية =

مطبعة زحلة الفتاة



المرحوم ابراهيم بك ابو خاطر

عام ١٩٢٠

بيـــــــان

كثيراً ما اظهر امامي المغفور له والدي رغبته بان نضم اهم خطبه وابحاثه السياسية والادبية في كتاب يسهل حفظه واقتناؤه . وقد حاول بعد انتهاء الحرب الكبرى ان يتولى بنفسه جمعها ونشرها فلم يفلح لان جلّ تلك الاثار التي كانت تحتويها اعمدة الصحف واخصها جريدة « الخواطر » قد اضطرّ الى اتلافه في اثناء الحرب قبل ان يساق معتقلاً الى دمشق للمحاكمة امام المجلس العرفي بتهمة المؤامرة العربيـة المشهورة التي عزيت الى فريق من رجالات البلاد على رأسهم المغفور له شكري باشا الايوبي

وقد بلغت به هذه الرغبة حداً حملهُ عَلَى الاعلان عن استعداده لشراء اعداد « الخواطر » و« الاحوال » وما اليهما من الصحف من حافظيها ورغم ذلك لم يتمكن من العثور الا على نزرٍ يسيرٍ من تلك الابحاث

وما زالت رغبة والدي هذه تخالج نفسي وتستهو بني منذ يوم وفاتـه ، أضف اليها ما كنت وما برحت الاقيه دوماً من تشجيع اصدقائه وحافظي ذكراه وتحبيذهم لهذه الفكرة ، ومن تشجيع وعطف الذين تتبعوا حياته السياسية والادبية . وشاؤوا ان يروا فيها وفي ما كتب وقال مثالاً أعلى لما كانت عليه النهضة العربية اللبنانية في مطلع هذا الجيل وبعد اعلان الدستور

العثماني عام ١٩٠٨ على الاخص

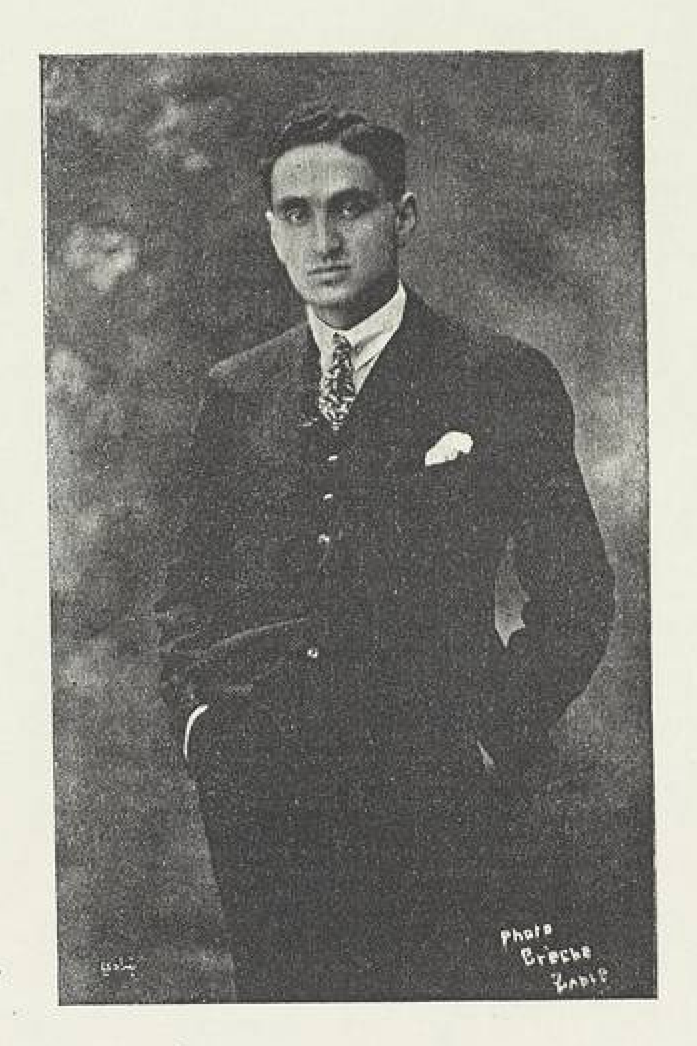
* * *

جميع هذه العوامل، مؤيدة بتقديسي لذكرى والدي الذي ملأت حياته وشخصيته الفذة بيتي فخراً واعتزازاً ، والذي كان وفياً لوطنه ، براً به، سيراً على سنة آباء وجدود جبلت دماؤهم بدماء هذا البلد الحبيب، مؤيدة باعجابي الشديد بطريقة كتابته وتفكيره، وبادبه العالي وثقافته ونضوجه السياسي – وطدت في نفسي العزم على جمع ما يتيسر من خطبه وابحاثه ولو كلفني الامر وقتاً وعناء كبيرين

* * *

وبينا انا منصرف الى التنقيب عن ذلك في مجموعات الصحف جاءني ذات يوم في بيروت احد اصدقاء ابي واصدقائي وبيده رزمة كبيرة فتحها امامي فاذا هي مجموعة اعداد «الخواطر» احتفظ بها الرجل تباعاً وابى وفاؤه لذكرى ابي الا ان يسلمني اياها . فاليه قبل اي شخص آخر عاطفة شكري وولائي

على انني اذا كنت قد وفقت الى العثور على القسم الاكبر من الابحاث الكتابية فان معظم الخطب بقيت مفقودة . واذا ذكرت ان المغفور له والدي عرف على الاخص كخطيب دانت له اعواد المنابر وكانت له في ايام مشهورة مواقف معلمة، من خطابه يوم اعلان الدستور الذي تغنى فيه بالحرية المطلة من فروق ، الى رثائه للمثلث الرحمات البطريرك الحريجيري، الى رثائه لنسيبه المرحوم حبيب باشا المطران في بعلبك، الى كلمته الجريئة المشهورة امام جمال باشا في زحلة يوم كانت المشانق تحز في رقاب احرار البلاد حزاً ، الى ما



الاستاذ جوزف ابو خاطر

سوى ذلك مما تتردد مقاطع كاملة منه حتى الان على شفاه الكثيرين من سامعيها في ذاك العهد . اذا ذكرت كل ذلك ، فقه القارىء معنى المرارة التي اشعر بها لفقدان القسم الاكبر من تلك الخطب

* * *

الى جانب ذلك أرى لزاماً عليَّ ان اخص بكلمة شكر ثانية حضرة العلامة المدقق الشهير استاذي عيسى اسكندر المعلوف صديق والدي وبيتي . الذي خصني في عملي هذا خلال سنوات متتابعة بعناية فائقة ومهد لي السبيل بما ارشدني اليه من ابحاث متفرقة في مختلف الصحف ، وما سلمني من كتابات كان يحتفظ بها في مكتبته الشهيرة والذي تولى كتابة نبذة عن حياة والدي بما عرف عنه من تدقيق تاريخي وتجرد وامانة

* * *

واذا كان لزاماً عليَّ ايضاً ان اتقدم بعاطفة شكري واحترامي للاستاذين الكبيرين نسيبي امام الصناعتين وامير الادب والاخلاق خليل بك مطران والكاتب الخطيب المفوه شبل بك دموس للمقدمتين الغاليتين اللتين توّجا بهما « الخواطر » فانه يلذ لي ان اوجه كلمة شكر خاصة لصديقي الصحافي الاديب الشهير الاستاذ شكري بخاش الذي بذل الكثير من وقته وقلبه في سبيل اخراج هذا الكتاب للناس

يرجع عهد ارتباطي بالرجل الى صباح يوم من شهر اذار سنة ١٩٢٢ وقف به في مدافن « البيادر » فوق ضريح ابي ورثاه بقطعة نفيسة من الادب العالي وبعبارات اثارت ويثير ذكرها فيَّ الدموع ، ومذ ذاك الحين وعلاقتي

به تزداد وثوقاً وصداقتنا المتبادلة تنمو . تلك الصداقة التي بلغت اليوم حدها الكبير والقائمة علىَ أميال وآمال، واحدة وآراء تكاد تكون واحدة في الاشخاص وفي القضايا العامة، والتي يمكنها في نفسي اعجابي باخلاقه النادرة وحصافته ووفائه

* * *

وبعد، فعسى ان يكون في نشر « الخواطر » ما تطيب له روح والدي في ثراه، وعسى ان اكون قد حققت آمال اصدقائه واصدقائي ومحبيه، وعسى ان يجد قراء « الخواطر » في طيات هذا الكتاب صدى ذلك العهد الجميل الغابر!

زحلة في ١٠ اكتوبر سنة ١٩٣٥

جوزف ابرهيم ابو خاطر



المرحوم ابرهيم بك ابو خاطر

بقلم العلامة عيسى اسكندر المعلوف عضو المجامع العلمية
في مصر ودمشق وبيروت

تمهيد في اسرته

ان اسرة هذا الفقيد نشأ اسلافها في اذرع (حوران) وعرفوا باسم بني الحاج نعمه من العرب المتنصرة فجاء من نسلهم بعض اخوة كانوا من خاصة آل مردم بك الذين أقطع جدهم مصطفى لالا باشا الوزير مربي اولاد السلطان املاكاً كثيرة في حوران وسورية ولبنان (وقد انتدبتني دائرة الاوقاف في سوريا لمراجعة كتاب اوقافه واوقاف زوجته جدتهم فاطمه خانم ابنة السلطان محمد بن السلطان قانصوه الغوري ملك مصر الذي قتله السلطان سليم العثماني في مرج دابق بحلب سنة ١٥١٦ م وطبعته واهدت الي نسخة منه) . فتفرق اولاد الحاج نعمة عَلَى القرى الكبرى في انحاء البلاد وكان ابو شلهوم لطيف احدهم في الفرزل فذكر اسمه سنة ١٦٢٧ م بزمن الامير فخر الدين المعني (كما في تاريخه الذي وضعته له صفحة ٢٤٩) ومن ذريته نشأ يوسف الملقب بابي خاطر وهو جد هذا الفرع في زحلة ومن نسله المرحومان عبدالله ابو خاطر وحنا ابو خاطر اشتهرا في حوادث زحلة ولبنان كما ذكرت في تاريخ زحلة الصفحة ٢١٤ ودواني القطوف (ص ٣٣٦) ومجلة الآثار (٥ : ٤٤٦) . ومن ادبائهم المرحومان الدكتور امين بك الذي

ذكر في مجلة المقتطف وفي مجلة الآثار (٤: ٤٦٨) وابرهيم بك الذي ذكر في مجلة الاثار ايضاً (١) (٥: ٤٤٦) وهذه كلمتي في هذا الفقيد الان :

نشأته

هو ابرهيم بن يوسف بن عبدالله بن جرجس بن يوسف الملقب بابي خاطر من آل لطيف الحاج نعمه ولد في زحلة في ٢٢ حزيران سنة ١٨٦٩ م ودرس مبادىء العلوم في المدرسة الاسقفية فيها ثم في المدرسة البطريركية في بيروت على الشيخ خليل اليازجي مدة سنتين وعاد بعدهما الى وطنه يدير املاكه ويطالع حتى اتقن العربية والفرنسية والمّ بالانكليزية وكان عضواً في جمعية (طلب المعارف) الزحلية التي اسسها الطيب الذكر الخوري بطرس الجريجيري (البطريرك بعدئذ) سنة ١٨٨٤ م في الدار الاسقفية للتمرن على الانشاء والخطابة وللفقيد بعض خطب فيها. اهّلته ليكون خطيباً كبيراً بعد ذلك حسن الالقاء والانشاء. وله مواقف تشهد له بحسن المحاضرة والجرأة بنزعة خاصة منها خطبه في تنصيب الجريجيري بطريركاً وفي مجيئه الى زحلة، وخطبته لمظفر باشا متصرف لبنان في وليمة اعدها له بزحلة وتكلم بالعربية والفرنسية فدعاه المتصرف الى خدمة الحكومة كما سترى وامام جمال باشا سنة ١٩١٦ اذ دافع عن السوريين امام محفل حافل الى كثير من امثال ذلك وكان يتروى باعداد خطبه ومقالاته قبل اظهارها ولو طال العهد عليها.

---

(١) من كتابي (الاخبار المدونة والمروية في انساب الاسر الشرقية) وهو في اربعة عشر مجلداً كبيراً لا تزال مخطوطة



الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف

و كتب في الصحف وجريدة «الخواطر» وبقي يزاول الخدمة والصحافة الى ان مني بـداء عياء عبث بحياته الطيبة فمات مأسوفاً على ادبه مبكياً وذلك يوم الجمعة في ٣ اذار سنة ١٩٢٢ فاقيم له مأتم حافل ورثاه الادباء ومما رثيته بـه قصيدة ارسلت بها من دمشق لانني كنت طريح الفراش منها :

لفقدك قـد تفطرت المرائر ... وفجعت اليراعـة والمحابر
فترثيك الاقارب مثل صحبٍ ... وتبكيك المناصب والمنابر
فكم كابدت ضغط الداء حتى ... رجعت من المعارك فيه ظافر
وهـذا اليوم خانتك المنايا ... وعاد طبيبك المشهور حائر
فيـا آل الفقيد لقد نكبنا ... بفقد حبيبنا السامي المآثر

وختمتها بثلاثة ابيات ارسلتها بلسان البرق وفيها تاريخ الوفاة قلت فيها :

يروّع زحلة خطب جسيم ... بـه قطر الشآم الجار شاعر
بكى معنا الجميع وقد خسرنا ... خطيب منابر (منشي الخواطر)
وعزّانا من التاريخ تالٍ ... الى الفردوس ابراهيم خاطر

٤٣١ ‎ ٤١ ‎ ٣٨١ ‎ ٢٥٩ ‎ ١١٠

١٩٢٢

رحمه الله وعزى اسرته والادب على فقده

حياته السياسية

نزعت نفسه الى السياسة لمطالعته صحف اوربة فنصب بعهد مظفر باشا سنة ١٩٠٢ عضواً لاستئناف الجزاء ثم مفتشاً للمجالس البلدية في لبنان وانتقل

بعد شهرين الى منصب قائمية مقام زحلة اولاً سنة ١٩٠٣ وثانياً سنة ١٩١٣ وثالثاً بعد انتهاء الحرب العامة سنة ١٩١٨ وكان من المجاهرين بوجوب استقلال لبنان فخطب عن الزحليين باسم لبنان الكبير في ٢٦ آب سنة ١٩٢٠ وفي اواخر هذه السنة عينه الجنرال غورو عضواً في لجنة لبنان الكبير الادارية

وله عند نشر الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ مواقف خطابية ومقالات في (الاحوال) و(لسان الحال) . وكان عضواً في جمعية الارزة في بيروت . ولما سافر الى باريس حضر مجالسها وسمع خطب كبارها فازداد خبرة بالسياسة فزاده ذلك حباً لها الى اواخر حياته

حياته الصحافية

ابتدأت حياته العلمية الصحافية بعد ان جاوز العقد الثالث من عمره فمن خطبه الادبية ما القاه في جمعية طلب المعارف بمسقط رأسه ومن مقالاته ما نشره او اعده لجريدته التي نوى تأسيسها كما حدثني مراراً بذلك

فانشأ في اواخر ك٢ سنة ١٩١٢ جريدته «الخواطر» اسبوعية موقتاً ثم نصف اسبوعية وبعد سنة حولها الى ثلاث مرات في الاسبوع واسس لها مطبعة وكان يحبر معظم مقالاتها ولا سيما افتتاحياتها . ثم بعد سنتين ونصف اسند تحريرها الى صديقه موسى بك نمور (صاحب جريدة «البلاد» الان) وكان يكتب بعض مقالات فيها كلما سنحت له الفرصة لاشتغاله بالسياسة كما سترى في هذا الكتاب

ولما شدد النكير على الصحف يوسف باشا فرنكو متصرف لبنان في

اواخر مدة متصرفيته سنة ١٩١٢ وورد الخبر بانتداب اوهانس باشا قيومجيان خلفاً له دعا الفقيد زملاءه الصحافيين الى عقد مؤتمر صحافي فعقدنا اول جلسة في عاليه في ١٩ شباط سنة ١٩١٣ برئاسته والثانية في بعبدا والثالثة في فرن الشباك ثم في نزل بسول بمدينة بيروت . وكان الغرض من هذا المؤتمر تأليف نقابة صحافية والبحث في المسألة اللبنانية فقررت المطاليب ونشرت في الصحف . وعلى ذلك عاد الفقيد قائم مقام لزحلة . وتقلبت به الايام كما سبق الكلام بين السياسة والصحافة الى وفاته

الختام

هذه لمعة من سيرة الوطني المقدام الذي احسن نجله الاستاذ اللوذعي بجمع آثاره في هذا الكتاب (الخواطر) وقد عرض علي فكرته فنشطته لابرازه مطبوعاً وارشدته الى بعض المصادر التي ساعدته على عمله واوقفته على ما عندي من ذلك القبيل . حفظ الله هذا النجل الفاضل مع اسرته الكريمة خير خلف لخير سلف ورحم الله فقيد الوطن والصحافة والادب واجزل ثوابه وافاد المطالعين بافكاره التي جمع هذا المؤلف معظمها بمنه وكرمه

زحلة في ت١ سنة ١٩٣٥

عيسى اسكندر المعلوف



مأتم المرحوم ابرهيم بك ابي خاطر

في زحـــلة

قالت «زحلة الفتاة» في عددها الصادر في ٨ آذار سنة ١٩٢٢ تحت عنوان :

موكب الموت

سيبقى الخامس من اذار يوماً مشهوداً في تاريخ هذه المدينة · فلقد أقيم فيه للموت موكب عزّ مثيله · وودعت زحلة عميدها الكبير · وركنها الخطير · وأودعت ترابها الرجل الذي طالما باهت به الرجال

ما أشرقت شمس ذلك اليوم المشؤوم حتى كانت الجماهير من زحلة والبقاع قد ازدحمت في دار الفقيد وحوالى الدار · وقد ذكرنا هذا المأتم المهيب بالمآتم الشهيرة التي يعرف لبنان ان يقيمها لكبار رجاله

* * *

كان الفقيد ملازماً الفراش في بيروت منذ أسابيع بجانبه المرأة الفاضلة التي كانت أحنّ عليه من نفسه· وكأن منيته ساقته الى مسقط رأسه فغادر بيروت الى زحلة وما كاد يصل الى داره حتى فاضت روحه بعد ساعات قليلة من مساء الجمعة

ولقد طيّر منعاه الى جميع انحاء البلاد· فلما انتهت البرقية الى دولة الحاكم العام قدم الى اللجنة الادارية وابن الفقيد بابلغ العبارات وكان قد رثاه

حضرة داود بك عمون رئيس اللجنة وحضرة حسن بك بيهم وحضرة اوغست باشا اديب السكرتير العام بعبارات مؤثرة ثم أوقفت الجلسة عشر دقائق حداداً على الفقيد وقررت اللجنة ارسال وفد مؤلف من حضرة عمر بك الداعوق و بطرس بك كرم وابرهيم بك حيدر لحضور المأتم

وقبيل ظهر الاحد كانت المدينةُ باجمعها ووفود قرى البقاع قد ازدحمت حيال دار الفقيد فوصل اعضاءُ اللجنة واموا المنزل لتعزية أسرة زميلهم الراحل . ولما ازف موعد الجنازة تقدم الموكب سيادة المطران بولس عقل الموفد من البطريركية المارونية وسيادة كيرللس مغبغب مطران زحلة وسيادة باسيليوس قطان اسقف بيروت

وسار تلامذة المدارس الزحلية صفوفاً مرتبة تتقدمهم الاكاليل وسارت وراءهم جمعيات الطوائف الثلاث بشاراتها تتبعهم الموسيقى بانغامها المؤثرة فجماهير الشبان يرددون آيات النواح عَلَى الطريقة العربية المألوفة وقد حملوا النعش على الاكف وحملت بعض النساء السيوف والرماح وعليها الشارات السود

اما عربة الاموات فكانت محاطة بفرقة من الجنود الناكسي السلاح يتقدمهم حضرة الضابط الشيخ خليل الخازن ووراءها شقيق الفقيد وانجاله ومستشار اللواء الاداري ممثل الحاكم ووفد اللجنة الادارية ومتصرف اللواء وعموم الموظفين والوجهاء وجمهور لا عداد له والكلُّ متهيبون خاشعون تجول في مآقيهم الدموع

و بعد الصلاة وقف سيادة المطران بولس عقل وابلغ أسرة الفقيد تعزية

غبطة البطريرك الماروني وأبّن الراحل بابلغ العبارات وتلاه سيادة المطران باسيليوس قطان بآيات مؤثرة ثم ودّعه سيادة صديقه اسقف زحلة بعبارات بليغة صادرة من صميم القلب

وسار الموكب الى رابية البيادر وراء السراي حيث مدفن آل ابي خاطر . وهنالك ازدحمت الجماهير لتوديع الميت الكبير قبل ان يوارى به التراب فالقى المسيو فونفرايت مستشار اللواء تأبيناً افرنسياً عرّبه الاديب اسكندر رياشي ثم نثر الاديب جوزف ابي خاطر دموع قلبه فوق ضريح ابيه والقى بطرس بك كرم رثاءً جميلا بالنيابة عن اللجنة الادارية وتتالت التآبين فتكلم رئيس تحرير « الفتاة » والادباء فؤاد ابي عربيد وقيصر بك معلوف وشبل دموس و يوسف بشاموني مستنطق زحلة ووديع فرح وندره بردويل وميشال ابي خالد وطانيوس ابي غانم من مشغرا وحبيب بستاني رئيس الحزب اللبناني في مصر الذي القى تأبينه بالافرنسية نظراً لوجود ممثل المفوضية العليا ومستشار اللواء . ثم وقف الاديب عبدالله ابي خاطر شقيق الفقيد وناجى اخاه الراحل بما اثار الشجون وشكر للجمهور مؤاساتهم في المصاب الاليم

وغادرنا البيادر بعد ان دفنا فيها إمام الادباء وفخر الخطباء

ولقد تهافتت برقيات التعزية على ارملة الفقيد وأسرته من جميع انحاء لبنان وسوريا وأخصها برقية من فخامة الجنرال غورو في باريس ورسالة من حضرة القومندان كانونج رئيس الغرفة السياسية في المفوضية العليا الذي أوفد مندوبه لتمثيل المفوضية في المأتم ، وبرقية من غبطة البطريرك

غريغور بوس حداد ، ودولة القومندان ترابو حاكم لبنان ، ودولة حقي بك العظم حاكم دمشق، وحضرة داود بك عمون رئيس اللجنة الادارية، وحضرة حبيب باشا السعد

وان «الفتاة» التي اكبرت الخطب وقد كان الفقيد ممن تتباهى الصحف بتزيين أعمدتها بآياته تودعه بدمعة حارة وتتقدم الى حضرة ارملته الثكلى وانجاله الكرام والصديق شقيقه وعموم أسرة ابي خاطر بواجب التعزية سائلين الله ان يخفف من آلامهم و يداوي جرحهم ببلسم من عنده انه السميع المجيب !





المراثي

رثاء المرحوم داود بك عمون

رئيس اللجنة الادارية

— مأخوذاً عن محضر جلسة اللجنة في ٣ اذار سنة ١٩٢٢ —

على اثر افتتاح الجلسة فاه سعادة الرئيس داود بك عمون بالخطاب التالي :

زملائي الاعزاء

انعي اليكم بمزيد الاسف احد زملائنا المرحوم ابرهيم بك ابي خاطر فشدّ ما كان تأثري عندما انتهى اليّ هذا النبأ الاليم . واننا لنكبر المصاب فيه ولا سيما اننا منينا بفقده في الوقت الذي كان يمكن ان يؤدي للوطن العزيز خدمات جليلة . تقلب الفقيد الكريم في مناصب عديدة فكان القائمقام النشيط والقاضي البصير النزيه والمحامي المفوه والعضو الممتاز في اللجنة الادارية . برهن في جميع المناصب على نزاهة نادرة واباء نفس ومقدرة ادارية وحقوقية . ولقد اتيح لنا ان نقدر ما تحلى به من الصفات الجميلة والسجايا الفريدة . فقد كان بعيد النظر متوقد الذهن واسع الاطلاع ذلق اللسان قوي الجنان . كان وطنياً غيوراً وصديقاً صدوقاً . لم يعرف الفشل في الشؤون الوطنية ولم ينطو صدره على حسد فقد كان مجداً في وطنيته مجداً في صداقته ورغم ضعف صحته كان يكابر على نفسه لحضور جلساتنا ومشاركتنا في اعمالنا وقد رزئنا فيه بعضو من خيرة اعضاء اللجنة رحمه الله رحمة واسعة واسكنه فسيح جنانه والهم آله الصبر والسلوان



اللجنة الادارية في قصر البارك في بيروت

وقد ظهر في الصف الامامي الجنرال غورو وعلى يساره المسيو روبر دي كه فحسن بك بيهم وعلى يمينه داود بك عمون فابرهيم بك حيدر فابرهيم بك ابو خاطر

ثم وقف حسن بك بيهم فاعرب بكلام موثر عن مشاركة اللجنة رئيسها فيما ابداه من الاسف والاطراء

ونهض ايضاً سعادة السكرتير العام فاعرب عن اسف الحكومة وتعزيتها بالفقيد الكريم الذي كان من اشد الناس غيرة على وطنه واصدقهم في خدمته

وبناءً على اقتراح سعادة الرئيس انتدبت اللجنة السادة عمر بك الداعوق وبطرس بك كرم وابرهيم بك حيدر لتمثيلها في الجنازة وقررت ارسال برقية تعزية الى عائلة الفقيد

ثم رفعت الجلسة عشر دقائق حداداً

ولما اعيدت الجلسة حضر دولة الحاكم فقال انه اتى ليقدم بنفسه التعزية للجنة الادارية لانه اذا اصيبت عائلة بفقد احد اعضائها يجب ان تلم شعثها وتتأسى وقال انه ارسل برقية تعزية الى عائلة الفقيد وسيرسل من يمثله في الجنازة

فشكرت اللجنة الى دولة الحاكم هذه العاطفة الجميلة



رثاء المسيو فونفرايت

«مستشار لواء البقاع الاداري»

ايها السادة

بالتأثر الشديد الذي ألمَّ بكلٍّ منكم لدى تبلغه نبأ الشؤم بموت الرجل الكبير الذي نبكيه باجمعنا جئت باسم دولة الحاكم العام الذي انتدبني لتمثيله في هذا المأتم المهيب وقد حالت قوى غالبة دون حضوره بالذات وباسم سكان هذا اللواء على اختلاف طوائفهم اقول كلمة الوداع لنائبكم وممثلكم ابرهيم بك ابو خاطر

ان الفقيد قد كرس ايامه لخدمة المصلحة العامة بالحرارة التي تعرفونها فيه وقد خدم وطنه الذي يحبه محبة عظيمة خدمات ساطعة

وان علومه العالية ومعرفته العربية والافرنسية معرفة ممتازة وذكاءه التام كل ذلك قد وضعه للحال في المقام الاول بين رجال اللجنة الادارية حيث رأيتموه يبحث بنشاط وحكمة في الشؤون المختلفة بمقدره نادرة باحثاً عن اكثرها تعقداً ليهيئ لها حلاً . وكل الذين سمعوه محدثاً كما سمعته انا لا يزالون مسحورين ببلاغة بيانه

كان له خصوم كثيرون واقوياء في مدينته وهي شيمة كبار الرجال ولكن هل من شهادة اجمل نؤديها اليوم للزحلي الكبير من بكائنا عليه اجمعين ونحن من كل مذهب وجماعة . وهل من امثولة اجلّ من هذه الامثولة

الصالحة التي نستمدها اليوم، امثولة الوفاق التام والاتحاد الصافي في سبيل خدمة بلادكم الجميلة

عندما احسّ ابرهيم بك ابو خاطر بدنو ساعته ادار عينيه الى جبله العزيز وجاء اليه ليسلمه انفاسه الاخيرة بعد ان قضى حياة عملية لمصلحة بلاده وتربية اولاده

ان الخطب عظيم لاسرته ومدامته التي لم تكن لها التعزية الكبرى بان تغمض بيديها عينيه . واني احني الرأس باحترام امام حزنها العظيم واشاطرها الاسى باسم جميع الوطنيين

فالوداع يا عزيزي ابرهيم بك جعل الله تراب المدينة التي احببتها كثيراً خفيف الوطأة عليك !



رثاء الاستاذ شكري بخاش

رئيس تحرير « زحلة الفتاة »

انا الموت !
مواكب الاجيال تتبعني
ورايات الحيـاة من راياتي
شبحي رهيب . الملوك عبيدي
والناس باجمعهم اليَّ راجعون !

* * *

انا الموت !
معجزتي معجزة . وشوكتي مرعبة
تتدهور العروش . و يتبدل التاج والصولجان
وعرشي فوق كل العروش تحيط به مواكب الاجيال
جنودي الوزراء والقواد . وجنودي دود التراب
بصولجاني تصطدم الفلسفة . وامام شوكتي يرتجف فكر المفكرين
ويخرس لسان ربّ البيان !

* * *

انا الموت !
مدينتي مدينة القبور . من رخام او صخور

انغامها التنهدات · ونداها الدموع وعيدانها الرفش والمعول
عاصمتي عاصمة العواصم · حدودها اللانهاية · آفاقها الابدية · وادي الجماجم واديها

سواء فرشتم منازلي باكاليل الزهور
ام علا مراقدي الحشيش والعنكبوت
فانا الهاوية · انا اللغز الذي حار فيه البيان
وكان ابلغ سحره السكوت !

* * *

انا الموت !

تعاقبت المدنيات والتواريخ · ولمعت بابل ونينوى واورشليم واثينا وروما ومكة وباريس ولندن وبرلين ونيويورك · وانا مرفرف بجناحي فوق كل مدنية ومدينة · وكل تقليد وتاريخ

ضفاف دجلة والفرات تعرفني · وكل الانهار السائرة نحو البحار تسمعني اناشيد المرور الى القضاء المحتوم!

* * *

انا الموت !

انا الجسر الفاصل بين المشرق والمغرب
انا الممرّ المبدل الشفق بالغسق
انا المعيد التراب الى التراب
انا النهاية لابناء الحسّ والمادة

انا جسر الخلود للمؤمنين بالارواح ابناء الخلود !

* * *

انا الموت !

امامي يتساوى الجبار والصعلوك

امامي تتلاشى الضغائن والاحقاد

على عتبة بابي ملتقى الطرق. فانا مفرق الطرق نحو الله. والله عادل ورحيم!

* * *

انا الموت !

وراء هاويتي سرّ الخلود

وسماء الله في قلوب المؤمنين

كامواج البحار تموت لدى الشاطىء، هكذا كلكم تتموجون نحو شاطىء الموت يا ابناء الحياة !

* * *

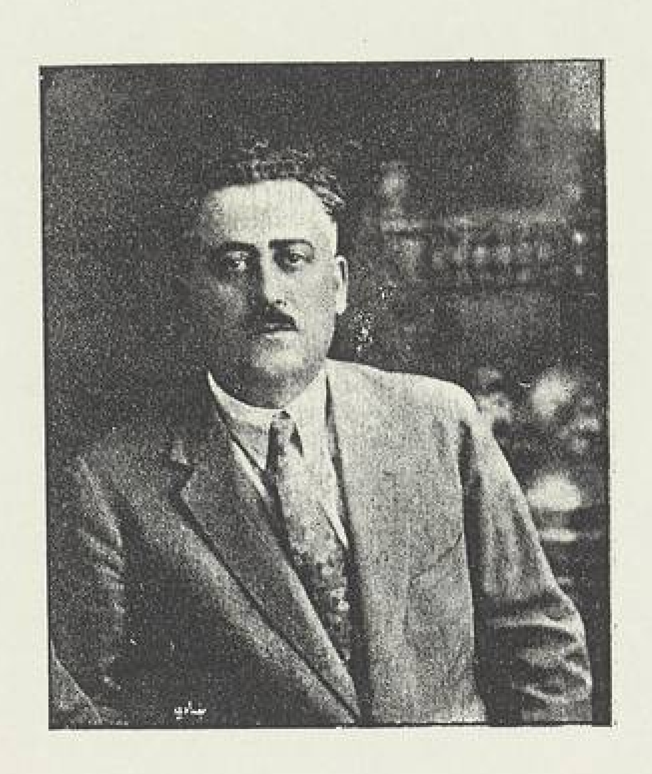
أُحاول يا ربّ الفصاحة والبيان ان اودعك بما أُوتيت من البيان. واحاول حلّ طلاسم الموت. وبياني غارق في بحر بيانك الذي اغرقه الموت

الى اين نحن سائرون ايها القائد الراحل. يا وريث مجد الاجـداد. وموصل الامجاد بالامجاد

الجماهير حول نعشك ملتفة. فقم وقل «ايها القوم» !

الناس آتون اليك. فانهض وحلّق ايها النسر وقل «ايها الناس»!

الشرق باجمعه اليوم ناهض فقم وخاطب الجر بجيري وقل له: «ما تلك



الاستاذ شكري بخاش

التي بيمينك يا موسى !»

ايهاذا الذي كنت اذا نطقت سكتنا . يا إمام الادباء و يا فخر الخطباء انطقني الموت بوم مماتك . وتمنيت البيان بوم خرس بيانك

لقد كنتم ثلاثة اقمار في سماء واحدة . من مدينة الشمس الى زبدل الى زحلة طلعت اقمار ثلاثة خصها الله بسحرٍ من عنده

مات ندره مطران !

ومات سليم تابت !

ومات ابرهيم ابو خاطر !

و كانوا اذا عقدت المجالس فخر المجالس . و كانوا اذا اهتزت المنابر بلابل المنابر . و كانوا اذا دعت الوطنية حاملي اعلام الوطنية . تحترمهم البلاد وحكام البلاد ، و كانوا يحترمون أنفسهم وقومهم والبلاد

تنطفىء كواكب الشرق واحداً اثر واحد . ولكنَّ في الشرق اليوم روحاً يحييها الموت

لقد كنت يا عميد المدينة روحاً في جسم تعب في مرادها . غالبه الموت اعواماً طوالاً حتى تغلّب الموت ولكنك وانت حفيد عبدالله لم تشأ منازلة الموت في المعركة الاخيرة الا في ميدان زحلة . في تربة جدك الكبير يا كريم الاجداد والابوين

لقد ورثت مجداً خلّفه السابقون . فجمّلت الميراث بجرأة نادرة طالما اكبرناها . وذكاء عميق طالما سجدنا لآياته . ولولا ضعف في الجسد لكان لبنان باجمعه اليوم مصغياً اليك يا عروس عروس لبنان

نحن قوم في زحلة لا تفرقنا العواصف مهما احتدمت . ولا تفصلنا الارياح مهما تلاطمت . والمذاهب السياسية تتطاير للحال امام نسيم الوادي . فباسم هذا الوادي الذي كنت ركنه الكبير وممثله الخطير نودّعك الان ونبكيك بدم القلوب يا رجل الجد والسطوة والاقدام

باسم الكرامة الوطنية التي اجلّها فيك قومك والاجانب عن قومك نودعك يا عميد زحلة

ان لبنان الكبير في الشرق المتحفز للحياة بحاجة الى مثل جرأتك وحكمتك وخبرتك . وان الادب العربي يفتقر الى امير القلم وربّ المنبر . واذا كان الموت النقاد قد اختطف اقمارنا فان لنا في بنيك خير التعزية . واننا سائرون الى النور والحياة في طريق الخلود التي انارتها سماؤكم في قلوب المؤمنين . في ارواحهم المتصلة بارواح الخالدين !



رثاء الاستاذ شبل دموس

يؤلمني كثيراً ايها الوطنيون ان اراني واقفاً على قبر الراحل العزيز اشهد دفنه في التراب · انني اتألم كوطني حين ارى نابغة من نوابغ البلاد وهم قليلون جداً جثة هامدة لا حراك بها · انني اتألم كزحلي حين ارى درة زحلة اليتيمة مخطوفة بيد الموت ويد الموت عابثة بها وحين ارى رجلها الكبير ممثلها في كل موقف عصيب وفي كل موقف ذي فخار ثاوياً في ظلمة هذا القبر الضيق · انني اجزع كصديق سلبته المنية صديقه وحالت بينه وبين خطاب ذلك الصديق فحل اليأس في الصدر محل الرجاء وانقطع كل امل بااللقاء

حري بنا ايها الوطنيون في مثل هذه الساعة ان نقف صامتين متهيبين فان في السكوت خطبة بليغة بها لا بسواها يوفى الفقيد حقه من الرثاء والتأبين · أليس من اللائق ان تصمت الالسنة امام امير الخطباء وقد اخرس الموت لسانه أليس من واجب ارباب الفصاحة التزام جانب الصمت تهيباً واجلالاً للفصاحة الراقدة في نومها الابدي · نعم ايها الوطنيون ان السكوت اليق بالحالة ولكن من منا يطيقه · اننا نلجأ الى التأبين والبكاء تخفيفاً للوعة المصاب فان زحلة برمتها شاعرة اليوم بالفراغ الهائل الذي احدثه الموت بيننا حين سلبنا الكنز الثمين والرجل الذي تتمنى كل قرية ومدينة في لبنان وسوريا ان يكون لها مثله شجاعاً تصغر عند اقدامه المخاطر وحكيماً تصغر بحنكته وحكمته الكبائر

حسناً فعلت البلاد وحسناً فعلت الحكومة التي على راس البلاد بارسال الوفود المحتشدة في هذا المأتم المهيب · ان البلاد والحكومة التي على راسها

تقتسمان الحزن مع المدينة التي انبتت الفقيد وما ذلك الا لان الخسارة الفادحة لا يمكن حصرها بهذه الحاضرة بل هي خسارة تلحق باللواء كله لا بل بلبنان لا بل بسوريا قاطبة

سيما والبلاد في دور التأسيس وهي تتطور امة وهي بحاجة شديدة الى كل عاقل و كل عامل مهما كانت منزلته فكيف بها وقد خسرت بالفقيد قطباً من اقطابها المقدمين ونابغة من نوابغها القليلين وزعيماً مؤيد الرأي بين ابنائها المفكرين

اريد ان اعزي عائلة الفقيد الكريمة وآل ابي خاطر اجمع ولكنني ارى من الواجب بالدرجة الاولى ان اعزي نفسي والمدينة على اختلاف نزعاتها السياسية ومشاربها الاجتماعية واميالها المحلية وذلك لانني من الذين يعتقدون ان الرجل الكبير هو لامته ومريديه كما هو لآله وبنيه .

فعزاء ايها الناس اجمعون فسوف يطول الزمان ولا تسمعون لابن ابي خاطر صوتاً ولا تصغي آذانكم لابرهيم خطيباً يأخذ بمجامع قلوبكم ومشيراً يحملكم بفصاحته الى حيث يريد فتسيرون مقودين باراء سديدة على خطط رشيدة وكاني بروحه ترفرف الان فوق جماهيركم المحتشدة وقد هاجها ما رأته من استعظامكم الخطب فهبطت على صديقي وصديق الفقيد وصديقكم الاديب شكري بخاش ففاه بالتأبين الذي سمعتموه . التأبين الذي استقبلته اذهانكم كأنه الوحي هابط من السماء ملأت اياته القلوب تهيباً وخشوعاً وعندها كان يجب السكوت لولا ان علي واجباً للفقيد لا بد من القيام به

وانتم يا ابناءه واخوانه قد ترك رحمة الله عليه امامكم مسلكاً وعراً

وذروة باسقة لا ترتقى ، لقد كان جدكم عبدالله سناماً في البلاد ولكن الفقيد كان الذروة العليا التي ترام ولا تنال على انه اذا فاتكم ادراك شأوه في المعالي فلا يفوتكم اقتفاء آثاره والاهتداء بهديه والاستضاءة بسنى مناره

اما انت ايها الراحل العزيز فقد قمت بواجبات الحياة الوطنية والاجتماعية قياماً تعجز عنه الجبابرة فوالله ما رأينا قبلك جباراً يصارعه المرض العضال والالم المنهك للقوى و يعجزان عن صده عن قصده او ان يحولا دون قيامه بوعده او وفائه بعهده ولا رأينا قبلك رجلاً سليم العقل في جسم معتل . لله درك قد كنت آية في البيان آية في صفاء الذهن وصلابة الجنان آية بصحة العزيمة آية في الصبر والتجلد لا تقعد بك عن قصدك ملمة ولا يتضعضع ازاء المخاطر لك وطر . فنم آمناً في حضن امك هذه الارض امنا اجمعين فهي ابر بك من بنيها واشفق عليك من جميع من عليها رحمك الله رحمة واسعة . اننا نذخر لك في صدرنا حسن الاحدوثة والذكر الجميل ما دامت هذه التلال قائمة ترى ذرية اخوانك ابناء هذا الوادي وهم يتعاقبون في اجيالهم



رثاء عبدالله بك ابي خاطر

شقيق الفقيد

يا اخي — تمثلتك واقفاً بالامس امام جثمان ابيك تودعه الوداع الاخير وترثيه بقطرات قلبك حاذياً حذو الاعراب الذين كانوا يرثون موتاهم بقلوبهم المتألمة المفجوعة فقلت في نفسي اذ ذاك ربي افجعني بعمري قبل ان تفجع العائلة بهذا الاخ الفريد فهو ببيت ابيه ابر ولخدمة ذويه ووطنه اكفأ واولى فما شاء سبحانه وتعالى الا ان اجرع هذه الغصة فيك ويخسر وطنك بفقدك احد نوابغه المتفردين

يا اخي — ولا ابالغ اذا عددتك بين نوابغ بلادك ولا اغالي اذا ميزتك بينهم ذكاء وعلماً وعلو همة فقد طالما تطاير من دماغك الجامد الان شرر كان للناس نوراً وهداية وقد طالما خط قلمك مقالاً اتى مبرزاً سباقاً شهد لك به القريب والبعيد وتغزل بمطالعته وترداده الادباء والمفكرون

يا اخي — اما امرأتك فثكلى واما بنوك وذووك فمتضعضعون حائرون لفقدهم خير الاباء والسند واما مواطنوك فشاعرون بالفراغ الذي احدثه رحيلك ذاكرونك عند اصطدام الحوادث ووقوع الملمات

يا اخي — تمنيت ان ارى لك موقفاً صغيراً وقفته في حياتك لاعيبك عليه او عملاً شائناً يسيء السمعة ويشوش الشرف لاذكرك بعهدك لابيك فما كنت يوماً لمتمناي محققاً بل كنت طول مدة حياتك ذياك الابي الانوف الذي لا ينام على ضيم ولا يخفض رأسه لخدمة ولا يصده في سبيل خدمة

وطنه عن قول الحق وعود ووعيد . و كم اود ان تقف الان بيننا لحظة فتلقي علينا من منطقك البليغ بياناً عن ماضيك وعمر قضيت اكثره بالتغني بامجاد دولة الحرية والنور فلما ان تحققت امانيك بمجيئها واحلتك عندها المحل الذي يليق بعلمك واخلاصك رزح جسمك العليل تحت عبء نفسك الكبيرة وجهادك العجيب

سر يا اخي في طريقك الذي اخترته لنفسك فالاسف شامل عليك ولا سبيل لي ولو اختنق الصوت الا ان ارفع عبارة الشكر والامتنان باسمي واسم عائلتي لفخامة وكيل المندوب السامي ولدولة الحاكم العام وغبطة مولانا البطريرك كبير البلاد وعمادها الاوحد لتنازلهم بارسال مندوبين لمشاطرتنا الاسى على فقيدنا الراحل ولا انسى وفد اللجنة الادارية وسعادة رئيسهم الفاضل الذين كانوا موضوع اعجابه وافتخاره

اما سادتي واخواني المؤبنون وجميع المواطنين الذين لطفوا اللوعة بصيب اقوالهم المؤانسة فلهم شكرنا العميق ولا بلاهم الله بمكروه ولا فجعهم بعزيز انه رحيم بالقلوب المتصدعة شفيق بروح ابرهيم يسكنها فسيح جنانه ويحلها برعايته وهو السميع المجيب!



المرحوم ابرهيم بك ابو خاطر

الزعيم — الكاتب — الخطيب

بقلم الدكتور يوسف حريز نزيل باريس

لي كلمة في الفقيد اربأ بها ان تكون اول كلمة زلفى قلتها في الزعيم الراحل كما اني اضن بنفسي ان تكون الكلمة اداة شامت متحامل فذاك اخر سلاح يعمد اليه منصف في كلامه عن ميت اطاعه البيان في ما كتب وعنت له له البلاغة في كل ما استرعى السمع وخطب

اما الزعيم فلبس في طول البلاد وعرضها حزب سياسي له خطة معروفة ونظام متبع يطلق على القائم به هذا الاسم بل جل ما هنالك فئات متعددة لا يأخذها الاحصاء تفرق بينها او تضم بعضها الى البعض الاخر صلات دينية او مطامع توظيفية او دواعٍ نفعية او اهواء شخصية او انانية سحقاً لهامن انانية!

فاذا انطلق زعيمهم المزعوم بلسان لم يتعودوا سماعه وعمد الى لغة واساليب في التعبير والتشويق لم تألفها آذانهم ولم يكن لهم بها سابق معرفة وانتظر منهم ان تدور بينهم كلمة الخلاص وان يلتفوا حوله كالبنيان المرصوص كان ذلك مدعاة الى انتفاضهم من حوله وتفرقهم عنه لان الجديد من هذه الاساليب انما هو ناجع ومجدٍ في الاحزاب الناضجة التي تعلم ان قيمة الزعيم هي على مقدار ما في صدره من ذكاء ودهاء وما في لسانه من ذرب وقوة عارضة لا على قدر ما على مائدته من مدعوين مختارين وغير مختارين

قال جرير يهدد الاخطل الصغير من قصيدة :

هذا ابن عمي في دمشق خليفة لو شئت ساقكم الي قطينا

فلما بلغت القصيدة عبد الملك الخليفة الاموي قال « ما زاد (جرير) على ان جعلني شرطياً » ! واحزابنا المزعومة ما زادت على ان جعلت الزعيم فندقياً طاهياً وبين المهنتين بون غير زهيد

على انه لم تكد تحل اقدام المنتدبين في البلاد حتى عرف كبيرهم بثاقب نظره شروط الزعامة المتوفرة في الفقيد فلم تكن الا عشية وضحاها حتى احله ارفع ما يطمح اليه امثاله اعني بذلك عضوية اللجنة الادارية وهو المركز الذي توفي عنه

ولم تكن غير جلسات قلائل في الهيئة المذكورة حتى ادرك زملاؤه فيها بعد غوره وسعة اطلاعه ووقوفه على احوال البلاد ومرافقها

وقد اخبرني بعض اخصائه بان حبيب باشا السعد الرئيس الحالي كان في طليعة المعجبين بالفقيد الراحل وان بينهما لوداً وثيق العرى

اما الكاتب — فقد كان غزير المادة غير مبتذل الاسلوب يتناول معانيه من مطالعة غير زهيدة من نخبة كتب اللغتين الافرنسية والعربية ومن خاطر متوقد شديد الملاحظة والانتباه ويصل الى اساليبه الرشيقة عن طريق محفوظ غزير من كبار ادباء العرب وعن سليقة غسانية وعروبة بادية

واول ما الفت انظاري اليه مقالة له ظهرت في جريدة « الاحوال » البيروتية عنوانها «الخال وابن الاخت» واراد بهما ادوار السابع فقيد الانكليز وابن اخته غليوم الامبراطور الخليع وكان ذلك قبيل اعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨

قد يعتاص علي ان اذكر الان تأثير تلك المقالة الممتعة ووقعها لدي ولكني لا يزال ماثلاً امامي إعجاب اساتذة الكلية الشرقية بها تلك الايام وتكرارهم قراءتها اعترافاً بعلو كعب كاتبها في الادب والسياسة الكونية الكبرى

وعلى ذكر تلك المقالة اقول ان الفقيد اخبرني في صيف ١٩١٤ انه تجلى له موضوعها خلال حديث طويل كان بينه وبين المسيو ستيفان لوزان احد رؤساء التحرير في جريدة الماتن الباريسية وكان ذلك في ادارة الصحيفة الفرنسوية المذكورة ايام كان الفقيد يستشفي في باريس منذ عشرين من السنوات تقريباً

وفي اوائل الحرب الكونية الاخيرة عاد فنشر مقالته تلك في جريدة «الخواطر» ولما لم يكن لديه نسخة منها جيء بعدد من «الاحوال» فيه تلك المقالة الممتعة محفوظة عند احد المعجبين بادب الفقيد ومقدرته السياسية وهو من ابناء زحلة

وكنت كالكثير من عشاق الادب الذين يعتقدون ان الفقيد انما ينشر ما يكتب بعد تسويد وتبييض وتنقيح وتصليح وانه كثير الصقل لما ينشر غير سيال القريحة ولا سهل التحبير

وظلَّ هذا اعتقادي حتى ساعدته في تحرير «الخواطر» صيف ١٩١٢ حين صدرت ثلاث مرات في الاسبوع وهناك رأيته يكتب المقالة تلو المقالة في مواضيع متعددة . منها طريقة الشيوخ بسياسة هذا الملك مثلاً وسواها فعدت كثيراً عن رأيي الاول فيه

اما الخطيب – فقد كان فيه فوق الكاتب لا ضعة بمقام الاخير ولكن اعترافًا بتفوق الاول

اجل لا يزال شيوخنا في الادب يذكرون للفقيد وقفات خطابية منذ ربع قرن تقريبًا كان فيها داهية المنابر، ذلك النسر الطائر، ويعزون ذلك الى العوامل والانفعالات الشديدة التي دبت في صدره عند سيامة الجريجيري بطريركًا وعندما عاجلت غبطته المنية فذهبت بتلك الامال الواسعة

ولا غرابة في ذلك فقد كان بين الراحلين العزيزين تفاهم روحي وصداقة متينة لاسباب اوجدها عطف الاستاذ المخلص في الخدمة والتعليم عَلَى التلميذ الساهر المبشر بالاقبال والمستقبل العظيم

على ان هنالك في مذهبي اسبابًا غير ما ذكرت جعلت تأثير الخطيب الفقيد كبيرًا وتركت لكلامه في الاذان دويًا عميقًا . هب انك في قاعة فسيحة الارجاء وقد ازدحمت فيها اقدام الحضور واشرأبت الاعناق الى رجل ناحل الجسم طويله شاحب اللون إصفره ناتىء عظم الوجنتين غائر المقلتين عريض الجبهة اقنى الانف قد اخذ ظهره بالتقوس ووخطه الشيب قد اتكأ على عصاه تعبًا ولهثًا وامتطى المنبر وادار بالحضور نظره البطيء واشار كأنه يريد ان يخطب وقد همّ بالكلام

ان اول عاطفة تجول في صدرك هي مزيج من الشفقة والوجل على هذا الشبح الضئيل الذي يكاد يسقط تحت ثقل برديه وامام هيبة هذا الجمع المحتشد وتبدأ ان تقول في نفسك: ماذا عسى ان يقول لنا هذا الخيال الطارق اما له من سقمه ما يقعده عن ركوب هذا المركب الخشن انا لله وانا اليه لراجعون!

فليقل ما يشاء ويترك المنبر لسواه اني اخشى ان يتداعى من نحوله الى الارض قبل ان يبتدئ كلامه !

والويل لك اذا جالت بصدرك امثال هذه العواطف فانك قد انكشفت امام هذا الساحر الخلاب وان نافذة الشفقة التي فتحتها عليك جعلته يلج نفسك من غير ما استئذان . فانه لا يكاد يجول جولته الاولى حتى ترى شفقتك عليه قد اضمحلت وحلت محلها طمأنينة وغبطة وارتياح الى تتمة حديثه ثم انه لا يكاد ينتصف كلامه حتى تنتقل من الارتياح الى الاستحسان ثم تهم بالتصفيق ثم تتجاوز الاستحسان الى الاعجاب ولا تشعر عند نهاية كلامه الا وانت على حدود الاعجاب وعند ابواب الدهشة والاستغراب

هذا وهو من عَلَ منبره وقد زاده نحوله عظمة وصفرته روحانية يرمي بكلام كانه قطع الجلمود ويشير بكف يزيد تأثيرها كلما دق معصمها وطالت سبابتها . يخرج من بين شفتيه صوت تخاله كهفياً في اول امره ثم لا يلبث ان تحسبه حزيناً للسكوت العميق الذي ساد حوله ، اجل ان مصابنا بالزعيم لغير يسير وان خطبنا بالكاتب غير صغير وان الفراغ الذي ابقاه الخطيب بعده لفراغ كبير



رثاء قيصر بك المعلوف

مات الخطيب فمن عسى يرثيه ـ في مثل سحر بيانـه فيفيه
عقل اللسان فكلنا متكلم بدموعه لنضوب مورد فـيه
والدمع ابلغ ما يقال بموقفٍ عز الكلام بـه على ملقيه
هو در انفاس يجمّعه الاسى والعين ان جلّ البلا تذريه

* * *

يا يوم «ابرهيم» في الايام لم نر منك افجع اذ رزئنا فيه
افقدت زحلتنا اجلّ رجالها وحرمت لبنانًا اعزّ بنيـه
واصطدت نسر الفضل من عليائه فهوى ، وما للفضل من يحميه
وقتلت اقدر من علا عوداً ومن هزّ اليراع لدرء كل كريه
يا ملحداً بعد الوجاهة في الثرى نم آمنًا يفديك كلُّ وجيـه
أنجبت اولاداً فلا عجب اذا احيوك ، ان الابن سرُّ ابيه
فاذا بكوك فقد بكوا بك والداً لخصاله كل الورى تبكيه
واخوك قد نضبت دموع عيونه ، ولمن يصون الدمع بعد اخيه
ورفيقة العمر الامينة اصبحت «وفؤادها» جمر البلا يكويه
نم واترُكنْ للدهر ما اعطاكه فالدهر يأخذ كل مـا يعطيه
والنفس لله العظيم وحسبها في الكون ان عملت بما يرضيه



رثاء المرحوم فوزي المعلوف

مصابكمُ بالزوج والاب فادحٌ
يقلُّ به في العين فيض بحورها

ولكنَّ خطب المجد فيه برحلة
كبيرٍ وقد اودى الردى بكبيرها

قضى، فلمن فوق المنابر بعده
تصفق ايدي دوحها وغديرها

ومن يعتلي صدر المجالس يا ترى؟
وقد كان ابرهيم زين صدورها

فيا لجعة الاعواد بعد هزارها
ويا لوعة الاقلام بعد اميرها

ويا ويح نفسي تطلب الشعر للرثا
فتعيا القوافي عن بيان شعورها

سانباولو ١٥ — ٥ — ١٩٢٢





المرحوم فوزي المعلوف


المقدمتان

مقدمة اولى

بقلم خليل بك مطران

برُّ الابناء بالآباء أتمُّ الخصال بشرف السجية، واكرم وسيلة لحفظ ذخائر الماضي واداء امانات الحاضر الى المستقبل، فهو جميل في كل أين وجليل في كل آن

نحن الذين عاصرنا فقيد النبوغ المغفور له ابرهيم ابا خاطر ودارجناه عيانًا او سماعًا في اطوار من حياته الخصبة الزكية الثمار وأُعجبنا بذكائه النادر وفصاحته الخلابة وكياسته الغلابة وقوة جنانه وبراعة بيانه، ثم استبقينا في صميم القلوب رسم ذلك الرجل الفرد الذي اجتمعت فيه غرر المزايا ومحاسن السجايا — كان من العزاء لنا ان نرى شبيهه في مثال له يتجدد بنجله الالمعي اللبيب الاستاذ يوسف . فاذا برُّ الابن بابيه قد اوحى اليه خير ما يوحيه الحرص على الاثر الثمين والضنُّ بالكنز الدفين، فمضى يبحث عنه في المظنَّات ويعاني ما يعاني في إخراجه من بطون الصحف المنثَّرة والاوراق المبعثرة، حتى طلع علينا بهذا الكتاب فحوَّل عزاءنا الى سرور وأعاد الى عيوننا المطالعة وآذاننا السامعة مقالات ذلك الكاتب الذي لا يجارى وخطب ذلك المنطيق الذي لا يبارى، محضراً في النفوس ما غاب من تلك المواقف المجيدة مبدداً ظلال النسيان عن انوار تلك الآراء الرشيدة

قرأت هذا الكتاب مخطوطًا من كراريس كتلك التي كنت



الاستاذ خليل بك مطران

والفقيد نستعملها في المدرسة فماذا هاجت بي من ذكريات طفولتنا وايام قضيناها نتلقى العلم في زحلة أولاً وفي بيروت بعد ذلك وسطور استودعناها بها أولَيات سوانحنا الطاهرة الساذجة المنبعثة عن تصورات قوية مشتتة ونوازع بعيدة المرامي متولدة من حيث اتفق فيها الحوادث بذورها هَملاً بلا ضابط ولا حاجة الى مزيد تمكّن في منابتها. تولد وتنمو لساعتها وتقتلع وتعود ادراجها الى الفضاء الواسع لساعتها . ولكن تلك السطور في صحائف ابرهيم كانت اشبه بالظلال ترامت اليها من بدء ارتسام الاسارير الفكرية على جبينه الوضاء فدلت ذوي الفراسة من مؤديه على ان لها في عالم التحبير والتحرير ما بعدها

ولئن شجاني وابكاني حين مطالعتي لتلك الفصول ان افتقدت مكان أخي الصفي وصديقي الوفي لجدد ما بين يديّ من كلامه مأساة بكوره في براح هذه الدار ولحاقه باكرم جوار ، لقد عرفت لسليله الحبيب فضل ما ردّ على مخيلتي من طيبات شباب مضى وعهد سرعان ما انقضى كان مما اختلج به قلبي وامتلأ به لبي ودادي لابرهيم واكباري لابرهيم ووجومي من مكافحات ابرهيم واغتباطي بنصرات ابرهيم

جال نابغتنا اللوذعي كاتباً وخاطباً جولات لها خطرها في الاجتماع والسياسة فهما قسما الكتاب . وله في كل من هذين القسمين تصريف عقل كبير وفكر ثاقب وفؤاد طاهر النزعات تقف لدى فصوله حائراً وتتساءل عَلَى ما مرّ بتلك الروائع من الزمن واعقبها في اللسان والبيان من التبدل والتحول وتلاها في الحوادث والوقائع من التصديق والتأييد. تتساءل وانت

في استفهامك الانكاري على حق : أأفضى العصر الخالف بمكنونات ما سيجري فيه الى العصر السالف؟ فوحق من اماته ثم احيا، لقد صح في بلاغه قول من قال « ليس في الامكان ابدع مما كان »

لا اريد ان اضرب لك الامثال من أقواله ولا ان اقدم لديك مقالة على اخرى في تبيين براعتها والتنبيه على موقعها من الحقيقة او الجمال فانك لآخذ بالكتاب فغير تارك صفحة من صفحاته الا على اسف، ولا منتقل من موضوع فيه الى غيره الا وقد تشوقت الى الوقت الذي تستأنف فيه القراءة وتخلو من شواغل عيشك ومتاعب مهامك لتروي صدى من مهجتك باسوغ من الماء الخصر الزلال، وتملأ فراغاً من ذهنك بفرائد علم واسع وفوائد اختبار جامع. ولله تلك المعاني ما اقدمها واجدّها ولله تلك الالفاظ ما اجزلها وارقها ولله ذاك التصوير ما اسهله وامنعه ولله ذلك الاسلوب ما اعلقه بالخواطر وابدعه!

بين تينك الدفتين عصرٌ حفيل بعظائم الامور يكاشفك بدقائق اسراره ويظهرك على بواطن سِيَره واخباره ويبدي لك زينات ابتكاره ويروعك بآيات قوته واقتداره. ومن تلك الاوراق تجد طلاقة الصحافي في ترسّله لا يفارقها تقيّدُ الاديب بروابط الفنّ المجاد. وتجد صولة الحاكم بالعدل لا تذهله نشوة السلطان عن اخذ نفسه بما نصح به لغيره من ولاة الامور

فاذا رجعت الى شؤون سورية خاصة ولبنان على الاخص ايام الدولة الدائلة وايام البعثة المرتقبة علمت من شأن ابرهيم كيف يُحِبُّ الوطن حبّاً

لا توهنه مآرب يرام بها غير وجهه، وكيف تُخدَم الامة بجَنان يتفجَّر منه ينبوع الحق ويجري على لسان الصدق، وحِلمٍ لا تزيغه صغار الاهواء عن كبار المطالب، وبصرٍ لا تخفى عليه أغراض الدهاء من وراء تنميق الكلم وتزويق الطلاء

ايها الناشر من طيّ آيات هذا الكتاب كم من نفيسة تُهدي وكم من بصيرة ستَهتدي. هذه تحفة أولى من وحي برّك بوالدك العظيم نرجو ان تتبعها بتحف من مواليد فكرك. تتمتع وانت حيٌّ الى اجلٍ بعيد بان ترى فيها بشائر التبجيل لاسمك والتخليد لذكرك



مقدمة ثانية

بقلم الاستاذ شبل دموس

لم يترك الخليل سيّدُ البيان مجالاً للقول فيما يتعلق بكنوز النفائس الغوال المجموعة في هذا الكتاب لجهة البلاغة وجمال الانشاء لذلك لم يبق لي في هذه المقدمة الاَّ جهة اخرى اطرقها وهي جهة سعة العلم بالسياسة العالمية ومراميها واساليب الدهاة من اساطينها وثمت شخصية صاحبها البارزة ومكانته الاجتماعية رحمة الله عليه . فان من يتصفح ما تنطوي عليه صفحات هذا الكتاب ويعي ما في سطورها يرى انه يغترف من بحر اطلاع زاخر علَى اخلاق الشعوب وحاجاتها ومناهجها في تأليف قواتها وتكييف مصالحها ويدرك الاسباب الخفية في مصير الامم فتتكشف امامه الحوادث والنتائج بما اوضح له من مقدماتها . ويدهشك بصورة خاصة ان ترى ما ورد من الادلة التي سببت الحرب العامة لم تكذبه النتائج وانما جاءت مصداقاً له فلم تحد تلك الادلة شعرة عما دلت عليه ، وان ترى الاسباب كما رآها المؤلف واوردها اصولاً يصح ان يعتمد عليها اساطين السياسة في الارض ولو قدر له وهو حي ان يتسنم منصب وزارة لكان برز في ميدانها ولمع في افقها لمعان كوكبة الصباح متسلقة الافق بعد ما اغتسلت في البحر البعيد

ان في اقدام الاستاذ جوزف نجل المرحوم منشئ هذه النفائس على جمعها في كتاب ونشرها فضيلة اجتماعية كبرى ليس من حيث قيامه



الاستاذ شبل دموس

بالواجب البنوي فحسب بل من حيث نشرها لارواء ظمإ طلاب المعرفة فلا تدفن هذه الكنوز في زوايا الاهمال مبعثرة متفرقة فاقدة الفائدة بتفكك اوصالها لعدم انضمام بعضها الى بعضها الآخر

ولعلَّ اجمل ما في هذه المجموعة ، وهي مقالات متفرقة في مواضيع متباينة ، ان لا تناقض في نظرياتها ولا في براهينها فكأنما هي سلسلة مترابطة الحلقات تشد الواحدة منها ازر الأُخرى مما يدلك على ان واضعها لم يكن مقلداً ولا تابعاً بل كان مفكراً ثاقب البصر يعتمد على المنطق في استخراجاته فلا يضلُّ سبيله كأنما هو في جميع ما كتب مشرف من مرتفع على ما يجري امامه في منبسط من الارض فاذا كان ثمت في الطريق منعرجات وعطفات وانحدارات ومزالق فلم تكن جميعها لتخفى عليه

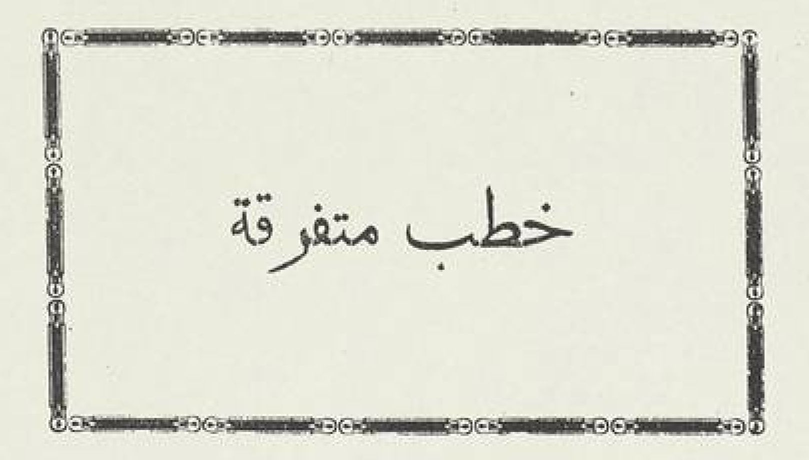
ان صاحب هذه النفائس زحلي صميم ينتسب الى واحدة من اسرها الكريمة العريقة وهو من اسرته في موضع هامتها . فقد انقادت اليه الوجاهة كما انقادت الى ابيه من قبله والى جده عبدالله قائد الابطال في مغامرات المدينة ومعاركها الكبرى يوم كان لبنان امارات صغيرة لم تنتظم حكومته ، وغير مجموعة كلمته . . . فهو عظامي من حيث آباؤه وهو عصامي من حيث جده واجتهاده ، فقد وليَ الحكم في زحلة ثلاث مرات وعلى رغم كونه زعيم واحد من حزبيها الكبيرين فقد سلك المسلك اللائق بذوي النفوس الكبيرة من الحكام

وكان رحمة الله عليه خطيباً تشرئب اليه الاعناق وترهف الآذان فضيَّ الصوت واضح الغرض لا يمله سامعوه ولا يجدون سبيلاً الى موطن ضعفه .

وكان محدثاً جذاباً تكتظ مجالسه الخاصة بذويه ، وتزدحم مجالسه العامة بانصاره ومريديه ، والقول قوله ، والرأي رأيه في مباحثاتهم مهما اختلفت مواضيعها واغراضها وصعب حلها

وإنا لنبتهج ان نرى من بنيه من ينسج عَلَى منواله ويسير في آثاره ،وان نرى في نجله الكريم الاستاذ جوزف ما يكفل تمديد عهد ابيه فان الابن لمعاصريه من ذوي الحاجات الاجتماعية موئل يركن اليه كما كان الاب في عهده مورد الرأي الصائب رحمة الله عليه





خطب متفرقة

كلمة في البطريرك الجريجيري (١)

مولاي المغبوط

لولا اني لا اريد ان ابخس مواطنيّ حقهم ولولا ان وطنيتك يا مولاي لا ترضى لنا بالاستئثار لما تجرأت على الوقوف بين يديك بعد ان قام من هم افصح لساناً واوسع برهاناً مني، ولكن هي المحبة تتأجج نارها في الصدور فلا يزيدها الخفاء الا اضطراماً ولا دواء لها الا الظهور، فاذا لم يكن بيننا الاقتدار فلم نعدم من حسن النية وسلامة القصد باباً للاعتذار. ولهو الوطن وقد طبعت في القلوب محبته وفرضت عَلَى الالسنة والالباب طاعته وخدمته فاذا ما تعذَّر عليه مجاراة زملائه والقيام بما اتوه من الاعمال الخطيرة في الايام الاخيرة فلا اقلّ من حشرة بين زمرة المبتهجين ونشر كلمة شكر مع الناطقين بفضل اخواننا ولا سيما البيروتيين الذين ادركوا لزوم التعاون والتناصر وعرفوا وجوب التكاتف والتضامن فحفروا الاساس وعلمونا كيف يجب ان تكون النهضة والاقدام فلهم اول كلمة شكر نلفظها ولهم في فؤادنا ذكرى لا يمحوها تتابع الزمان وكرور الايام

سادتي

لقد اشغلت ربوع لبنان خواطر الشرق فاتجهت اليها الانظار وانصرفت الافكار تطرقاً للوقوف على ما يرتئيه ساداتنا الاساقفة الاجلاء من امر

---

(١) خطاب القي في بيروت عام ١٨٩٨ على اثر تنصيب السيد الجريجيري بطريركا على طائفة الروم الكاثوليك

انتخاب رئيس للمقام البطريركي · والقوم كان بين مصدق ما ذاع واجف القلب وبين مكذب ما شاع واثق بصحة المبدأ وسلامة الغاية وطيد الرأي· على ان الحقيقة واحدة لا تكون اثنتين والكل كانوا يسألون سادانتا رحمةً واشفاقاً ولقد سرت في البلاد شعلة خطت عليها يد الحكمة بيراع الاقدام: التجرد ، التجرد يا قوم فالتجرد ضامن حفظ الكلمة ، كافل توحيد الرأي والتغرض مجلبة للتفريق والتشيع ، مدعاة للتشتيت والتمزيق · فلطائفة سبق لها ان اجالت بنفسها نظراً عميقاً فترآى لها رجلها فعرفته ومدّت له يداً وعاهدته واتخذته حليلاً واوثقته ان لا طلاق بعد ذاك ولا عتاق ولا انقطاع ولا فراق وطلبت لساداتها تقديم مهرها وزفها اليه ولم يكونوا ادامهم الله باقل حرص على صوالحها منها ولم تكن احدّ نظراً بعواقب الامور منهم فلبوا الطلب واجابوا الالتماس وذللوا بهمة خليقة بالذكر ما حال في طريقهم من الصعوبات ومهدوا بحمية جديرة بالشكر ما اعترضهم من العقبات ووقفوا عند اشتداد الازمة وقوف العارف بما له وعليه من الحقوق والواجبات وهكذا أبلغوا الطائفة الارب وتركوها قريرة العين ناعمة البال تحوك لمستقبلها ثوباً قشيباً من الامال داعية لمليكها العادل بالعز والاقبال والاجلال

ولم يكن اقبال الناس سادتي عَلَى بطريركهم المغبوط عفواً · ولم تلهج به الالسنة من اول ساعة فاضت فيها روح الفقيد اتفاقاً وسهواً · ولم تنحصر به الثقة دون فائدة وجدوى · ولم يمتلك القلوب وفاقاً · ولم تحله الافئدة صدرها عبثاً واتفاقاً · بل الوطني الغيور الملتهب فؤاده غيرة وذكاء والخبير الوفي المملوء لسانه خبرة ووفاء والرسول المجاهد في دينه المتضحي في سبيل

ايمانه و يقينه والكريم الذي بذل ماله في سبيل البر والاحسان وقضى عمره في اغاثة الملهوف والبائس من بني الانسان والتقي الذي لم يلته عن دينه بدنياه ٠ والرجل الناشر الباث حيثما كان وابنما حلّ نور المبادىء الصحيحة المحققة ليس بكثير ان تنضم حوله الكلمة و يتوحّد عليه الرأي

هذا ولساني لم يعتد التمليق في عباراته بل هي النفس تهوى سرد الحقائق على علاتها فلم اكُ مملقاً لا كتم عنك يا مولاي ان البلاد من اطراف مصر لاقاصي سور يا شاخصة اليك والعيون موجهة انظارها نحوك فاعمل على تحقيق امانيها واعلم يا منتخب الملة ان من اشد حاجاتنا واقصى رغائبنا ان يسود السلام ويحكم الوفاق والوئام بين جميع الطوائف والمذاهب التي يتألف منها الوطن العثماني فلا صلة ولا رابطة ولا جامع يبنى بيننا الأ الصلات والروابط والجوامع الوطنية العثمانية شأن البلاد العريقة في التمدن حيث لا غيرة في الدين ولا مزاحمة على اليقين ولا قتال على المذاهب ولا جدال على المبدإ والمشرب ، بل الغيرة في الخدمة الوطنية والمنافسة في الكفاءة والاهلية الشخصية والاعتزاز بما خدم المرء وطنه وبما ضحّى في سبيله بعمره وزمنه فاذا نهجت بنا، كما لا نشك،هذا المنهج تكون حققت منا الامال ٠ اعلم يا منتخب الملة اننا نحن معاشر بنيك نتمنى ان يبقى انتماؤنا الديني للكرسي الرسولي وطيد الاركان ولكن بشرط ان يبقى معه استقلالنا الديني صحيح الدعائم والبنيان، وانتم سادتي ارفعوا رؤوسكم نحو ذلك المركز البهيج والمستقبل اللامع وادعوا معي لبطرس بطول البقاء والتوفيق فهو الكافل ايصالنا اليه

رثاء ابيه المرحوم يوسف ابو خاطر

في ١٥ اذار عام ١٩٠٧

يا ابت ليس بالامر الكبير علي وعليك اذا حذوت لاجلك حذو من تقدمني من الاعراب الأُلى رثوا فقيدهم الراحل بما ارتجلت عواطفهم المتألمة المتوجعة فكلمة الحق التي تقال فيك لا تصادف لها الا مصدقاً ومؤيدا

يا ابت اني سائل عنك هذا القوم هل بينهم من يقوى على القول ان مظلوماً استجار بك ولم تنفذ قواك كلها في سبيل كشف ظلامته؟

يا ابت اني سائل عنك اهل هذا الوادي هل بينهم من يقوى على القول ان صالحاً وطنياً بدا ولم تكن انت في طليعة الساعين به وفي مقدمة الذين وقفوا اهتمامهم وعنايتهم عليه . هل بينهم من يقوى على القول انك لم تكن سباقاً لكل محمدة ومكرمة ؟

يا ابت اني سائل عنك حكامه ووجهاءه ونواديه هل بينهم من يقوى على القول انه رأى بك ما تعاب به الرجال غير الصدق والشهامة وعزة النفس وثبات المبدإ . هل بينهم من يقوى على القول انه عرفك الا ابياً وفياً لا تصبر على ضيم ولا تنام على حقد ؟

يا ابت اني سائل عنك جمعياته ومشاريعه الخيرية هل بينها من يقوى عَلَى القول انه لم تجد عليها يداك ولم يصل اليها قطر نداك

يا ابت اني سائل عنك زوجتك وشقائقك وبنيك هل بينهم من يقوى عَلَى القول انك لم تكن بينهم مثال العطف والحنان والاقتصاد

والنشاط · فاذا قيل لك انك كنت للفقير ابًا فبحق · واذا قيل لك انك كنت للضعيف معوانًا فبحق · واذا قيل لك انك كنت وطنيًا صادقًا صحيحًا فبحق · ومحسنًا كريمًا فبحق · واذا قيل لك انك كنت زوجًا صالحًا واخًا رفيقًا وابًا شفوقًا حرم نفسه وهو في سعة العيش كل لذة حرصًا على بيت ابيه وبنيه فبحق

مر رحمة الله عليك وسلام من وطن سيردد ذكراك كلما ذكرت فيه محاسن الاخلاق ومن بنين سيبقون على احترامك وولائك ما قدر لهم الوجود



المعارض (١)

سادتي

وددت لو كفيت عناء الكلام اليوم فالصدر مصاب، والداء حقود، والطبيب منذر يبلاء شديد، والنفس تتوقع قرب حلول القضاء، ولكن

يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل

اخواني

بيننا رجل عمله يدل على عقله وحنكته تغني عن عمله ومعايب الناس كلها لو وجدت فيه لشفعت بها غيرته الوطنية ومروءته الناهضة

جاب الرجل البلاد الاجنبية سائلاً مستجيراً فنال منها قصداً ومراماً فأبت عليه حينئذ نفسه ان يسبق منها الا مستنطقاً اسرارها منقباً عن دلائل الترقي والعمران فيها مستقصياً عن انصار النجاح والتقدم حتى اذا كشفت له رموزها ودانت لابحاثه غوامضها حدا به الوجد وشاقه حب الاوطان للعودة اليها فاتاها وقلبه يلتهب محبة وغيرة. واول عمل كان له فيها سعيه الحثيث في سبيل ايجاد التضامن الذي لا غنى عنه لكل بلاد تقصد الرقي فاهتم بها وقام بالمشروعات الكبيرة بلوغاً اليه

لقد عرفتم ولا شك اخواني ممدوحي قبل ان اسميه فشكراً للوطني الصادق فارس مشرق على ما عمل وبراً بالوالدين وباهل الفضل والنهى منا وليس اهل الفضل بيننا بالمدد الذي لا يحصى. وان قام منكم معترض يقول ان الرجل سعى لنفسه ، ان هي الا تجارة رابحة وصناعة تعاطاها صاحبنا كغيرها

(١) خطاب في المعرض الوطني بزحلة في ٥ ايلول سنة ١٩٠٥

جرا لمغنم او اكتسابا لشهرة او مقام فحبذا التجارة تجارته ونعما القصد

ما هي الفائدة التي يتوخاها العقلاء من المعارض وما هو المقصود من انشائها ؟

عرفت الانسانية المتألمة ازمانا كانت تسير فيها الجموع بارادة الافراد وتقاد قود البعير لا الى ما تقتضيه مصلحتها بل الى ما توجبه مصلحة الزعماء والقواد فدفعوها على بعضها تتطاحن حتى تمكنت بينها اسباب الشحناء ودواعم الاحقاد فظن فريق ان حياته موقوفة على موت فريق آخر واعتقد فريق ان نجاحه موكول على ادبار فريق . وقام بنو الانسان يتهادون الضرر ويتبادلون السعاية والاذى حتى قيّض الله لتلك الانسانية نفراً من بنيها الصادقين فازاحوا اللثام عن وجه الحقيقة وهدوا لمواضع الرشد والصواب وعلّموا الحقوق والواجبات فملكت الشعوب زمامها واعتقات وراء حصن التحفظ والتأني وكان بذلك من عصر النور الطور الاول

وتلاه ان التحاسد الموروث والتباغض الذي علق في الاذهان ورسخ، واستخدام المصلحين واحتكاك المنفعتين واختلاف المبدأين والمشربين مع ما عرف في الانسان من انفة ومحبة وقساوة قلب وشراسة اخلاق مضافا الى ما يدسه المفسدون ويروجه طلاب الصيد بالماء العكر كان ان ادى بين شعبين كل شيء يدعوهما الائتلاف ان احتكما بالاسنة والسيوف وابقى في مطلق الاحوال الخلائق على ريبة من بعضها وحذر فرأى محبو الانسانية اولئك ان انجع دواء يزيل تلك الريبة وخير واسطة لاستبدالها بحسن الظن ان يتفاهم البشر فقربوهم من بعضهم بما كتبوا او بما خطبوا وعلموهم ان في الدنيا لمتسعاً

لائتلافهم ومجالا لتزاحمهم السلمي دون اراقة دماء وحملوهم ليتآزروا و يتشاوروا وسهّلوا لهم لاجل هذه الغاية سبل الاجتماعات وطرق المواصلات وكان احبها لغريبهم واجذبها لبعيدهم وابعدها نظراً وانفذهــا سهماً المعارض عموميــة كانت ام خصوصية

رأى اهل النظر الدقيق ان خير واسطة لتفاهم البشر اجتماعهم وخــير واسطة تحملهم على الاجتماع مختارين بما يرجونه من ترويج صناعــة وبيع سلع و بضاعة وما يؤملونه من استفادة ونزاهة :

المعارض

فاقاموا المعارض وانفقوا في سبيل اتقانها الالوف المؤلفة و كان لذلك من عصر النور الطور الثاني

لهذه الغاية الجلى لهذه الغاية المثلى انشئت المعارض وما أحرز بخلالها من كسب تجارة او فوز بضاعة فزيادة من ضمن الغرض المقصود اذ لولا جاذبية الامل بالاتجار والربح لما تحملت الخلائق عناء السفر

ولهذه الاسباب اغتبط القائمين بامر هذا المعرض لانهم مع علمهم الاكيد ان لا خير كبير منه يرجى لهم اقدموا عليه مختارين وضالتهم المصلحة العامة التي اليها اشرت

والثابت ، اخواني ، ان لا شيء ادعى للتخاذل والريبــة من التقاطع والغيبة . ولا شيء ادعى للتواصل والتفاهم من الاجتماع . ولقد رأينا بام العين على اثر تفاهم الشعوب كيف تنفست الانسانية الصعداء وتسني لها السير وراء

مستقبل شهي تراه من خلال الافق يتأتى عنه اذلال عناصر الطبيعة واستخدامها في سبيل راحة الانسان وهنائه · يتأتى عنه ازالة حدود الممالك وانضمام الشعوب وتصافح البشر و يكون بذلك من عصر النور الطور الثالث

الطور الذي لا نراه والذي قدر لنا ان لا نراه والذي يظنه فريق كبير محالاً والذي سيصبح حقيقة راهنة بفضل العلم وتفاهم البشر

عفواً ، اخواني ، لقد خرجت بكم من عالم الحس والحقيقة ونزحنا لعالم الوهم والخيال فعودوا بنا من المدنية المقبلة المعنوية الى المدنية الحاضرة الحسية· عودوا بنا للارض التي عليها نحن نقيم لنرى ما الذي عملناه في سبيل التضامن العام · وفي سبيل التفاهم اللازم لراحة البشر · في سبيل البناية العمومية التي نسميها الاوطان

ان هذه البناية العمومية تتطلب ان كل فرد من بنيها يعتبر نفسه بحال التكافل والتضامن مع بني جنسه وتحكم على كل واحد منهم ان يقدم لها ما تجيزه قواه من وقت و كلس وحجر وماء وطين : السائس بتقرير الامن وحفظ الحقوق وصيانة وانماء محصولات البلاد وترويج مقطوعيتها · والعامل باتقان العمل ، والكاتب بدرس احوال الهيئة الاجتماعية وفحص عللها ، والصحافي بارشاد الرأي العام لحقوقه وواجباته ولمناهضة كل خروج عن سنة العدل القويمة لما له من المنزلة المؤثرة ، والغني بامداد كل فروع تلك البناية بالمال الذي هو قوامها · فسائسنا او حكامنا لم يعطوا الوقت الكافي بعد الدستور لنتبين غثهم من سمينهم و لكن يمكن القول ان قد بدا منهم قصور واهمال في امر حفظ الراحة · ولعل الهزة والاضطراب اللذين حصلا في مركز البلاد

الرئيسي وارتباط الاطراف بذلك المركز كانا سبباً لتراخي الاحكام والحكام وعندي لو اعطي بهذه الظروف الصعبة الحكام الملكيون سلطة اوسع لتمكنوا من ضبط الامور بصورة اضمن للراحة لان مذكرة الجلب والاحضار والحرمان من الحقوق المدنية لامور يهزأ بها خطار (١) والاشقياء الذين هم على شاكلة خطار

اما كتابنا فقد وفوا الهيئة حقوقها عليهم ولهم في المباحث الاجتماعية وفي درس علل البلاد وفي طرق مداواتها والوقاية منها المقالات الشائقة التي لو روعي بعضها لرأيت في البلاد حركة حياة جديدة . غير ان صحافينا لا جرأة عنده ولا شجاعة ادبية او لا تصوّر له بالمسؤولية المترتبة عليه او بخطورة المهمة التي انتدب نفسه لها بل تراه حين تشتد الازمة يردد صدى ما يقوله الغير ولا يقوى عَلَى بث شكوى او تقديم رأي، استثني منها «النصير» فقد كان حراً شجاعاً ولكن متطرفاً واستثني منها «الارز» فهي قد انفردت من دون الجرائد العربية حتى المصرية منها بالدفاع عن حقوق مقدسة بظروف كلها خطورة

اما غنينا فقد اعطى على سمو مدار كه ورقة شعوره وصدق وطنيته الادلة الناصعة

ولقد بلغت بكم اخواني للموضوع الذي انتدبت للكلام فيه وقبل ان نلم بما فعل اغنياؤنا وما عملوا دعونا نبحث بالواجبات المترتبة عَلَى الاغنياء او بما يخلق بهم عمله ليصح لنا الحكم عليهم .

المال كان ولم يزل قوة هائلة وعاملاً من اكبر العوامل عَلَى ازدهار البلاد

---

(١) شقي مشهور

وتقدمها والفقر كان ولم يزل سهماً نافذاً في كبد الانسانية يدميها و يمزقها · البلاد الغنية تسطع فيها انوار العلم والعرفان فيخف البلاء وتقوى على التفاهم بين البشر · والفقيرة يسود بها الجهل والجهل مدعاة للتعاسة ومجلبة للشقاء · و كل عمل مشروع يعمل في سبيل دفع الفقر وتوزيع المال يؤدي لسعادة الانسان و كل سعي يبذل في سبيل احتكار المال وحصره بفئة دون اخرى اثم وجناية يسوقان للريبة وسوء الظن · وانا ارى ان من واجبات الغني بل من مصلحته الخاصة ان يعمل على ترقية الوسط الذي به يعيش لان الفقر والجهل متلازمان والجهل يولد انحطاط الاخلاق وانحطاطها يتأتى عنه سوء الظن وسوء الظن يثير الحسد والحسد ينتج المكر والخديعة والاغتيال

انا ارى ان من واجبات الغني بل من مصلحته الخاصة ان يعمل على ضمد جراح الانسانية وتخفيف ويلاتها والاّ دارت عليه الدوائر · واسي جراح ادمي وابكي على الانسانية من رؤية بنيها يتمرغون في حمأة من الاقذار والدنس : ابكار تساق للفجور والزنا عن حاجة واضطرار · ونساء تخون الواجبات البيتية لتسد رمق بنيها · واطفال يتضورون جوعاً وينشؤن على حب الكذب والرياء · وافكار نيرة قد كان يمكن ان تستفيد منها الهيئة فيظلمها الكحول والخمول · فهل لا يقوى الغني على تخفيف وطأة هذه الشرور ؟

الا رأيتم ان الحاجة تدفع بالانسان للتسول والتسول للشر والشر للسرقة والسرقة في غالب احيانها للقتل ولاستباحة الاعراض

فلو كان للبائس عمل يلهو به واجرة يسد بها رمقه وبيت يأوي اليه

لاستدركت شرور وآثام كالتي وصفت · فمصلحة الغني تقضي عليه ان يبذل المال سخاء في سبيل البناية العمومية وامساكه ذهول منه وجهل فادح

اما وقد نظرنا بما يخلق بالاغنياء عمله · دعونا ننظر نظرة متجردة خالية عن كل غرض ومنزهة عن كل ميل بما عمل اغنياؤنا وما فعلوا

انني اجهدت النفس مقلباً الطرف في البلاد من اقصاها الى اقصاها لارى لهم اثراً مفيداً او سعياً وطنياً فما وجدت · لقد كان بامكانهم ان يقيموا المعامل الميكانيكية الكبيرة فيستفيدوا وتلهو مئات من الايدي عن البطالة وما عملوا · لقد كان بامكانهم ان يوجدوا الحقول الزراعية فيستفيدوا بتنشيط الزراعة وما فعلوا · لقد كان بامكانهم ان يسعوا لاستخدام المياه الغزيرة الموجودة بهذه النواحي لري الارض فتصبح هذه جنة ويستفيدوا فما فعلوا · لقد كان بامكانهم ان يحفظوا للبلاد ثروتها ويأخذوا هم امتيازات ويقوموا هم بادارة المشروعات الكبيرة التي يذهب المال بواسطتها لاوروبا سيولا وما فعلوا · بل سعى الاوساط فاعرضوا عنهم

هذا هو معرضنا وهو عامل من اكبر العوامل على ترويج الصناعة واحياء الهمم · لقد اكتفوا باظهار جميل القول والتمني وتركوا عماله وصناعه وتجاره يأسفون على اوقات اضاعوها وليال احيوها سهراً

واذا بحثت بحالتهم ونوع معيشتهم رأيتهم اضروا عن غير قصد البلاد ضرراً بليغاً

ألا قلتم لي اخواني متى قتل روح الاقتصاد الشريف وسرى حب التبذير والتقليد بهذه البلاد ؟ الا قلتم لي متى توترت عرى العلائق الزوجية

وخنق روح الطاعة الزوجية والاحترام العائلي ؟ ألا قلتم لي من كان السبب بتفشي داء القمار الخبيث بهذه البقاع ؟ أليس هم اغنياؤنا الذين عادوا الينا من البلاد الاوربية باشنع عاداتها واقبحها ؟ وعندي انهم جنوا على انفسهم لتقاعدهم عن خدمة الاوطان بما تسمح به قواهم . فحرص الاغنياء وامساكهم واعتزالهم الشعب لاسباب كافية لانقطاع الشعب عنهم وسوء ظنه الذي يدفعه لمناقشتهم الحساب

بقي علي ان اقول كلمة عن لبنان وهي انة ابنها المحبيه . ولو قدر اخواني لاحد الاجداد ان يبعث من رمسه و يقف عَلَى اطلال لبنان متململاً هل يهتدي سواء السبيل ؟ لو قال لنا اين حرية الضمير التي تركتها بمَ نجيبه ؟ لو قال لنا اين الشجاعة الادبية بمَ نجيبه ؟ لو قال لنا اين روح التكافل والتضامن الذي كان للبلاد أسّ مجدها بمَ نجيبه ؟ لو قال لنا من هم القائمون بالامر فيكم بمَ نجيبه ؟

أليس فئة من البيروتيين تسوس الجبل عَلَى ما شاءت اهواؤها والاغراض من غير علم صحيح يشفع وعن غير ذكاء خارق للانتقاد يدفع وعن غير خبرة يوثق بها او تجدد يركن اليه ؟ أليس من الذل والعار ان تبذل ماء الوجوه عَلَى ابوابهم ونحن افصح لساناً واصبح وجوهاً وابلغ حقاً منهم ؟ فالى اغنياء يعرفون الواجب المطلوب منهم . الى اغنياء لا يبخلون على البناية العمومية — وهم من أهم اعضائها — بما تفتقر اليه . الى اغنياء يحرصون على ازهار البلاد وعلى تلطيف مصائب الانسانية . والى لبنان مالك زمامه وحاكم نفسه بنفسه الفت منكم بالختام الانظار

كلمة في العناصر العثمانية (١)

قالت « المهذب » بعددها الصادر في ٢ت٢ سنة ١٩٠٩ :

بعد ان كتبنا تنسيق حفلتنا مساء الاحد ٣ تشرين اول عزّ علينا ان تمرّ هذه الحفلة النادرة ولا يسمع كلمة فيها لخطيبنا الشهير

عزتلو ابرهيم بك ابو خاطر

فرغبنا اليه في الامر فلبى الرغبة لطفاً منه وارضاء لحضرات المدعوين الكرام الذين قرأوا له المقالات الرنانة ولم يسمعوه بعد خطيباً

اما نص الخطاب فهو (قال مخاطباً الزهراوي) :

ايها النائب الحرّ

الحمد لله الذي حلّ عقلة اللسان والقلم . وشكراً لفتاة الترك التي انارت المنابر ليهتدى بها سواء السبيل . حمد لسانٍ ترطّب بعد الجفاف . وشكر بيان درّ بعد النضوب . اما بعد يا مبعوثنا الحر لا ترى عَلَيّ لبناني ان يطلق عليك لقب مبعوث ولبنان قد اعتصم بنظام امتيازه فلم يشترك مع اخوانه العثمانيين بشرف النيابة والتوكيل . فلبنان عضو من جسم الدولة العثمانية تربطه بها روابط وثيقة العرى غير قابلة الانفصام ولموقفه ذاك اسباب خلتها بالامس واهية فشجبتها خاطباً كاتباً . ورأيتها اليوم راهنة فصدقتها باحثاً فاكراً والاسباب عالقة بالموضوع الذي انابه ملم

---

(١) خطاب في حفلة تكريمية اقامتها ادارة جريدة « المهذب » بزحلة لشهيد الامة المرحوم عبد الحميد الزهراوي عضو مجلس المبعوثان في الاستانة وكان خطيبا الحفلة المرحوم ابرهيم بك ابو خاطر والاستاذ امين الريحاني

يا وطنينا الصادق اني ملم بموضوع حيوي للبلاد يترتب عليه اقبالها وادبارها رئيسي اقل ما يقال فيه انه كافل بقاء الدولة وسلامة كيانها اذا تمّ والا فالدولة صائرة الى ما تشتهي العواذل لا الى ما يشتهي المحبون

لقد عنيت: العناصر العثمانية وامكان اتحادها وامتزاجها . والموضوع على ما ترى وعر المسلك ، صعب المراس ، طريقه كلها شوك وخطر ولكن نحن مدينون للبلاد بتمزيق حجاب الوهم مطالبون بسرد الحقائق على علاتها فمن اقدم عن سلامة نية وحسن قصد فقد احسن ومن احجم عن جبن او لؤم طباع فقد اساء ومن بقي على سياسة التمليق والمواربة ناكراً العلة مداهناً فقد أثم . واذا كان المخاطب مثلك رجلا كبير النفس ، حراً بعيد النظر انتفى الخوف وامن المتكلم عثرة سوء الظن والتأويل اللئيم

يا وطنينا الحر . ما انا بالملق لاقول ان العناصر متآخية متفقة . ولا بالدجال لانسب للداء اسباباً غير اسبابه الحقيقية . ولا بالكذوب لارى كل شيء في الادارة حسناً . ولكن هي الوطنية الصحيحة تحملني على التصريح ان هذه البلاد بلادك وبلادي اذا لم ينفذ فيها روح الدستور معنى ومبنى سترى بعد اياماً عصيبة ولو انكر المكابرون وتكتم المنافقون

وقبل ان نتوسع بفحص الداء وتعيين الدواء نلقي عَلَى العناصر التي يتألف منها المجموع العثماني نظرة لنعرفها من هي واين هي

اذا اريد بالعنصر الطائفة او الامة التي توحّدت سلالتها وتدرجت من اصل واحد فليس بيننا الا العرب العرباء عرب البادية والاقطار الحجازية واليمنية التي يصح ان يطلق عليها لقب عنصر فهم وحدهم من عنصر عربي

بحت بقي بحكم موقعه محافظاً على اخلاقه واطواره ودمه · وقد يصح ان يطلق على الاتراك لقب عنصر ايضاً · فهم مع وجودهم في بقعة كثر فيها تزاحم البشر وتنافس الامم وتلاحم الشعوب بقوا بعديد قليل محافظين على لغتهم وعاداتهم وتقاليدهم وسجاياهم ومعائبهم · اما سائر الاقوام التي يتألف منها المجموع العثماني من سوريين وارمن والبان واكراد فنحن مزيج شعوب اجتاحت هذه البلاد وخليط امم سرت وتعاقبت عليها · فرقتنا الاديان وميّزتنا المذاهب · وابقانا بعلامات فارقة سوء الادارة الحاكمة عن جهل منها او اتباعاً لقاعدة : فرق تسد

وكان ان تغلب العنصر التركي عليها بقوة الفتح واستقل بادارة شؤونها وتدبير امورها بما اعطي من خاصة التسلط ولكن قد تسنى له ان يمتزج معها تسنى له ان يوحدها ويؤلف منها شجرة ذات ارومة واحدة باغصان متدلية فلم يفعل · بل تركها تتطاحن وتتباغض · لم يفقه ولم يشعر ان مثل تلك السياسة الخرقاء انهكت قوى الدولة وان الضعف الذي بدا عليها فتح باب المسألة الشرقية

لما اعتل جسم الدولة العثمانية وبدت عليها دلائل الضعف والانحطاط حامت نسور المطامع فوق تلك الاشلاء ترجو ان تنال منها قصداً ومراماً ونعقت غربان الاهواء تنهش من تلك الفريسة مأكلاً وطعاماً · والدولة التي كانت ترتعد لذكرها الفرائص وتتسابق لخطب مودتها الدول · سعت لحتفها بظلفها وفتحت بيدها كتاب تقسيم ارثها · وشاهدت بعينها الورثة يقتتلون وكأني بالاتراك ادركوا هول الموقف وحراجة المركز واستشعروا

بالخطر المحدق بهم والمسؤولية المترتبة عليهم ازاء التاريخ لجمع شتيت الشمل باعلان الدستور وتوفيق العناصر علَى قاعدة المساواة فذهب فريق ان مثل هذا القصد لاينال وان الاتراك بعملهم الاخير خاسرون لان كل شيء بين العناصر العثمانية يبعدها عن بعضها و يقصيها من اختلاف لغات وتشعب مصالح وتلون مذاهب وتعدد اديان ومن ريبة في النفوس علقت وفطن في القلب رسخت فالذي يراه التركي حسناً يراه الالباني قبيحاً · والذي يلائم الارمني يوقع بالبلغاري ضرراً · وذهب فريق ان مثل هذا الامر ممكن وان مثل ذلك اللغز يحل وانا احشر نفسي في صف هؤلاء الموجبين — نعم ان في الامر صعوبة وفي الطريق عقبة كؤود ولكن تشابه اخلاق العناصر وتقارب عاداتها وتقارب اطوارها وتوحّد مرافقها واشتباك مصالحها رأس مال قوي بيد المصلحين الصادقين

ان هذه العناصر قد ألفت بعضها واعتادت على مساكنة بعضها واستشعرت كلها بهول الخطر المحدق بها من تدخل الاجنبي وجميعها اقرت ان شرّ انواع الاستعباد الحكم الاجنبي في البلاد فما الذي يعوزها لنيل تلك الامنية وتذليل هاتيك الصعوبات ؟

يعوزها ان يعمل القائمون بالامر فيها على اكتساب ثقتها ويجتهدون بصبر ونشاط لازالة ريبتها ويجتازون بها طرق المخاطر بحكمة ودهاء كما سار ربّان تلك السفينة التي مخرت عباب الماء في بحر اشتدّ هياجه وتلاطمت امواجه بين العناصر الثائرة حتى امَّ بها دار السلام · ويعوزها ان يعلم المسيحي علم اليقين ان الاجنبي في البلاد التي يحتلها يبتز مالها ويمتص دمها ويستعبد اهلها

ويستبقيهم اذلاء صاغرين . ويعوزها ان يعلم المسيحي علم اليقين ان لا اهتمام ذلك الاجنبي بالبلاد مآرب شخصية يرمي اليها . يعوزها ان يعلم الاسرائيلي ان ملك اسرائيل لن يعود . يعوزها ان يعلم بادىء ذي بدء وقبل كل شيء المسلم انه والمسيحي والاسرائيلي اخوان بكل معنى الكلمة . يعوزها ان يعلم المسلم ان اعتقاده الماضي بالافضلية والارجحية أدى بالدولة الى الحالة التي نراها فيها الان . يعوزها ان يعلم المسلم ان اقل سعي منه للافضلية بعد الدستور يضعضع احوالها . يعوزها ان يعلم المسلم ان اهم واجب واول واجب عليه ان يعمل على نفي الريبة لتنتفي الخديعة والمكر . يعوزها ان يعلم المسلم علم اليقين ان المساواة الحقيقية المترجحة ببراهين محسوسة فصيحة الارقام هي وحدها الكافلة سلامة هذه الدولة . يعوزها ان لا تراعى في مناصب الدولة غير الاهلية والاستحقاق . يعوزها ان توحّد طريقة التعليم لتدرس طبقات الشعب كلها على استاذٍ واحد حبّ الاوطان ليبث فيما بينها روح التكافل الذي لا غنى عنه لكل بلادٍ تطلب الرقي والا فما دام المسلم يعتبر نفسه سيداً . والمسيحي يرى نفسه في بيته دخيلاً . والاسرائيلي يتمنى دوام اقتتال الفريقين ليلهو عنه . والالباني والارمني دائبين على المكر والخديعة . والدرزي واللبناني من الريبة معتصمين بالجبال . فاي خير لهذه البلاد يرجى ؟ وكما ان الحمى لا تزول بالمسكنات فالخلائق لم تعد تغذيها الاوهام بعد

اخص بهذا القول ايها المبعوث الحرّ مسلمي ومسيحي العرب فالاتراك قد ابتعدوا عنا شوطاً بعيداً وبلغوا من الرقي مكاناً قصياً واعطوا على ترفع

غايتهم و بعد نظرهم برهاناً حسياً . واذا كان « لطنين »(١) عندهم المقام الذي تسمع به كان كل ما يطلبه الاتراك ان تبقى لغتهم لسان الدولة الرسمي وان تكون بعد تعميم طريقة التعليم لغة المخاطبات والمحاكم والجيش . ولا طلب احق واعدل من هذا . فالدولة التي كرستها الاجيال والعنصر الذي نفخ في البلاد روح حياة جديدة والذي يتنازل عن امور كادت تكون حقوقاً بحكم مرور الزمان لخليق ان تبقى لغته لغتنا الرسمية . وجدير بنا ان نعترف بفضله بعد كل ما فعل، فيخلق بكم و بنا ايها الوطني الصادق ان نحذو حذوهم يخلق بكم و بنا ان ننفض عن ثيابنا غبار الخمول ونمزق حجاب التعصب ونعمل جنباً لجنب على زيادة عمران هذه البقاع الجميلة والجنائن الزاهرة

ايها المبعوث الصادق

ان البلاد التي أقلت فيما مضى الملايين من عباد الله والتي غذتهم من لبانها مع صعوبة المواصلات بذلك الوقت لم تغض ينابيعها ولا نضبت مواردها

ايها النائب الكريم

ان البلاد التي استلمت زمام التمدن الكوني زمناً ليس بيسير لقادرة بعد ان تمثل مثل ذلك الدور على مسرح جهاد الحياة

ان تلك السماء لم تزل زرقاء صافياً اديمها . وهذه الجبال لم تزل شماء عليلاً نسيمها وذياك الوادي لم يزل ذا ضرع حلوب وهؤلاء السكان لم يزالوا بذكاء عجيب . انظرهم في ارض الفراعنة تراهم قادة افكارها وساسة امورها وخزنة اموالها، وان قبل ان تأخر المصريين وتشابه العادات والاخلاق

(١) الجريدة التركية المشهورة

ووحدة اللغة ساعدهم في الترقي فانظرهم في ارقى بلاد الله علماً وارسخها في المعارف والتقدم قدماً · في البلاد التي زمَّ أهلها الهواء بابرة ، وقادوا الماء بشعرة ، واستنزلوا ماء الغمام بنظرة · في اميركا ام الغرب تراهم يشغلون على حداثة عهدهم فيها مركزاً حيَّر عقول الفرنسيس والانكليز والالمان

اكرر ذلك ليتضح ان في البلاد قوى حيوية محفوظة لو تيسَّر أو لو عرف العال استخدامها لأتت بنتائج مدهشة · اقول ذلك ليتضح ان كل شيء في البلاد من مركز جغرافي وموقع طبيعي وذكاء اهلها وجرأتهم يؤهلها لمستقبل لامع اذا انتفت الريبة وعمل بنوها على قاعدة المساواة الفعلية جنباً لجنب والله الهادي سواء السبيل



كلمة في يوسف فرنكو باشا (١)

للمرة الاولى التي اسعدتني بها الايام للوقوف بحضرة الوزير متكلماً ، يشق عليَّ ولو كان متصدراً هذا البيت ومولبه منة ونعمة تغبط بها احشاءه وجوارحه ان القي الكلام على عواهنه واتسرع بالثناء قبل التثبت او اكون من المملقين. ولكن اذا تمحصت الامور وتميز غثها من سمينها كان خير ما تنطق به ألسنة الخطباء وتنم عنه وتجود به قرائح الشعراء الثناء الحق على اهل الفضيلة والحق ، اذا تمحصت الامور كان اشرف وابهى ما تحرره المحابر لقولٍ تباع به اعمال الرجال باثمانها وتكال وتوزن افعالهم ومبادئهم باوصافها واوزانها

ان من اجال بهذا الجبل العزيز نظراً ولم يكن من اهل الوقوف الصحيح على احواله وشؤونه يرى لاول وهلة فيه من آثار الاضطراب ودلائل التشويش والاختلال ما تنقبض له نفسه . ولما كانت الحكومة هي وازع البلاد وزعيم الامن فيها وكفيل الراحة والرقي استنتج ذلك الناظر ان البلاد اعتلت احكامها واختلت امورها. ولما كان رئيس الحكومة هو المسؤول بادارة دفتها وتسييرها كان بالطبع هو المطالب اولا بكل خلل ولذلك كان لرئيس حكومتنا الحاضرة اثر اعلان الدستور وحلّ عقدة اللسان والقلم من المؤاخذين والمعنفين المنتقدين ما لم يكن لاحد غيره من قبل . غير انه اذا

---

(١) دعا الفقيد يوسف فرنكو باشا متصرف جبل لبنان الى تناول الغداء على مائدته في زحلة عام ١٩١٠ وحياه على المائدة بهذه الكلمة

نظرنا الى الحالة الحاضرة بعين الرأس لا بعين الوهم والخيال وبحثنا بحوادثها على ما يقتضيه العلم والعقل لا على ما تدفعنا اليه الاهواء والاميال ، لبان لنا ان ذلك الاعتبار ملوءه الغلو والمبالغة ، وان البلاد لا اضطراب فيها بمعنى الكلمة . لبان لنا ان حالتنا اليوم هي حالنا بالامس ومن قبل وان لا فرق بين يومنا وامسه الا ان كنا لم نجسر ان ننظر لذلك خشية العذول والرقيب ، ويومنا هذا ننظر اليه ملء عيوننا لا حاسد نخشى ولا نمام

نعم ان هنالك زيادة بالحوادث السائرة والجنائية لا يمكن نكرانها غير انه ليس من العدل ان نلقيها على عاتق رئيس الحكومة ونبرأ البلاد منها وعندي ان البلاد تحمل عيبها في قلبها في اشكال وغموض نظامها

ماذا يقوى على عمله الفرد اذا كان مجموعنا لا يتفاهم . اذا لم يكن عندنا خطة بينة ولا قاعدة صريحة ولا زعامة ولا احزاب مسؤولة؟

ماذا يقوى على عمله الفرد اذا كان كل منا يهيم في واد ويغني على ليلاه ؟ وهل كان لغير هذا الفرد من الظروف الصعبة والمركز الحرج من نظام امتياز يتعارض ولا يتفق احياناً مع الدستور ودستور اساسه الغاء كل امتياز ؟ ومجلس ادارة يستمد له من نظام الامتياز وتقاليده شبه صفة تشريعية يحاول العمل بموجبها ودستور لا يرى له الا صفة ادارية بسيطة يوجب ان يقيده بها واهواء اطلقوا لها العنان فراحت تعيث في البلاد فساداً ، ومن وراء تلك الحالة يجر دولة المتصرف ذيل الحيرة؟

فان استعمل الشدة قلنا له : يا ايها المستبد . وان تقيد بالدستور واعطى الامور مجاريها قلنا له يا ايها المتردد . اي والله انها لحالة لا تطاق ولا حل لها

الا بتعديل النظام عَلَى شكل يزيل الفوضى والاشكال

ومع ذلك لقينا دولة الوزير يتلقى هذه الحوادث بصدر رحب وجأش ثابت ساهراً على المصلحة العمومية وحريصاً عليها سائراً بالسفينة بين الصخور المعترضة والامواج المتلاطمة حتى امنها الخطر ولذلك سيأتي زمن — يوم يقف التاريخ موقف الحاكم العادل وتظهر اعمال الرجل بمظاهرها الحقيقية فيقول انه كان من خيرة الحكام علماً وعقلاً وادباً — سيأتي زمن يقال فيه انه كان مثال العفة والنزاهة · سيأتي زمن يقال فيه انه بالرغم عن . توتّر العلائق بينه وبين المجلس الكبير تحسنت مالية البلاد بايامه وتنظم داخلها وخارجها فأمن مأموريه على غدهم · وكفى البلاد شرّ خروجهم · ولذلك اني عن اقتناع تام وبملء الافتخار ارفع هذه الكأس لاشربها عَلَى ذكر الوزير صاحب الدولة يوسف باشا فرنكو · على ذكر رجال حكومته الامناء · على ذكر لبناننا العزيز وهو على علوّ حقوقه وواجباته · على ذكر هذا الوطن الصغير وادينا الخصيب مؤتلفة قلوبه وقد تكاتف ممثلوه تحقيقاً لاماني الوزير الخطير



كلمة امام اوهانس باشا

آخر متصرف في الجبل قبل الحرب (١)

يا حضرة الحاكم

ان البلد الذى عهدت ادارته اليك قد جارت عليه الايام ورماه الدهر بكلكله · فعلى اثر تبدل العادات وشروط المعيشة وزيادة النفوس المحسوسة وحوادث خطيرة نزلت بنا و بالبلاد المجاورة و بسبب حكومة لبنانية تضعضعت احوالها واضطرب حبل الامن فيها ، نضبت موارد البلاد واقفرت منازلها وهاجر بنوها ولكنهم في دار هجرتهم مع حرصهم عَلَى عرى الجامعة العثمانية الشديد الفتوا انظار الامم الى حالة لبنان واضافوا صوتهم الى صوتنا فتكوّنت المسألة اللبنانية

ومن الناس فئة لا خلاق لها اتهمتنا بالمروق وما نحن بمارقين — اما العقول الصحيحة والقلوب النقية فميزت بين طلب الحياة والخروج وعرفت ان السعي وراء مكان تحت الشمس شيء والنزوع الى الانفصال شيء آخر

يا حضرة الحاكم

ان للشعوب تخيلات تحييها وتنميها بل ان الشعوب الحية تتغذى بهذه التخيلات ولم يكن اللبنانيون اقل الشعوب ميلاً الى مثل تلك التخيلات

---

(١) دعا المرحوم سليم بك ايوب ثابت اوهانس باشا آخر متصرف في الجبل قبل الحرب العامة وعقيلته الى حفلة شاي في (بئر حسن) ضمت عدداً من سراة بيروت ولبنان فالقى الفقيد فيها بالافرنسية هذا الخطاب

ولو عرفت حكومة جلالة السلطان اثر اعلانه الدستور ان تربي في صدرنا هاتيك العاطفة ولو احسنت سياسة الملك بعدل حقيقي ومساواة فعلية لما كنا حافظنا كما نحن فاعلون على عرى الجامعة العثمانية بل كنا نفتديها بدمائنا

ومن الان الى ان تشرق شمس ذلك النهار لنفتكر ان شئت يا صاحب الدولة بتخيلنا الوطني الصغير · ابعد غاية للبنانيين تدور حول الحرص على امتيازاتهم وتوسيعها ليتمكنوا من الحياة · اسمى غاية للبنانيين لهي ان يحتفظوا بنظامهم الاساسي والسير بموجبه واستثماره بصورة ذكية ليؤخذ منه كل ما يمكن ان يعطي احرّ امانيهم ان يروا سلطة تدير الشؤون بعدل وعلم وحزم · ان يروا تلك السلطة تسهل لاصحاب الاموال سبل استثمار كنوز الارض الدفينة · ان يروها اذا اقرت على امر لا ترجع عنه

فاذا كنت يا مولاي لهذا العمل مستعداً واذا كنت به جديراً ملكت قلوب اللبنانيين والا فلا تعذر

سيدتي

ان الامرأة لا تخرج عن حدّ صلاحيتها اذا درست الادواء الاجتماعية لتعالجها · الامرأة لا تخرج عن حدّ صلاحيتها اذا قادت قلب زوجها الى موطن التسامح والتساهل وتناسي الاساءة · الامرأة لا تخرج عن حد صلاحيتها اذا قامت هي بالاعمال الخيرية وقلوب اللبنانيين تعتقد انك ستكونين ذاك الملاك وعسى ان لبنان الهادىء المخلص لا يجعلك تأسفين على ضفاف البوسفور اللامعة

وعليه ارفع الكأس لاشربها على ذكرك وذكر قوجيان باشا حاكمنا الجديد وعلى ذكر لبنان يتمتع بفضل ادارته بالراحة والهناء وعلى ذكر الرجل الذي تفاءل بك خيراً واقنعنا ان نتفاءل — سليم بك — وعلى ذكر وطني الصغير زحلة

ان الرجال تذهب • ولكن الاعمال تبقى [1]

باسم المدينة والاخوان البقاعيين الذين كلفوني لاعبر عن عواطفهم ارحب بك واحييك

ان مدينة الحدود زحلة تعتبر اختيارك لها منبراً يتلى فيه التصريح التاريخي الذي سنسمع اليوم مكافأة لوفائها وثابت ولائها ، ذلك الولاء الذي حبطت عنده كل دسائس ومساعي الخصوم وارتدت عنه حاسرة

اما زيارتك هذه التي اتت بعد الحوادث التاريخية الاخيرة فنعتبرها دليل عطفك على زحلة عاصمة لبنان ومصدر الحركة الفكرية فيه وبرهاناً لنا بان ساعة الخلاص قد دقت وعهد التعويض قد فتح

لقد بترت يد الجور لبنان من الشرق والغرب فكان في جنبيه جرحان داميان عاش منها متألماً متوجعاً وتألمت اكثر منه مدينة الحدود زحلة وعرفت اياماً شديدة ولولا نشاط اهلها لقضي عليها اختناقاً • ولكن اخواننا البقاعيين الذين سلختهم المظالم التركية عنا تحملوا ما لم نتحمل وعرفوا ما لم نعرف من انواع الاضطهاد والتعذيب لاستمرارهم على حب لبنان والامة النبيلة الحامية ذماره • غير اننا لم نيأس ولم يعرف القنوط من قلوبنا مكاناً وبقيت انظارنا متجهة نحو الغرب حيث نعلم ان هنالك امة ساهرة يقظى • حيث هنالك امة اخذت على عاتقها منذ القدم مناصرة الضعفاء • حيث هنالك امة سفكت في

---

(١) الخطاب الذي القاه بالافرنسية في حضرة الجنرال غورو يوم اعلان لبنان الكبير في ٣ آب سنة ٩٢٠ في نزل قادري في زحلة

اقطار الارض الاربع دمها دفاعاً عن الحقوق المهضومة · حيث هنالك امة تاريخها من عهد « كلوفيس » الى «سواسون» ومن « سواسون» الى « فلمي» ومن «فلمي» الى «المارن» كانت جهاداً مستمراً في سبيل المبادىء الحرة الصحيحة، مبادىء العدالة والحرية ، ولذلك لم نيأس ولم نقنط بل بقي ايماننا حاراً على علو الكوارث والمصائب النازلة بنا

ولقد قدر ان تلك الامة نفسها كانت في مركز شبيه بمركزنا ، وكان في جنبها جرح دام ، ولكنها وثوقاً من حقها وفي مقدرتها الخالدة انتظرت من العدالة اعادة الحق المسلوب فلم تحرك ساكناً ولم تعكر للسلام كأساً · ولما ساقت الدول الوسطى الحوادث بسرعة ودوى مدفعها على ضفاف « الرين» شهرت هذه الامة سيفها واقسمت ان لا تعيده الى غمده الا بعد ان تنقذ المدنية والعالم وتستعيد ولايتها ، ولقد برت بقسمها وانجزت وعداً

حين ذاك عرفنا ان دورنا سيأتي · حين ذاك رأى العالم مشهداً تاريخياً وحيداً · رأى ان هذه الامة التي يسيل الدم من كل جوارحها تنسى نفسها مرتفعة الى طبقات غير معروفة بعد ، لتضمد جراحات الغير وتحطم قيود الامم الرازحة تحت نير الاستعباد · لذلك رأينا هذه الامم من « تشك » و« يوغوسلاف »و« بولونيين » و« رومان » وغيرهم يتألبون ليتغنوا بامجاد فرنسا

وهنا يا حضرة الجنرال مليون صدر لبناني يردد هذا الغناء · اخواننا المنتشرون في اقطار الارض والمسافرون في البحار · وشيوخنا الذين قوس الدهر ظهورهم · وشباننا في الحقول · ورعاتنا في المروج · وفتياتنا الابكار

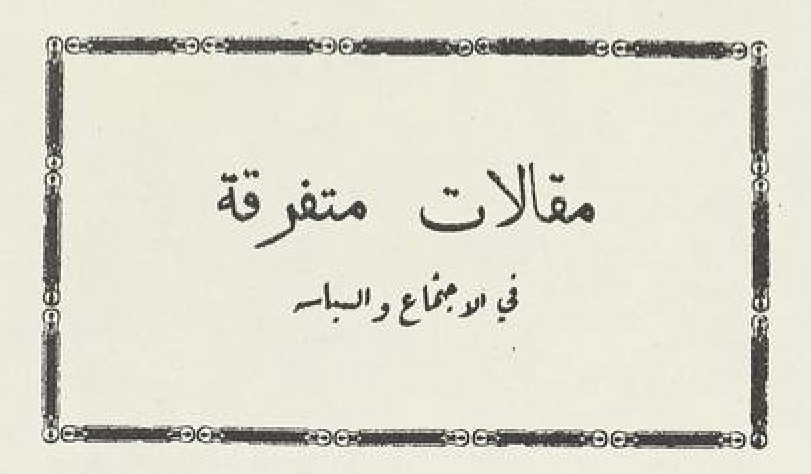
في المعامل . يتغنون اليوم بامجاد فرنسا و ببار كون اسمها

ان الرجال تذهب ، يا حضرة الجنرال ، ولكن المبادىء ، ولكن الاعمال تبقى . وعملك هذا من الاعمال التي تدخل في التاريخ وتمنح فاعلها الخلود فاهنأ به

نحن قد مالت شمسنا الى الغياب ، وقد لا نتمتع بلذيذ نتائج هذا العمل ولكن سيذوق البنون من بعدنا والاحفاد طعمه و يتمتعون بلذاته . وكما ان فرنسا الحرة الديمقراطية قد برّت مع لبنان بوعودها ونفخت فيه روح الحياة فصار امة فانها ستحرص ايضاً على استقلاله واستبقاء ادارته الداخلية وتدربه على طرق الحياة الحرة . ومن الان قد انبثق امامه فجر ذلك اليوم العظيم العتيد الذي سيكون فيه اللبنانيون بفضل توحيد طرق التربية والتعليم ابناء لامّ واحدة هي الوطنية . ومن غير ما ذكر مذهب ومذهب ينبثق منذ الان فجر ذلك اليوم العظيم الذي تسير به الامة اللبنانية في معترك الحياة حرة نشيطة بجنب كافلتها ومهذبتها ووصيتها فرنسا العظيمة

ونحن نعاونك في عملك الشاق يا حضرة الجنرال باهتمام لازالة الاحقاد من بيننا والانصباب على العمل المثمر ، ونتمنى تحقيقاً لهذه الامنية ان ينسى الماضي و يسدل عليه ستار الصفح والعفو





مقالات متفرقة

في الاجتماع والسياسة

العنصر العربي بين العثمانيين

لسان الحال ١٩٠٨

اهمها عدداً واخصبها تربة واصفاها سماء واوسعها مساحة واشقاها حالاً بين الثلاثين مليوناً التي تتألف من عناصر دولتنا العثمانية يتمثل العنصر العربي وحده باربعة عشر مليوناً واذا اضيف الى هذا العدد قبائل البدو الرحل التائهين في فيافيه وبواديه لعد نيفاً وثمانية عشر مليوناً فهو اذن العنصر الغالب ولو كان عنده شعور وطني واحساس قومي لظهر في الدولة بمظهر الرأس المدبر والساعد المنفذ

بين السهول المخصبة التي تغذي الملايين من عباد الله والاودية المثمرة التي لمستها الطبيعة او الصناعة بمسحة الجمال والجبال الشاهقة التي تتخذها له الانسان في الصيف مقراً لا تجد اخصب من بطاح سوريا وما بين النهرين ولا اوفر انماء لشجرات الارض وكنوزها ولا ادرّ لبناً وعسلاً ولا هواء انقى ولا نسماً ادعى للحياة من نسم لبنان وكلس والقلمون

ولو قابلت بين الشعوب الضاربة في مشارق الارض ومغاربها لما تمثل العربي بينها اقل ذكاء واضعفها حنكة وخبرة ولا كان ابعدها عن مواطن الصواب

بل اذا نظرت اليه نظرة الباحث المستفيد لوضعته في طليعة الشعوب جرأة واقداماً ، واذا تأملت فيه بديار الغربة لوجدته على حداثة عهده في اميركا يشغل مركزاً حير عقول الفرنسيس والالمان والسكسون

الاميون الجاهلون الفقراء من بني العرب هم النازحون باول الامر الى

العالم الجديد وهم هم بعد مرور اقل من ربع قرن ، حادث وحيد في التاريخ ، الذين ولدوا الصحافي المدقق والمحامي الواسع ، والطبيب الضليع ، والعالم الباحث ، والتاجر الكبير

واذا وقفت في قلب الارض العربية متأملاً وجدتها والشوك شعارها ضئيلة بخيلة تشح على بنيها بالقوت والغذاء حتى ضاقت بهم على رحبها فهجروها الى غيرها سائلين مستجيرين

واذا دققت النظر بهذا الشعب النشيط الذي قيل عنه ان الذكاء يتدفق في ازقته وشوارعه وخصته في بيته لرأيته نافراً ذليلا لا شعور قومي ولا احساس وطني فيه ، واذا تحرك فلسعاية باخيه

من غريب ما نرى من المضحكات المبكيات بين ان الالبانيين مثلاً وهم المليونان يتألبون لتأييد قوميتهم ، والارمن وهم النذر اليسير يتضافرون لتعزيز جنسيتهم ، واليونان وهم الفئة القليلة يتفانون في سبيل تمكين سيطرتهم والاتراك يبذلون من روحهم حتى دمهم لتأييد ارجحيتهم وسلطتهم ترى العربي في العراق والشام ولبنان منصرفاً بكليته لخصوصياته حاصراً همه ضمن نطاق بيته الضيق مهملاً النظر في ما وراء الافق منقطعاً عن الاعمال السياسية الوطنية معتزلاً عن التدخل بشؤون البلاد العمومية ، قنوعاً بما اعطي غير مطالب بحق مهضوم ولا معاتب عن مركز تربع فيه الغير

بتنا على الاستبداد دهراً ولم نبد حراكاً ولم نظهر احتجاجاً حتى يسر الله لنا النجاة على يد اخواننا احرار الاتراك ولولا بعض مظاهرات خطابية وحفلات سطحية قامت بها بيروت لانتقل الوجود العثماني من طور الى طور

وما دربنا . هذه هي الشام وهي كعبة الاسلام وريحانة العرب اية لجنة شكلها امراؤها اهل البيوت الراسخة العتيقة للنظر في شؤون البلاد واحتياجاتها وهذه هي بيروت مدينة العلم اية دعوة صدرت عنها للبلاد، واية جمعية وجدت فيها لايقاظ القوم من سباتهم العميق

نتبرأ اليك اللهم من تهمة الفتنة ونترفع عن وصمة الميل الى الخروج او النزوع الى استقلال نوعي ام مطلق بل بالعكس انا نرى مقتنعين اقتناعاً صحيحاً ، ان حياة البلاد بانضمامها لسائر العناصر العثمانية انضماماً وثيقاً يحول دون تدخل الاجنبي فيها ولكن ان رجونا ان يكون لنا في الدولة شأن بنسبة اهميتنا فيها فطلب عادل وان سكتنا عن تبيين الحقوق وطلبها فجرم لا يغتفر واذا لم نكن اليوم في الدولة ما يجب ان نكون فمتى ؟

المساواة الفعلية هي وحدها الكافلة احترام الجميع للسلطة الرئيسية وتمكين عرى الاتفاق بين العناصر كلها فمن طلبها ادى البرهان الساطع على سلامة نيته وصدق تابعيته ، ومن منعها عمل على تفريق الكلمة وتمزيق البلاد



المبعوثان

او مجلس الامـة الجديـد

(لسان الحال ١٩٠٨)

قطب آمال البلاد ومحط رحالها او المحور الذي تدور عليه امانيها في حالها واستقبالها ادال الله به لحكومة الشورى من حكومة الافراد لحق الحق وزهق الباطل ، ان الباطل كان زهوقاً

سارت به الصافنات الجياد من اعالي ارمينيـا تنهب الفيافي والفلوات وسرت به العيس ظمأى من شواطئ دجلة والفرات تطوي البطاح والوهاد فشيعته ربوعها الآيسة وودعته اطلالها الدارسة بزفير الوجد والحب والدعاء تلك ترى فيه بلسماً لقروحها وضماداً لجروحها وهذه تجزم ان به لدار السلام البعث بعد الممات . واقلته من وادي الروم الفلك في بحر اشتد هياجه وتلاطمت امواجه وحاديها كلها الى ضفاف البوسفور الامل والرجاء

قدر الله لهذه الامة يقظة بعد سباتها العميق وافاقها من غفلة ظن من ورائها الفناء فهبت لجمع شملها الشتيت وانتبهت لشد بنيانها المتداعية اركانـه فانزلت نوابها في عاصمة السلاطين يشاطرونهم الامر ويقاسمونهم الحكم فكان ما يقضي به العدل او يعدل معه القضاء

سنة الله في عباده بل قل هي في النواميس الطبيعية ، سنة الارتقاء يستحيل معها بقاء الفرد مستقلا بالامر مستأثراً فيه يتصرف بشؤون الجماعة كما شاءت اهواؤه ام اهواء المقربين . والرعية العاملة المثمرة التي هي قوام الممالك وسياج الدول بعيدة عن الاحكام تساق للذبح سوق الانعام لا رأي لهـا في ادارة

امورها ولا علم بسياسة مهامها وشؤونها فلا لوم عليها ولا تثريب اذا انكرت الامر ونقمت على خطة المستأثرين ولا عار ولا مذلة على الرؤساء ان شاركوها بالحكم واقالوا انفسهم عناء سوء الظن والريبة وهم لا يقوون منفردين ولو حسنت النيات على معرفة حاجاتها ومعالجة مواضع الخلل فيها . وفي مركز ادوار الثابت المستقر وحال غليوم القلقة المضطربة بهذه الايام عبرة وذكرى لقوم واناس يعقلون

والفرد لا يعدم وسيلة يبقى له فيها القول الفاصل بحل المشكلات وفك المعضلات وتسيير دفة الحكم على حسب رغائبه اذا انست منه الجماعة قصداً نبيلاً وغاية متجردة ونظراً في الامور بعيداً كما ترى في اعرق الممالك نسباً ، « انكلترا وفرنسا وابطاليا » فنظامها الشوري البحت يقيد الملوك ويغل يدهم ويجعل الوزراء طوع ارادة الامة الحاكمة باكثريتها في المجالس ولكنه لم يمنع سياسياً خبيراً مثل ادوار ان يقبض على دفة الحكم يديرها بصورة يخالها المتأمل حكماً مطلقاً ولم يقف بوجه وطني همام مثل كليمنسو يدير شؤون الدولة الفرنساوية بجرأة واقدام اعجب فيها الرؤساء المطلقون ولم يثبط عزم كرسبي عن السير بوطنه لمصالحة دولة آل هبسبرج والتحالف معها وهي اشد الدول خصومة على الطليان

اما مجالس هذه الدول الغربية فسلطتها لا تقف عند حد فالحرب تشهر بمعرفتها ويقرر السلم بمباحثتها وتجبى المكوس والرسوم بارادتها وتفرض الضرائب بواسطتها وتسن الشرائع بمذكراتها ويحور النظام ويسار به مع روح العصر تعديلاً وتبديلاً باقتراحاتها ويؤخذ الوزراء من قلب اكثريتها

فيصبحون مسؤولين امامها وحدها ويحكمون حسب رغائبها ووجهتها فترفعهم للأوج وترمي بهم من حالق في اليوم الواحد وهم صاغرون· ولو ذكرت لما تضطرب الامور وتمر في احدى هذه البلاد ريح سموم كيف يطلب الوزير لهذه المجالس ليؤدي حساباً عما فعل فيدخلها واجفاً سائلاً مستجيراً لقلت سلام الله على دعاة الاصلاح وقادة الافكار الذين رفعوا العقل البشري الى هذا الحد

غير ان ليس لسائر المجالس النيابية الاوروبية السلطة التي لهذه· فالرشستاغ الالماني ينهي ويأمر في المسائل المالية وما خرج عنها فلا تتجاوز قراراته حد التمني ولكنه آخذ اليوم فيما نرى بطلب تقييد الامبراطور وتوسيع دائرة اختصاصه وربط الوزراء فيه ولا يظن انه يخفق سعياً ، والمجلس النمساوي يحذو حذو الالماني اليوم ولو كان اوسع سلطة منه ، والمجلس الروسي او الدوما لهو المجلس الاوروبي الوحيد الذي لا يعمل بارادة الشعب ولا يقوى على انفاذ رغائبه فلقد ناهض العرش زمناً والعرش صفعه ولربما نشأ من تفرق الكلمة واختلاف العناصر وتباين الاخلاق والمصالح وبعد المسافات الاسباب التي منعت البلاد عن التفاهم وحالت دون انفجار بركان الرأي العام ولكن سوف يأتي زمن تجد لها تلك البلاد المترامية الاطراف نقطة للوفاق فتفعل او تتمزق حذائق طرائق ولا تبقى منقادة بشعرة الاستبداد كما هي اليوم

اما مجلسنا الجديد « لا ارانا الله به سوءاً » فهو في المهد طفل رضيع لا يكثر فيه حنو الامهات ولهفة الاباء وانعطاف الاخوة ليقوى على النشوء والارتقاء فهنالك مصالح متباينة اذا لم ينظر اليها نظرة مساواة فعلية فرقته تفريقاً· هنالك عناصر مختلفة اذا لم تكن كلها مشبعة بروح الحرية الحقيقي

وهو التساهل مزقته تمزيقاً ، هنالك امتيازات توجب في تقريرها دهاء ومروءة وثباتاً . هنالك صلات دقيقة بينه وبين العرش تحتم عليه في باكورة اعماله ان يحددها ويعرف عنها بتصرف حسن وذوق سليم وحنكة كافية . هنالك اعيان وجب ان يقيدهم برأيه والا ذهبت اتعابه ادراج الرياح . هنالك وزارة لامندوحة له عن ربطها به ربطاً محكماً متيناً فتكون منه واليه وتصبح مسؤولة باعمالها امامه . هنالك عرى دقيقة بينه وبين الامة لا غنى له عن تبيانها وتمكينها ليقوى بها اذا مست الحاجة على مصادمة الاهواء . هنالك الضمانة العاجلة التي ترتب عليه ان يعطيها للرأي العام على حفظ الامن والنظام هنالك الثقة المالية التي يخلق به ان يستعيدها لتناول الاموال الاجنبية للبلاد فتحيا بها . هنالك اخيراً خلل دهر بل دهور في كل ادارات الدولة من اقتصادية وعدلية وملكية تقضي الضرورة بسرعة النظر اليها . وفق الله نوابنا لما به خير الامة والهمهم روح التساهل الحقيقي وكان لهم على نبذ الاهواء الشخصية والاميال المذهبية معواناً . ولقد قيل ان آخر الدواء الكي فهذا هو الكي فاما من بعده الموت واما من ورائه الحياة



لا احرار في لبنان ولا محافظين

مقابلة بين الاحزاب السياسية عندنا وفي سائر البلاد المتمدنة

(الاحوال ، السبت في ٢٦ ايلول سنة ١٩٠٨)

الاحرار فيه كالمحافظين والمحافظون كالاحرار لا همَّ لهم الا نيل غاياتهم الشخصية وانفاذ مآربهم الذاتية والغايات والمآرب وجهتهما المثلى الوظائف والايقاع بخصومهم تشييعاً وانتقاماً . فاذا سمعت احتجاجاً ورأيت اعتراضاً او نظرت انتقاداً او اتصل بك خبر تعريض وتعنيف فسل هل من وظيفة هنالك لا هل من امرأة .

ان من اجال في بلاد الله الواسعة نظراً . من الصين المنغمسة في ظلمات الجهل والغباوة . الى الشعوب الانكلوسكسونية المتربعة في اعلى كرسي من السلم الاجتماعي يرى فيها الاحزاب المشروعة الصحيحة القائمة على اسس بينة ولوائح صريحة لكل منها شعاره ولكل مزيته والكل يبذل قصارى الجهد بالطرق القانونية وفي رابعة النهار لا تحت جنح الدجى لترجيح آرائه وتعزيز مبادئه فاذا قُدر لفريق الفوز ونال ما تمنى قبض عَلَى ازمة الاحكام وساس شؤون البلاد على محور احكامها وشرائعها وباشر باستقامة بتنفيذ بنود لائحته وشروطها التي تألبت حوله لاجلها الاكثرية واذا قدر له الفشل ثابر غير هياب ولا وجل عَلَى العمل وزاد في نشاطه ووقف وقفة المنتقد على اعمال الحكومة المعترض على قراراتها المعنف عند وقوع خروج . المنبه عند حدوث ذهول بائناً من روحه في الشعب ممتنعاً عن الاشتراك بالاحكام وقبول وظائف في

حكومة لا ترى رأيه الى ان يتسنى له الفوز فيستقيل على الاثر اعضاء الحكومة السابقة من كبيرهم الى صغيرهم ويشغل مراكزهم الفائزون فيديرون دفة الحكم على حسب نقداتهم السابقة — ويا ويل من حنث — ويصبح السالبون الموجبين والمصدقون المعترضين

اذا وقفت في البلاد الانكليزية موقف الباحث المستفيد رأيت فيها المحافظين الطالبين بقاء اقديم على قدمه الا ما لم يعد منطبقاً عَلَى روح العصر المستمسكين غير خجلين بامتيازات وتقاليد تكاد لا تصدق عند اول شعب انبعثت عنه روح الحرية والمساواة الراغبين في سياسة التوسع والاستعمار ثم الاحرار المجاهرين بوجوب نقض الاساس القديم الناقمين على سياسة التوسع التائقين لمنح الاستقلال النوعي الاداري لكل من العناصر التي تتألف منها مملكتهم الواسعة الاطراف

واذا تأملت في الشعب الفرنسوي تأمل الناقد البصير بانت لك الاحزاب الملكية المتنوعة وبعدها الجمهورية المتلونة احدها بلون الاعتدال رغبة السير في طريق الفلاح تدريجاً دون هزة ولا اضطراب واحدها بلون التطرف القاضي بوجوب فصل الكنيسة عن الحكومة ولزوم سن الضريبة على الايراد واشتراك الفاعل بالراسمال في بعض الظروف وتمكين العجزة من تقاعد يكفل خروجهم من هذه الدنيا مستورين وبعد الاثنين الاشتراكيون الذين يحلمون بهدم السلطات والحدود الفاصلة بين الشعوب وقد يفلحون

واذا نظرت الى الممالك الالمانية ذات العناصر المختلفة ظهرت لك لاول وهلة اعلام المحافظين والمتطرفين والاكليريكيين وغيرهم

وهكذا في كل بلاد ذات فكر، وفي ذلك ما فيه من ضمانة المصلحة العامة وازدهارها بطريق التنافس الادبي الحاصل بين الاحزاب حتى قيل ان الاحزاب لازمة للبلاد لزوم الهواء والماء لا حياة لها بدونها فما احرج موقف الحكام المتقين بين شمال خوف السقوط والزلل وما اجمل موقف المعترضين الدالين على مواضع الخطإ والخطل. هذه هي الاحزاب لا ما ترى بين عمون وقبلان او شكيب و كنعان او حبيب وزهير او مالك وجابر

فلما منَّ الله علينا بالدستور وحل عقال اللسان والقلم ورأينا من سموا انفسهم احراراً ينادون بوجوب الاصلاح وسمعنا من لم يجسروا ان يلقبوا ذواتهم محافظين لا يشجبون كل انواع الحكم القديم قلنا لقد بانت في بلادنا والحمد لله الاحزاب الكافلة لها ترقيها ونجاحها وانتظارنا، وقد كنا في مقدمة المجاهرين بوجوب وجود الاحزاب القانونية اذ يقوم زعماء الحزبين بتعيين بنود خطتها لتكون العامة الواقفة موقف التردد علَى بينة من امرها لترجيح احدى كفتي الميزان ولكن ساء فألنا لما رأينا الاحرار والمحافظين مختلطين بعضهم ببعض اختلاط الحابل بالنابل بل شدّ ما كان اندهالنا لما تحققنا ان لا احرار ولا محافظين في لبنان وان ليس هنالك الا مطامع شخصية لا تبقى بعد نيلها حاجة في نفس يعقوب

اي جناب عمون بك. اما وقد تبسطت في المنصب الذي تريده ويريده لك محبوك الا يخلق بك وانت من نحب ونهوى — الا يخلق بك ان تخاطب الشعب بما تنوي وتضمر وتقصد وتستر؟ الا يخلق بك ان تعلمنا رأيك في المباحث الاصلاحية الاساسية التي يجب ان تدور عليها حركة

الافكار اليوم حتى اذا تقاعدت طالبناك او التوى القصد لا سمح الله ناهضناك ؟

وانتم يا معشر المحافظين الاحرار . يا زعماء البلاد . يا دعاة الاصلاح وقادة الافكار ما هو رأيكم

١ — في ميناء الجبل

٢ — في المبعوثين وموقف مندوبيكم فيه

٣ — في مجلس الادارة

٤ — في تحوير انتخابه

٥ — في تقييد سلطة المتصرف

٦ — في تأمين الملكيين والعسكريين على وظائفهم اسوة باهل القضاء

٧ — في الرسوم المستحدثة

٨ — في زيادة رواتب المأمورين

٩ — في اعادة مساحة املاك الجبل

١٠ — في مسألة احصاء النفوس

١١ — في تدخل الاكليروس بالشؤون العامة

١٢ — في نسبة الوظائف للطوائف . وبما يرتأيه غيرنا من الامور التي يرجى منها لهذا الوطن العزيز فلاح وصلاح ولما كان يتعذر ان يكون الكل على هذه البنود متفقين فتتمثل للبلاد حينئذ الاحزاب جلية بلوائح ظاهرة ويقوم الزعماء بالمهمة التي انتدبوا او انتدبوا انفسهم لها ونحتم اولا على نواب الشعب ومن ثم على طلاب الوظائف قبل تبوء المناصب ان يبدوا رأيهم فيها ليعلم هل من اكثرية تلتف حولهم والحانث بعهده لهو الخائن الاثيم

الخال وابن الاخت

ادوار السابع وغليوم الثاني — انكلترا والمانيا —

(الاحوال في ٢٦ ايلول سنة ١٩٠٨)

نسيبان يقلقهما البعد و يؤنسهما اللقاء يتزاوران و يتعانقان فتدمع العين تأثراً من رقة شعور النسيبين وان افترقا فهما صنوان يتبارزان في ميدان السياسة فمن كبا به جواد الفكر او حانت منه التفاتة طيش صفع فتدمع العين تأثراً من حقد النسيبين

بل هما فرسا رهان مضمارهما العالم ومسرحها الكرة الارضية يتزاحمان لنيل الاثرة والارجحية وضمّ الشعوب وعقد المحالفات ليوم اللقاء الرهيب

لقاء اصبح بين الدولتين لقاء محتوماً واصطدام سيزعزع اركان العالم لاضطرار كثير من الشعوب الى التدخل به فويل للضعيف

عرفت اوربة بعد الحرب السبعينية زمناً كانت فيه السياسة الالمانية قطب الرحى تدور حوله الافكار وتحوم المباني، الامر المطاع لساستها والقول الفصل لداهيتها (بسمرك) الذي اذا قال ردد معه الناس : اذا قالت حزام فصدقوها

والدول من حولها بين جريح انهك البراز قواه فقعد يضمد جراحه (فرنسا) ومبتهج تحين الفرص لجمع شمله وتوحيد كلمته (ايطاليا) وشيخ هرم اعياه السير فاستسلم للاقدار (النمسا) ومتردد هاله الامر فتربص (روسية) وحكيم تنزه عن التدخل بين القوم لتبقى سيطرته على العالم دون مساس فقال لهم اقتتلوا انتم علىَ القرى ودعوني ابتلع الورى (انكلترا)

ثم جاءت الايام مكرهة بسمرك على الاعتزال والقيت مقاليد الدولة الالمانية الضخمة ليد غليوم الشاب فتكهن الناس عن قرب تقلص النفوذ الالماني ولكن خاب ما كانوا يؤملون

نظر الامبراطور الشاب الى شعوبه فوجدها تنمو نمواً ضاقت به الارض على سعتها . ودقق النظر في صناعتها وتجارتها فاذا هي تثمر وتزهو ولكن قد يلحقها الفساد والبوار ان لم يفتح لها اسواقاً تستهلكها فاستشعر بذكائه الحاد ان حصر اهتمام دولته باوربة يسوقها لاحرج المواقف وان حياة البلاد لفي البحار وادرك ببصره النقّاد سرّ عظمة الانكليز فمال بكليته للاستعمار وعرف ان لا اسواق ولا مستعمرات ان لم يكن لها قوة بحرية تحميها فهب يستصنع المدرعات ويهيء الطرادات ويعدّ المدمّرات والغواصات دون ان يغمض له جفن او تذوق عينه طعم الكرى حتى اوجست انكلترا ريبة منه وخافت على صناعتها وتجارتها ومستعمراتها – وهي قوامها – فكان بداية التناظر والتحاسد بين الخال وابن الاخت

ما تسنم ادوار ذروة العرش البريطاني الفخيم وما استتب له الامر حتى اجال في الكون نظراً عميقاً فتراءت له مشاهد بعضها متصل ببعض وبعضها منفصل عن بعض فآلى عَلَى نفسه ان يتتبعها ويستدركها والا فلا تأمن الاثرة البريطانية غدر الزمان

تراءى لادوار ان فرنسا لم تبق عدو انكلترا المخيف وان حفظ فرنسا قوية يخشى جانبها وترعى حرمتها لازم لانكلترا اولاً وللتمدن الغربي عموماً فمدّ لها يد المساعدة وخطب ودّها ودفعها للتبسط في مراكش – تعويضاً

عن مصر — قبل ان يحوم عليها النسر الالماني وهنالك شدّ ازرها وعاهدها عَلَى الوقوف جنبها اذا اشتعلت جذوة الحرب فاطمأن خاطر الفرنسيس القلق وقاموا ينظرون للسياسة الكونية بقلب اقل ارتعاشاً واكثر جرأة من قبل فكان للخال على ابن الاخت الفوز الاول

وعرف ادوار ان ارتباط ايطاليا بالمحالفة الثلاثية مسبب عن ريبة الطليان من الفرنسيس فازال الريبة ومكّن الطليان من ولاء الفرنسيس ووثق عرى الصداقة بينه وبين ايطاليا الشابة وعقد معها العهود البحرية السرية فلن تقوى بعد المانيا على جرّ حليفتها معصوبة العين الى حيث تريد بدليل مناصرة الطليان للسياسة الفرنسية في مراكش وترجيح وقوفهم بجنب انكلترا بحوادث البلقان الحاضرة وكان للخال على ابن الاخت الفوز الثاني

وايقظ ادوار ممالك اوربة الصغيرة من غفلتها وعصبها معه مقنعاً اياها ان لا استقلال لها بدونه فدارت اسبانيا والبرتغال والدانمرك واسوج ونروج حول العرش البريطاني دوران الكواكب السيارة حول الشمس وكان له على ابن الاخت الفوز الثالث

وحاول الخال ان يقنع غليوماً وشعبه بوجوب توقيف الانشاآت الحربية البحرية عند حد فاخفق سعياً وكان لابن الاخت على الخال الفوز الاول

فتنمر الخال غيظاً وقام بعمل دهاء مدهش جمع به بين المتضادين ووفق بين الدب الروسي والحوت الانكليزي بين روسيا المطلقة وانكلترا الحرة الطليقة — وتباينهما مذهباً ومشرباً واخلاقاً وشرائع ومصالح — فسطّر التاريخ لادوار دهاءه ولقبه منذ ذاك الحين بملك السياسة وكان للخال على ابن

الاخت الفوز الرابع

ولم يفتقر غليوم لذكاء شديد ليفقه ان غاية هذه المحالفات تطويقه وتشديد الخناق عليه فانذر شعبه بهول الموقف وبات ينتظر الحوادث ويده على قبضة السيف وتودد للعثمانيين وتزلّف لجلالة السلطان واقام نفسه صديقاً وحليفاً لمائتي مليون من المسلمين ففتحت الاسواق العثمانية بوجه التجارة الالمانيـة وتقيّد العثمانيون بارادة الالمان واقصي ادوار وشعبه الحليف القديم وكان لابن الاخت على الخال الفوز الثاني

فصبر ادوار صبر الكرام ووجّه اهتمامه لتركيا وساق الحوادث بمهارة او ساقتها الاقدار على ما يشتهي فتغلبت الدولة الدستورية على الدولة الاستبدادية فوالى العثمانيون الاحرار الانكليز وعاد السلطان لصداقتهم وتصدّر في الوزارة صنيعتهم -- كامل باشا --

فاستكبر غليوم اعراض العثمانيين بعد ان ادى لهم من الخدمات في حرب اليونان وحوادث ارمينيا ما أدى ورأى نفسه شريداً طريداً لا سميع له غير بارودة الجاف ولا نصيراً الا سيفه المسنون فخلق المشاكل الخارجية للدولة الحرة ودفع حليفته النمسا لضم البوسنه والهرسك ففعلت ومالت البلغار لاعلان استقلالها فتجرأ اليونان على الحاق كريت وكان لابن الاخت على الخال الفوز الثالث

هذا هو سر الاضطراب في البلقان ولولا البراز بين النسيبين لتسوف دهراً ولكن الظروف مكنت بتناظرهما القاعدين على النهوض على ما قال الشاعر : اذا هبت رياحك فاغتنمها

اما نحن فبتنا حيارى بين غليوم وادوار . أتشهر حكومتنا الحرب على البلغار والبلاد كما ترى ام نذعن لحوادث الايام و يكون للعاقل منهـا عبرة وذكرى ؟ !

من الناس من يستهجن عمل حكومتنا الرصين و يرميها بالجبن لتقاعدها عن اشهار الحرب على البلغار التي يتصورونها لقمة سائغة ولكن كيف يقوى الاتراك على الحرب ابان الاضطراب الداخلي ومن وراء البلغار النمسا التي قد يظهر وراءها غليوم وجيشه العرمرم المخيف ؟ كيف نقوى على الحرب وقد تنهض دول البلقان للتوسع وتقوم روسية للتدخل مدفوعة بحب التوازن او ارواء لغليل مطامعها الكامنة و بعبارة افصح واصرح قد يكون من وراء الحرب فتح المسألة الشرقية بكل معنى الكلمة للبحث ؟

وهب لم يكن شيء من ذلك وانحصرت الحرب بيننا و بين البلغار أيقدر لنا الفوز والعدو على اتم اهبة ولو قدر لنا فماذا نجني منه ؟ أنحلم بعد باستملاك البلغار وسيادتنا عليهـا كانت اسماً بلا جسم ام نطمع باسترجاع البوسنه والهرسك والهبسبرغ ضبطوها منذ ثلاثين سنة ؟

أشار الخونة على السلطان فاشهر الحرب على اليونان لاجل كريت فماذا جنينا ؟

حاربنا لاجل كريت وانتصرنا ولكن جنينا خسارة الرجال والمال وتمنينا لو رضي لنـا من الغنيمة بالأياب فسلام عَلَى كريت والبلغـار والبوسنه والهرسك وعَلَى من اتبع الهوى .

الخال وابن الاخت ـ غليوم ـ والمغفور له ـ ادوار

(الخواطر في ٢٤ حزيران سنة ١٩١٢)

ما عرف التاريخ زمناً تقيدت فيه سياسة الجماعة بسياسة الافراد واشتبكت آمالهم شغفاً . ولا ذكرت الشورى وقتاً عقلت السنتها او دارت مباحثها على تعزيزهم كافاً . ولا مر بالعالم حين كانت بخلاله الملوك وزراء ولا شاهدت الاجيال براز زعيمين حجبت باثنائه الدماء كالزمن الذي دانت به السدة الجرمانية لغليوم والبريطانية لخاله

مشهد بدا بمطلع هذا الجيل تمثلت فيه قوة العقل علىَ شكل حير العقول وفتنها واستوقف العالم من قاصيه ودانيه مسبحاً منذهلاً

ذبلت نضارة ضفاف السين وقد كانت ملجأ لكل ذي ظلامة . وكم قم دار القياصرة بطرسبرج وكم اخذت عنها كلمة المرور وخفت صوت فينا ذات العماد وخرست رومة المدينة الابدية وذكرت طوكيو وواشنطون حداثة عهدها بالعالمين واصبح القول الفصل للندن وبرلين تحكمان بالارض ما شاءتا وشاء الهوى

فسواء ثار ثائر الحرب بين الروس واليابان او عاد فتصافح وتصالح العدوّان المتقاتلان او اشتعلت جذوة الحرب في شمالي اوربة والبلقان او توترّت العرى بين فرنسا ومراكش وخيف منها على سلامة الامم فانعم بلندن او برلين نظراً ترَ ان الممثلين مسيرون بارادة او الهام احدى تينك العاصمتين

ما تماست املاك النسيبين ولا بات لاحدهما قبل الآخر ثار ولا احتكت مصالحهما بعد لدرجة لا يرجى معها لحمة ولكن خذ لك نصيباً من العقل والرزق وخذ بقدره هماً

طامعان آنسا من نفسيهما القوة يلعبان على مسرح واحد كيف يتفقان ؟ احدهما تبسّط باعلى كرسي من السلم الاجتماعي واتخذ عنها البرق رسولاً لاقصى الارض يقول فتنقاد الخلائق صاغرةً . والثاني يرى بذاته من رجاحة العقل وقوة البنية ما يؤهله ليطرد ذاك ويأخذ محله فكيف يمتزجان ؟ نظر الثاني فرأى ان المراكز في الارض كلها مملوكة يشغلها الغير والسوى الا بوادٍ وقفار بصحاري افريقية هي منابت الشيح ومناسف للرمال وهاجه العلم البريطاني خافقاً فوق البحار وما وراءها من هند خصيبة بارضها عجيبة بتاريخها الى كندة واستراليا وترنسفال ارض الذهب . الى مصر تدرّ لبناً وعسلاً الى جبل طارق يراقب ويهدد القارتين . وشاقه مركز فرنسا في تونس والجزائر ومراكش والصين وهاله امتداد روسية من اقصى الشرق لادناه فمدّ يمناه فصدّت والتمست يسراه فردت فكظم غيظه استعداداً ليوم يطلق فيه اسوده من عرينها تمزق الخصوم حذائق طرائق . وراب امره كل الذين نالوا من قرص الحلوى نصيباً فتألبوا عليه مع صاحبة الحظ الاوفر انكلترا وادركت هذه هول الموقف وعرفت ان عهد نابليون قد تجدد بل ان ذاك لم يكن شيئاً مذكوراً بنسبة زمن عتيد . هنالك فرد اصطدمت قواه بالصخور البريطانية فحاول تحطيمها فحطمته ، وهنا امة باسرها تدفعها الحاجة للسير الى الامام . امة تعد ستين مليوناً من النفوس اضعفهم اقواهم بين الخلائق

بدنًا وابعدهم بارضهم عن روح الوطنية اعبدهم بنسبة الغير علمًا ووطنًا . لذلك حق لنا القول ان العداء استحكمت حلقاته بين الامتين لا رحيل ادوار ولا بقاء غليوم بمخفف من وطأته او ملطّف من حدته وما غليوم وادوار الا آلة بيد النتائج الطبيعية ظهرت بمظهر الحذق والذكاء

وكان ما كان من امر ذلك البراز العقلي بين النسيبين الى ان التقيا على ضفاف البوسفور حيث شحذت القرائح وارهفت العزائم واشتد العراك فكان صباح وقع فيه الخال فقيل لم يعد له بالوقوف مطمع وكان مساء صفع به ابن الاخت نخيل ان لا ظهور له بعد ، وكان ربيع رسخت به قدم حكومة الجور وكان صيف استبشرت الخلائق باعلان الدستور وكان خريف افلتت البلغار من قيودها وشتاء حاولت كريت ان تتملص من عهودها وبقيا وبقينا بين صعود وهبوط ورجاء وقنوط حتى فاجأت المنية ادوار فراح وفي القلب غصة من ظهور غليوم نهائيًا عليه مع احرار الاتراك وفي الصدر متسع لامور منوية جسام

وكأن بالراحل الكريم احس في « ياريتز » بدنو الاجل وارتاب ان يكون له بولي عهده خلف يلقى صدمات ابن عمته فرسم بارض الفرنسيس خطة تقرب بين حليفتيه روسية واليابان فتتفرغ تلك لتمثيل دور لائق بمقامها ومركزها في الغرب القريب فقرّت بذلك عيون الفرنسيس وطابت نفوسهم وكان بذلك آخر عهد ادوار بالنزال

مات ادوار وشفتاه تردد ان ارقامًا اربعة : ٣ — ١ — ٩ — ١ (١٩١٣) وعيناه البراقتان الهادئتان تدمعان لذكر تلك الارقام وهي السنة التي خالها

ذكاؤه النادر موعداً للقاء بين الامتين

وبقي غليوم وفرائصه ترتعد من ذكر ارقام اربعة ٣-١-٩-١ (١٩١٣) وهي السنة التي قيل له انها ستكون آخر سنيه بالملك ونهاية عهد سلالته الهوهنزلرنية بالصولجان

وبلغ الوهم من قلبيهما ان خافا على امتيهما من تلك الارقام فتناجت روحاهما من فوق العالم المحسوس وتناشدتا نشيد العتاب وكانت فترة سكون في العالم عدها العارفون مقدمة تفاهم ولكن ابت الاقدار الا ان تبقى الريبة متمكنة في النفوس

مات ادوار وبقيت الارقام الاربعة كابوس غليوم ومثيرة اشجانه يصم من جرائها الاذان عن سماع نداء الانسانية المتألمة الراغبة اليه بتوقيف المعدات الحربية ويقتطع من الخوف الجبال فيصفحها بالحديد ويرمي بها الى البحار اطواداً راسية حريصاً على تحريك الفيالق باثاً في صدور قومه روح التضامن مضطرباً متردداً قائده الاحجام

والواقفون عَلَى احوال الامم يذكرون ان كل الانشاآت البحرية والجداول العسكرية بين الدولتين والدول المرتبطة معها تقررت لتنتهي عام ١٩١٣ فهل كان ذلك صدفة واتفاقاً ام خرقت حجب الغيب قلوب بني البشر فتذرعن بكل اسباب الحيطة استعداداً لذلك اليوم العصيب ؟

المسألة المصرية والحزب الوطني

(الاحوال ، الاربعاء في ٤ آب سنة ١٩٠٩)

اللهم عذراً لغبي لم يستفد من صروف الدهر ولم يدرك لها رمزاً ، و كليل لم يفقه لحوادث الايام مجرى ومغزى ، وعدلاً لمكابرين ينظرون و يتجاهلون ويعلمون و يتظاهرون انهم غير مقتنعين . اولئك اكشف لهم اللهم برحمتك حجاب الوهم ليروا نور الحقائق اللامع فتستدرك محن وتدفع بلايا وهؤلاء سر بهم اللهم في طريق الرشاد والهدى فلا يخادعون الناس ولا يضلون

نظرة واحدة عميقة في احوال الامم وشؤونها تكفي لترينا ارجحية الشعوب الانكلوسكسونية وبروزها ببعد النظر واصالة الرأي وثبات المبدإ ووحدة الخطة والمنهج الذي يتمشون عليه في سياسة البلاد سواء ولي الاحكام فيها الاحرار ام تقلدها المحافظون

ومن راقب سير التاريخ منقباً ونظر مشاهده منفصلة بعضها عن بعض ومتصلة بعضها ببعض انضح له بجلاء ان اهل الجزر البريطانية علقوا على امتلاك مصر منذ الاعصر الغائبة اهمية كبرى ومهدوا في سبيل نيلها عقبات كؤود واظهروا لبلوغ امنيتهم منها صبراً وثباتاً وحزماً ودهاء يقف عندها العقل البشري حائراً

واذا نظرت الى الدولة الانكليزية تناهض نابوليون في مصر وتعرض لتدفعه عنها حياتها للخطر واذا رأيتها توفق المتضادات وتعمل المعجزات في المحالفات لتسقط مركز العائلة الخديوية بصدر « نشأتها » لتحول دون تبسط النفوذ الفرنساوي — المؤيد للعائلة الخديوية وقتئذٍ — ثانية في وادي النيل

لادركت ان مصر من الانكليز بمنزلة النور من العين · واذا علمنا ان مصر هي طريق الهند وان الهند هي مصدر ثروة الانكليز وقوام مجدهم وان في الهند ثلاث مئة مليون من السكان يعملون في الارض لخير اسيادهم الانكليز وان في ترعة السويس لحمة القارتين ايقنت ان مصر من الانكليز هي بمنزلة الشرايين من القلب

واذا عرفت ما كان يوم تمكن النفوذ الفرنسوي ثالثة في ارض الفراعنة على رغم انف انكلترا يوم انصب الذهب الافرنسي هنالك غيثاً مدراراً وفتح العلم الفرنسوي الترعة وذكرت ما بذل الانكليز من المساعي بين الاحزاب الفرنسية لاحباط الحزب الطالب التدخل في مصر وكيف توفقوا لامتلاك معظم اسهم الترعة لاعترفت ان الهجران صعب المنال

واذا ذكرت كيف احجم الفرنسيس عن ضرب الاسكندرية وكيف اقدم الانكليز عليه وما عملوا من ذاك الوقت لرسوخ قدمهم فيه بان لك ان دون الجلاء خطوباً تشيب لهولها الولدان وصروفاً قد تترك الاوطان خلاء بلقعاً

واذا حانت منك التفاتة لحالة اوربا اليوم ومراكز دولها ومرامي شعوبها علق في ذهنك ان بقاء الحالة الحاضرة امر اكيد

واذا سلمت معي بما تقدم — ولا يسعك الا التسليم قضاء او بالرضى — وان الانكليز قوم قساة القلوب غلاظ الرقاب لا يصبرون على الضيم ولا يعرفون لسياسة العواطف معنى لاستنتجت ان لو لم يكن لهم ما يستدعي بقاءهم في مصر غير انفتهم التي عرفها الناس وعنادهم الذي ضربت به الامثال لما ادخروا في سبيل البقاء وسعاً ولا تركوا طريقاً

ومتى بانت لك تلك الحقائق وقد بهر نورها الابصار قل لي بربك

كيف ينسى لزعماء الحزب الوطني ان يذهبوا في الناس مذهب الضلال ويسيروا بهم الى حيث الشقاء ويؤملوهم ما لا يرجى نيله

قام الحزب الوطني في مصر يناهض سياسة المحتلين وينادي بوجوب جلائهم عنها مهيجاً محركاً فماذا جنى يا ترى ؟

لقد جنى ان سمن زعماؤه على ظهر عامتهم ونالوا شهرة ومقاماً وابتنوا مجداً وعلواً ولكنهم حبسوا عن البلاد التي فيها نشأوا ومن لبانها تغذوا موارد الرزق والسعة وساقوها لاحرج المواقف بما خطبوا وما كتبوا تغريراً وتضليلا «مصر للمصريين والانكليز دخيل» بكلمات لها رنة وصدى وفيها لو امكن تحقيقها نور وهدى ولكن هل تغني هذه القرقعة ؟؟

ولو ذهبت الامة المصرية كلها مذهب الحزب الوطني فما هي فاعلة ؟ ايكون لها من دهائها نصير لمنازلة السياسة الانكليزية ام تجند من ابنائها جيشاً لمكافحة الاسد الرابض ام تقتني من مالها الاساطيل الضخمة لسحق المدرعات الانكليزية ذات العشرين الف طن ؟

هو اللسان يديره المرء كيف شاء ، والكلام يتفنن به الذكي كيف اراد ، ولكن بين القول والعمل بوناً شاسعاً وحرام على من وهبه الله ذكاء ومقدرة ان يسير بالعامة في غير طرق الحق والهداية . ولو كان للمصريين بصيص نور وبارق امل او صح ان يكون للاستقلال الذي به يحلمون مكان وركبوا متن الاخطار وعرضوا كيانهم للفناء لاعجبنا وامتدحنا ولكن ...

خطرات افكار او عبرة وذكرى

(الاحوال في ٥ آب سنة ١٩٠٩)

الامم كالافراد والافراد كالامم تنتقل من حي الى حي · ويتدرجون من طور الى طور · نبدو على محيا فريق علائم الهرم وتسري في عروق فريق دماء الشباب وكل سائر سيره لا دافع يدفع القضاء الطبيعي النازل ولا حائل يحول دون انفاذ سنة الكون · ولا افراط يكون من الذاهل تهتكاً واستهتاراً فيستقدم القضاء معجلاً او حرص يأتي من العاقل عن حكمة وروية فيسوق الحكم مؤجلا

والبلاد كالعباد تشقى وتسعد وتهبط وتصعد · فمنهم نيام ومنهم هجود · ومنهم قيام ومنهم قعود · ومنهم من تخر لهيبته العوالم ومنهم ركع وسجود

والزمان يواليك ويعادي · ويضلك ويهدي · فاذا اغتنمت منه فرصة وملكت غاية ادخرتها ليوم الشدة امنت طوارق الحدثان وذل السؤال واذا استسلمت لاحكام القضاء مهملا غير مدافع ووجلاً غير معارض ولا ممانع داسك الزمان بخيله ورجله فيصبح الصباح ومنعتك اثر بعد عين

واذا نظرت الى الامم تتعاقب وتتوارث والى الممالك يدفع بعضها بعضاً والى الافراد يموت منهم فريق ليحيا فريق علمت ان لكل دوراً يمثله على مسرح العالم ثم يعود فيشغل محله الغير

واذا تأملت في مشارق الارض ومغاربها وسهولها وحزونها ندر ان ترى بقعة لم ترقص طرباً ولم تهتز علواً واستكباراً ثم ما لبثت ان انقلبت اعلامها على

اعقابها كالموج يرتد عن اليم حاسراً ذليلاً وما عتمت ان صارت منازلها الاهلة خلاءً بلقعاً واصبحت نضارتها ذبولا

والانا الزمان اولا فتخلفنا ومكننا من يسار و بسطة عيش فاضعنا وخصتنا الطبيعة بتربة خصبة وموقع فريد فما استفدنا ووجدت بنا قوى حيوية صالحة للنشوء والارتقاء فانفقناها جزافاً وعدنا نعاتب الزمان ونطالب ونندب سوء حظنا والطالع ولو انصفنا للومنا عزائم فينا وهنت واهواء فاسدة تغلّبت على العقل ونفساً استسلمت لاحكام القضاء واخلاقاً تنكرت وحملتنا على الريبة واساءة الظن بعضنا ببعض وعلَى التحاسد والتباغض والتعصب الديني الذميم . ولو حانت منا التفاتة الى الشعوب القائمة في الغرب لما وجدنا لها ميزة في العقل ولا ارجحية في القوى ولا أفضلية في التربة والموقع والهواء غير مبادىء ثابتة واخلاق مقومة وانكار لمبدإ الافراد وتأييد لمبدإ التضامن والتكافل وابتعاد عن المجادلات المذهبية العقيمة ونبذ للتعصب الديني القبيح — الذي هو عندنا الباعث الاول لما نحن فيه من الانحطاط والشقاء — حتى تسلقت صعداً على كرمي من السلم الاجتماعي وتبسطت فيها وصدرت عنها الاوامر الى اطراف المعمور . وحرصت على قواها الحيوية وقاومت بها النوازل الطبيعية العارضة ورسخت قدمها في تلك القمة على ممرّ العصور بل زادتها الايام منعة ومكانة لا يعتريها ضعف ولا يتطرق اليها خلل او فساد بل منها من سقط ثم جدد مثل النسر شبابه (ايطاليا) ومنها من حكم عليه بالموت ثم رأيناه استعاد عزة ومكانة لم تكن حالته الاولى بجنبها شيئاً مذكوراً (المانيا) . ومنها من اكسبته السنون هيبةً ووقاراً وحنكة وكان

له من احكامه وشرائعه وهوائه وموقعه مساعد على احتفاظ القوى وتجديدها حتى حارت الضمائر من وقوفه شيخاً بمظهر الشباب و كهلاً بثوب الفتوة تبدو منه كل يوم دلائل يقظة ونشاط يقف العقل لديها منذهلاً مضطرباً (انكلترا) فلو سارت مثلنا على ذلك الطريق هل كان يرجى لها البقاء ؟!

نحن نرى الامور بعين الوهم والخيال ونهيم في وادي الغرور والضلال وهم يتمسكون بالحقائق الراهنة والبينات المحسوسة تاركين لارباب الدين النظر وحدهم بامور الدين منصرفين الى استجلاء رموز العلم و كشف غوامضه الى ان صاروا وصرنا . . .

اما الان وقد عاد الزمان مقبلا بعد الانقطاع وواصل بعد طول الصد والامتناع ، أمن قائل لي ما الذي عملناه في سبيل تقويم الاخلاق وتهذيب النفوس ؟

أمن قائل لي وعامنا الدستوري الاول قد فات وفجر الحرية قد لاح مبشراً ، اي برهان اعطيناه على تنزه المقاصد وتوحيد المساعي وتأليف القلوب ؟

مرّت بنا امس ذكرى فكّا كنا من الاسر واحتفلنا بعيد الحرية فأية تضحية قدمناها للحرية في سبيل توطيد عرى الاخاء ؟

يا ايها الناس ان الدين لهو علاقة بين الخالق ومخلوقاته لا رابطة لبني البشر بعضهم مع بعض ، فما ضرّك لو كنت مسلماً أفي ما عليّ او ما يعنيكم لو كنت نصرانياً او يهودياً اقوم بالواجب المطلوب مني ؟ وهل اقامكم واقامني الخالق وكلاء عنه نناضل عن حقوق مهضومة او نطالب بذهول عن قضاء الواجبات ؟

ليس بين الشرائع المقدسة كلها ما يدعو الانسان لجرح عواطف الانسان او قتل ارادة الانسان وانكار هوية عقائده واي نه بل كلها تدعو للرفق واللين والتساهل والتسامح ومحبة القريب · كلها تدعو للعطف على الانسانية المتألمة المتوجعة

والمرء في هذه الحياة الدنيا في عراك دائم ونزاع مستمر يقضي ليله هاجداً ونهاره عاملاً فاكراً ليقوم بما تتطلب منه المصلحتان — الخاصة والعامة — فكيف به متدخلاً بشؤون الغير؟ اولا يكفيه ما يقاسيه ويعانيه ليكلف الاعتقاد بما لا يريد او يضطهد حين لم يعتقد بما يراد ؟

أتحسد بلاد في جميع انحاء المعمور علَى بلادنا لو عمل بنوها كتفاً لكتف وجنباً لجنب لا يستبقون لذياك التعصب الذميم اثراً ، وهل من سبيل يبقى لتدخل الاجنبي فيها لو انتفت الريبة من النفوس واستبدلت بحسن الظن ؟

أو من سبيل لاستدراك تدخل الاجنبي المتربص بنا جميعاً شراً ما دام الجار يوقع بالجار والقوي يقذف الضعيف بالنار من غير ما سبب موجب الا ما صورته له اخلاقه الفاسدة وجهله الفادح ؟

يا ايها الناس ليس بيننا من لا يعلم ان شرّ انواع الاستعباد تحكم الاجنبي في البلاد

يا ايها الناس الا ذكرتم ان الاجنبي في البلاد التي يحتلها يقيد اهلها حتى يبتز الاموال ويمتص الدماء و يغل مسعاهم ولا يطلق لهم في العمل يداً ؟

يا ايها القائمون بالامر فينا ان حياة الاوطان متوقفة على سعة صدركم وبعد

8

نظركم وقوة ادراككم فانصفوا الناس وارفقوا بهم الى حين يقضي العدل يا ايها القائمون بالامر فينا انتم ضمانة هذا الوطن تجاه اوربا ولقد اعطيتم على مقدرتكم الادارية الادلة الناصعة والبراهين ، فاعملوا على ترويض الاخلاق بتعميم العلم على اسس راهنة فيرتفع التعصب ونعمل واياكم على تعزيز هذه الجامعة الشريفة واسعاد الاوطان . لا شيء يعوزنا لنستعيد مكانتنا ونجدد ماضينا فالذكاء موجود والتربة صالحة والنواميس الطبيعية تقضي ، غير ان الاخاء الحقيقي مفقود فاوجدوه



المسألة اللبنانيــة عام ١٩١٠

على اثر اعلان الدستور

(جريدة «البردوني»)

ايها الناس لقد بلغتم من عملكم نقطة ما احوجكم معها الى التثبت والتروي قبل متابعة السير وانتهيتم من سفركم الى اكمة ما احراكم ان تعرفوا من وراءها لتتابعوا المسير . ووقفتم من اخلاقكم موقفاً قد يكون لكم منه بئس المصير . فقفوا مكانكم ايها الناس رحمة بهذه الصخور الجرداء والاوديـة الحرباء نتذاكر ونتشاور

نحن الان بمنعطف من منعطات التاريخ . موحش لا انيس فيه ولا سمير ولا جليس ولا عشير . فان قمنا خطوة اخرى عن خفة وطيش لا نأمن شر الزلق

نظرة للجوانب يا قوم ترينا الريبة راسخة في النفس، والثقة مفقودة بيننا والسعاية تنخر في جسم لبنان نخر السوس . وتدلنا ان عهد بلبلة الالسن قـد تجدد . فلا ابن جزين فاهم ما يريده ابن الشوف . ولا ابن البـترون مدرك ما يتطلبه ابن الجنوب . ولا ابن زحلة بعارف او مهتم بما هو حادث في المتن . بل نفرق ابناء القضاء الواحد طرائق ومزقوا حذائق كأن لا صلات بينهم ولا عهود ولا روابط

ما اختلفت مصالحنا بعد لدرجة لا يرجى معها لحمـة ولا هو التشويش المنذر بانتقال البلاد من طور الى طور ولا هو الاضطراب اللاحق كل

تبدبل على الاثر ولا هي الاحزاب تتطاحن · ولا هو الجهل يعمي البصائر والبصر ، ولكنها نفوس حقدت واخلاق فسدت حتى كدنا نفقد معها كل شعور وطني واحساس قومي

ما نحن يا قوم الا سكان بلاد مقفرة نباتها الشيح وقوامها الهواء المنعش والريح · وما ترى من ظواهر سعة ويسر فهو قرة جهاد بنيها بدار غربة لولاها بتنا خمائص نشد علّى اوساطنا الوثاق من الجوع · اعتصم اباؤنا وراء هذه الصخور من جدب الايام وامحال السنين ورغبوا بها عن سهول ينمو فيها الزرع ويسمن الضرع · حتى حفظت قوميتهم ونالوا من فضل الدولة حق ادارة شؤونهم وامورهم · نالوا ذلك من عهد سحيق يوم كان لا يسمع للرعية صوت · ولا يتجاوب لقولها صدى بفضل اجتهادهم ونشاطهم واتخاذهم روح التكافل والتضامن لهم رائداً

واليوم بينا الناس في كل ناحية وصوب يهتمون بتعزيز قوميتهم والعناصر في كل جهة من جهات هذا الملك الضخم المترامي الاطراف تسعى وراء تمكين وحدتها وتبذل جهد الطاقة لتوسيع المأذونية · وتعزيز اللامركزية · وتخويل كل ولاية حق الادارة الداخلية علماً منها ان تعدد اللغات وبعد المسافات وتباين الاخلاق والعادات واختلاف المصالح الاقتصادية امور تحول دون التفاهم · ترى بني هذا الجبل التاعس يشدون بيدهم على المعاول · يضربون بها بنايتهم ويهدمون ما انفق السلف على ايجاده السنين الطوال والليالي الدهم · بينما كل فريق يطالب بحقوق جديدة تدعوه اليها ظروف الزمان والاحتياجات اللازمة · ترى ابناء هذا الجبل التاعس يجازفون بحقوق اقرها

الولي فكرستها الايام واحترمتها الاجيال

والغريب الذي تنقبض له النفس ان عيوننا لا تنم عن قلق بال ووجوهنا لا تشف عن تبكيت الضمير بل تنظر الى الحوادث بهدوء وطمأنينة كانها سائرة سيرها الطبيعي او كانها واقعة في بلاد الصين لا علاقة لنا بها ولا تأثير لها علينا ونجهل او نتجاهل انها تدني اجل نظام الامتياز وتجعلنا من فقدانه على قاب قوسين او ادنى

واذا ضمتك مع الزعماء والرؤساء والعقلاء المجالس جلّ ما تسمعه تعليقاً على الامور الجارية انهم يلقون تبعتها على عاتق الحاكم او يحملون مسؤوليتها للاغراض المتضاربة المتطاحنة في سبيل نيل الوظائف او يقولون هو القضاء ليكن القضاء

ولقد أبت عليّ نفسي ان ترى بالاسباب المار ذكرها العلة الاصلية التي افقدتنا كل مزية . بل ليست تلك الاسباب الا اعراضاً لمرض كامن في الصدور من دلائله ما ترى من توتر العرى . وزوال الثقة . وفقدان الامنية . وضياع روح والتضامن وانطفاء مبادىء الوطنية . وذلك المرض تسميه معرفتي القاصرة بداء صغر النفس وفساد الاخلاق

فالنفوس الكبيرة لا يوهن القضاء عزائمها ولا تلوي الاقدار مقاصدها بل تظل سائرة في طريقها على منهاج قويم وخطة بينة . والاخلاق الراقية لا تلقي على الفرد همها ولا تكل اليه امر الدفاع عن نظامها . بل تتولى هي امر سياستها وتدبير شؤونها واذا رأت من الفرد خروجاً عن حدّ ذلك النظام او أنست به ميلاً للعبث به وقفت بوجهه وحملته بحزمها ونزاهتها على احترامه

والبلاد التي يناهز عدد سكانها المليون وتلهو عن حقوقها بسرائر من الدسائس وتنتظر من الفرد امر اصلاحها خير لها ان تموت

اما ما يقولون عن ميل القوم للوظائف واقتتالهم في سبيلها فلا ارى فيه ايضاً العلة الاصلية بل عرضاً من اعراضها كما سبق القول . وهو عمومي في كل البلاد وغريزي بما انطبعت عليه النفس من حب التفاخر والتسلط والقيادة . ولو كان في البلاد احزاب حقيقية تشكلت على مبادىء ظاهرة وخطط صريحة محافظها يريد كذا . وحرها يريد كذا . واكليريكيها يريد كذا . وكافرها يريد كذا . لعددت الميل للوظائف عادلاً ومشروعاً اذ بها يقوى الحزب الحائز ثقة قومه ويتمكن من انفاذ لائحته ووعوده . ولقد بح صوتنا منذ سنتين بالدعوة لتشكيل حزب بخطة بينة نعرض على البلاد وثوقاً من قيام حزب آخر يعارضه فتتوآد بالتنافس الحقائق فلم نفلح بل بقيت احزابنا اختلافاً على الشخصيات لا على المبادىء واقتتالا في سبيل المأمورية . والذين ملكوها هم المصدقون والمحرمون المعارضون . ونظام الامتياز بين المصدقين والمعارضين يشكو لله غدر الايام والمعارضين والمصدقين

ولقد اجهدت نفسي لاعرف ما يريد الامير فلان . او الوجيه فلان او المحترم فلان . او الجزيل الاحترام فلان . وما هو المنهاج الذي يراه كل منهم موافقاً لتسيير البلاد عليه فلم اعرف ! ولم ارَ منذ سنتين الا رجلاً وهو الشيخ فيليب الخازن يريد امراً ويجاهر به ويدعو اليه ويضحي لاجله كل غالٍ ورخيص

ورأيت منذ يومين عمون بك يريد امراً آخراً ويجاهر به ويدعو اليه .

والاثنان يشخصان مبدئين حربين ان يشكل عليهما حزبان متناقضان

اولهما يعتبر ان نظام الامتياز هذا لهو بقية استقلال اداري وعـدلي تام ناله لبنان مئات من السنين و يطلب الاحتفاظ بهذه البقية وان لا تمـد اليها اليد بوجه من الوجوه ولو في سبيل تعديلها على ما يلائم روح العصر والمصلحة اللبنانية . وثانيهما يرى ان نظام الجبل لم يعد كافياً لاحتياجاتـه وان المليون من السكان لا يمكن ان تسوسهم ثمانية عشر مادة . والفريقان مخلصان النصح لامتهما اللبنانية . خليقان بثنائها وامتنانها وانا اول من يحـني امام شجاعتهما الادبية الرأس

وعندي ان الاول مصيب . والثاني لم يخطىء سهماً واذا كان من سائل رأيي لكررت ما قلته عن لسان جمعية الاخاء في زحلة جواباً على خطاب المرحوم عمون بك من ان النظام اصبح قاصراً ويجب تعديله . ولكن ضلّ من حاول هذا التعديل اليوم

نحن مدينون لبلادنا بذكر الحقائق ولو كانت جارحة مؤلمة فلا يرى علي احد من القوم اذا قلت ان لبنان في مدة العشرين سنة الفائتة لم يعط اقل برهان للدولة وللدول عَلَى حيويته بشعوره الوطني . ولا يؤلمنا التصريح ان الدولة والدول لا تحلنا من الاعتبار محلاً رفيعاً ولا ترانا بعد كل مـا اتيناه خليقين بهذا الامتياز . فمن يكفل لنـا وهـذه هي منزلتنا (وحالة الدول السياسية والاقتصادية اليوم تدعوها لمصادقة الدولة التركية) ان لا يتفق الكل على الغاء ذلك الامتياز . من يكفل لنا اننا لا نصادف جواباً على هذا مبناه : اعطيت ملكاً فلم تحسن سياسته ...

لدينا نظام مكفول لو تقيدنا بــه لكفل لنا بعد على قصره ايام رغــد ورخاء . فلنحرص عليه الان ولنعمل على منطوقه مدة اخرى تقوّم بخلالهــا اخلاقنا ونكبر نفوسنا حتى اذا طلبنا من بعــد تعديله وصادفنا عقبة نثبت امامها ولا ترتخي عزائمنا

واذا كان لنا مجلس ادارة عارف بحقوقه معترف بواجباتــه شاعر بثقل المسؤولية المترتبة عليه في هذه الايام الصعبة لا يبعد ان تسمع ثانيــة القول المأثور : هنيئاً لمن له مرقد عنزة في جبل لبنان

امــا اذا كنا نشعر ان لا حاجة لنا بنظام الامتياز فسوف نبقى على ما ترانا عليه

هذا رأيــي من الف اقدمه لبلادي ولها بامر اقصائه او ادنائه رأيهــا الموفق ان شاء الله



واجعلوا الامر بينكم شورى (١)

(زحلة الفتاة ، السبت في ٧ تشرين الاول سنة ١٩١١)

نعم الرأي . رأي تحاولون الوقوف به على ما يقوله عنكم الناس . فالممثل والمبارز مع براعتهما في الفن قد يقعان باغلاط كثيرة لا تفوت الناظر المراقب على قصر باعه فيه . وانا على حدّ ما عرفتموني وعرفني القراء محب (لزحلة الفتاة) لا يحمل ما اقوله فيها الا على وجه النصح والاخلاص

ان مطلع عامكم كان عادياً . وان حشرتموني قلت ان « الزجل » الناشف الذي كرستم له الاعداد الاولى اقصى عنها القلوب وجعل الذوق الزحلي مشكوكاً به

ولكن ما هي الا فترة اجال فيها المحرر الذكي نظرة الى الوراء فقابل الوقت الذي اضاعه ، والمسافة التي تفصله عن الكتبة المجيدين وقفز قفزاً أجلسه في مقدمتهم فصفق له المحبون واستبشر به المتجردون وقالوا : هوذا كاتب ذو مستقبل حسن

ومنذ ذاك انقطعت (زحلة الفتاة) للمباحث العمومية العثمانية اللبنانية المحلية . وعالجت ادواءها بذكاء وخبرة وبحثت بها بحثاً دقيقاً جريئاً خليقاً بكل ثناء وجديراً بكل اطراء

---

(١) جواباً على سؤال وجهته الجريدة للفقيد

بيان العدد الاول من الخواطر

(الخواطر ، الاربعاء في ٤ كانون الثاني سنة ١٩١٢)

لا حاجة في البلاد ماسة ولا محيط بدعو بل ميل غريزي غالبته يافعاً فغلبني كهلاً وحملني اليوم بعد ان اذن السمر بالمشيب ان ازف « الخواطر » الى القراء

ولقد كان بين تصورات الشبيبة واحلام الصبا نزوع مبرح للانقطاع لها فحالت بيننا ظروف وشؤون وهموم واشجان وتباريح خلت انها قاتلي قبل ان افوز منها بمرام

ومن ظن بانني قائم ببدعة جديدة او جالب لهذا المعترك مادة اغزر ، وذهناً اصفى فقد ساء فأله وخاب ظناً ، فالرصفاء والرصيفات يوفون الخدمة العمومية حقها من الجهاد بين نظام بكم وقانون يبكم ورأي عام لم يجعل الوطنية همه الاكبر ومشتركين يتململون ، وقراء عن نصرة الادب يتقاعدون ، ومصادر اخبار ليس للواحد منها فيها الخيار . بل ما انا الا عامل جاء في الزمن الاخير يرجو عن نهاره اجراً ، بضاعته حسن النية ، ومادته عزم ثابت لصرف ما بقي من القوى في سبيل « الخواطر » لترتاح اليها نفوس القراء

وليثق المحبون وكل من احسن بنا الظن اننا لن نألو جهداً لنكون على علو الواجبات المترتبة علينا والمسؤولية التي نتحملها مختارين . وان رائد « الخواطر » سيكون ايقاظ الهمم واحياء الشعور الوطني وتقريظ وتنشيط

التساهل الحقيقي ومصادرة اهل الشبهات لا يلويها وعيد ولا تغرها وعود

اما « الخواطر » فستكون عثمانية لبنانية عربية ترمي في امر السياسة الكونية وفي الوسط الذي تعيش فيه لتقريب العثمانيين من الانكليز واظهار فوائد الاتفاق معهم وفي مباحثها العادية ستكون لخدمة المصالح الزحلية البقاعية

قلنا عثمانية فلان اول الواجبات التي تدعونا اليها الوطنية والمصلحة في وقت واحد لهي الاخلاص للدولة التي في اكنافها عشناه وتحت سمائها ترعرعنا والتي عرفنا حسناتها والفنا سيئاتها والتي يثير هلالها في قلوبنا ذكرى الوطن ولان شر انواع الاستعباد الحكم الاجنبي في البلاد

ولبنانية لانه الجبل الاجرد الذي سقت دماء اجدادنا تربته وغذت هضابه عظامهم والتمست له هممهم العالية هذا الامتياز ليعيش و يبقى ولا نخال « الخواطر » اذا ثبتت العزائم فيه تنبذ غافلاً ام تذكر ناسياً . بل نحن وسائر اللبنانيين في هذا المعتقد واحد لا نرى لنا حياة بدونه وسنظل حرصين عليه حرص البخيل على درهمه

وعربية فلان العنصر الذي اعطى دائماً على صدق عثمانيته البراهين واللغة الشريفة التي ينطق بها الملايين لحري ان يشغل في الدولة المقام اللائق به وخليقة ان تكون بين بنيها لغة محاكمهم

اما نزعتها الانكليزية فقد تكونت عن اقتناع صاحبها ان الدولة التي صدت عن الاستانة الخصوم وحالت دون مطامع المتربصين بها شراً والتي تخر امواج البحار لاعلامها ركعاً وسجوداً والتي اذا شاءت وصلت واذا شاءت قطعت الولايات العثمانية بعضها عن بعض والتي بيدها مفاتيح الخزائن الذهبية تعطي من تشاء

وتحرم من تشاء والتي كان من اقصى تمنياتها حفظ الحالة دون مساس والتي لم يزل من اشدّ حاجاتها بقاء تركيا حاجزاً يحول بين ممالك الجرمان وبحر الروم لخليقة بولاء العثمانيين لو ذكروا!

اما انقطاعنا في المباحث العادية لخدمة المصالح المحلية فلأن هذا هو المحيط الذي نتحرك به والذي نرجو ان يشد ازرنا ولان لنا في هذا السهل الخصيب حقلاً للعمل واسعاً، فالحكومة قد اهملت امره وقطعت رحمه واخذت منه اموالاً لو انفق فيه جزء يسير منها لكان جنة الله في ارضه

وكثيراً ما رأينا زيداً يناقش الجريدة الفلانية الحساب في جريدة اخرى. ولما كانت الاداب الصحافية والنصوص النظامية تقضي ان تكلف الجريدة التي كبت في ميدان الجهاد لاصلاح خطإها هي نفسها رجاؤنا من رصيفاتنا ردّ كل منتقد للجريدة التي يؤاخذها اليها فيكون ذلك اوقع في النفوس واجل ولا تبقى الجرائد قارباً تتلاعب به الامواج. و«الخواطر» تتمهد للقراء ان تفتح اعمدتها على مصراعيها لقبول كل انتقاد عليها بل هي تتمنى ان لا يكون انتقادها الا فيها اللهم اذا كان المقصود من الانتقاد تقويم اعوجاج لا التشفي او الانتقام

هذه هي خطتنا وهذه هي مبادئنا فمن آزرنا عليها شكرناه، ومن رابه امرنا استمهلناه ريثما يتبين له من افعالنا الغث والسمين والله المسؤول ان يسدد خطواتنا ويثبتنا في عملنا الشاق

اسباب المحالفات

اتفاق فرنسا وروسية

(الخواطر ، الاربعاء في ٣١ ك ٢ سنة ١٩١٢)

جبابرة فرنسا كانوا سبب سقوطها ووصول الالمان سنة ١٨١٥ وسنة ١٨٧٠ الى باريسها مدينة النور

لو قام الكردينال ريشيلو من قبره وبعث لويس الرابع عشر من لحده ونشر نابليون من كفنه لاقروا ان الانسان مسير لا مخير بارادته وان العقل مهما كان كبيراً والنظر حاداً لا يتمكنان من الاحاطة باسرار الطبيعة او معرفة عواقب الامور وسلموا ان ما يعتقد به الانسان خيراً لذريته وصلاحاً قد ينقلب عليها ويلاً ودماراً

لو افاق ريشيلو من سباته العميق لهاله امر ما عمل واعترف ان السياسة التي سار عليها وخلفاؤه من بعده كانت سياسة خرقاء

هي الايام قد جزمت ان لا تبقي لهذا المخلوق الصغير عملاً خالداً او اثراً محفوظاً حتى لا يهتم واحدنا بغده . فسر على بركات الله ايها المخلوق والق على الرب همك ولا تحدق نظرك بالغد كثيراً فلويس الرابع عشر ونابليون قد اخطأا مرمى فما الغد الا لله

هل من مصدق ان هنري الرابع وقد رأب الله به الصدع ووحد الكلمة الفرنسوية ينظر اليه التاريخ بعد اجيال نظرة ممهد طريق دخول الالمان الى باريس

هل من مصدق ان ريشيلو الكردينال العظيم ولويس الرابع عشر الملقب «بملك الشمس» وقد جعلا فرنسا مشكاة الهدى تستضيء بها الافكار وتستنير العقول بعدهما هذا التاريخ مسببين دخول الالمان الى باريس ؟

هل من مصدق ان نابليون وقد خفقت رايتها بيده في مشارق الارض ومغاربها من عكاء لهرم مصر . ومن كرملين قصر القياصرة لفينا وروما وبرلين . هل من مصدق ان نابليون وقد جعلها قطب الرحى ينحدر عنه السيل ولا يرتقي اليه الطير كان سبب ضعفها واضطرابها

لما كبح ريشيلو جماح الثوار واذل الامراء من آل البيت ووطد الملكية البوربونية اجال فكره الحاد بخارطة اوروبة ووجه اليها نظراً عميقاً فترآت له النمسا وانكلترا بمركزهما اللامع الذي لا سبيل لفرنسا الى بلوغ مثله اذا بقيتا على منعتهما وقوتهما . ولما كانت انكلترا مستترة وراء اساطيلها وصخورها اقر ريشيلو على اذلال البلاط النمسوي ووضع لهذا الغرض خطة تمشت عليها وزارة فرنسا الخارجية حتى اواسط الجيل الفائت وقام بانفاذها بما اوتيه من رجاحة عقل ودهاء فتوفق لخضد شوكة ذياك البلاط ونالت من وراء ذلك فرنسا في العالم منعة وقوة . ولما قام لويس الكبير تتبع في السياسة الخارجية خطوات الكردينال وكان همه الاكبر مناصبة البلاط النمسوي العداء فأذله واقتطع ولاياته اقتطاعاً فدانت له الممالك وهابته ملوكها ورجحت كلمته في بر اوروبة وصار قوله الفصل وظلت سياسة فرنسا ترمي لهذه الغاية حتى تسنم ذروة عرشها الرفيع قاهر العالم وسلطانه غير معارض نابليون ،

فصدق على خطة النابغتين وضرب النمسا الضربة القاضية التي زعزعت بنيانها

وقوّضت اركانها واتاحت لمملكة بروسية الصغيرة ان تحل محل تلك في العنصر الجرماني الكبير وتبلغ مبلغها الحالي من ضخامة الملك وعز السلطان

ان العنصر الجرماني عنصر قوي الساعد كثير العدد صحيح الوطنية استقر في اواسط اوربة حيث هو اليوم منذ هاجمت البرابرة رومة وظل والفرنسيس على عداوة مستمرة ونفور مستحكم اجيالاً لم يكن النصر فيها حليفاً لراية دون اخرى

ومن كان كمن وصفت تأبى عليه نفسه ان ينام عَلَى الضيم او يغضي العين عن القذى فلما تقلّص ظل البلاط النمسوي — وهو عميد ذلك العنصر ووليه — اضطرب وتمنى لو قام منه بديلا عنه

و كان بين تلك الممالك والامارات الجرمانية امة صغيرة تعرف بالامة البروسيانية اصبحت اليوم ذات سلطان قاهر وملك واسع فهذه الامة كانت تتغذى من الخلاف الكائن بين الخصمين فرنسا والنمسا فتارة تشد ازر هذه وطوراً تناصر تلك وفي كل وقت لا تنظر الا لصالحها حتى حرد الزمان على نابليون ونقم عليه فالتفت حول اعدائه وتدفقت جيوشها المدربة (التي اهمل نابليون امر سحقها) على الحدود و كان غالب نابليون الحقيقي بلوشر (Blücher) قائدها لا «ولينكتون» كما يتوهم البعض . واجهزت عليها سنة السبعين بعد ان استعادت منها الالزاس واللورين وتقاضت منها غرامة خمسة مليارات فرنك

فلو بقيت النمسا قوية بقيت بروسية ضعيفة وما عرفت اوربة سطوة سيفها المسنون وبارودها الجاف

ولما انجلت الجيوش الالمانية عن باريس سنة ١٨٧٠ انقطعت فرنسا لضمد

جراحها ورأب صدعها فادهشت العالم بسرعة قيامها و كان في من دهش وجزع موحد المانيا بسمرك فندم على ما فرط منه وودّ لو اقتطع منها ولايتين اخريين فاخذ يتحرش بها وهي شهيدة طريدة لا ملجأ لها ولا نصير · وفي سنة ١٨٧٥ اختلق الاسباب وانتحل الاعذار وبلغها في ذلك العام الانذار فاستغاثت ولم ينتصر لها في ذلك البر الذي كان ساحة تتمرن بها جيوشها — الا الاسكندر قيصر الروس فدفع عنها خطر الحرب ومكنها من حصر اعتنائها بداخليتها وما طال الامر حتى ظهر الجيش الفرنسوي بمظهر مجيد لا يقل عن الجيش الالماني عدداً ويفوق عليه عدة ويضاهيه حنكة ودربة ، وبرزت البحرية الفرنسوية تشغل المقام الثاني في الكون فسعى داهية الالمان بين الفرنسيس والطليان وجذب اليه ايطاليا ليلهي بها اربعة فيالق فرنسوية عنه ووضع السيف على رقبة النمسويين حتى آثروا التحالف معه · وهكذا تمّ الاتحاد الثلاثي واضطرب حبل التوازن في اوربة وباتت كلها تحت رحمة المانيا · ففكر المفكرون وبحث الباحثون بايجاد قوة تضاهي تلك لتأمن اوربة شر مطامع الالمان ولم يكن من قوة شبيهة بتلك الا قوة فرنسا الجمهورية وروسية المطلقة

ولكن دون اتفاق البلادين صعوبات قد لا تذلل وعقبات قد لا تمهد اولها وجود بسمرك وعلمه بالامر واهمها وجود هاتين الدولتين على مبدأين متناقضين متباينين في الاحكام تناقضاً وتبايناً يصعب توفيقه

فلا الفرنسيس يرتاحون لمجرى الاحوال في روسية ولا الروس براضين عن مصيرها في فرنسا وكل منهما يخاف ان تسري اليه بداعي التقرب افكار الاخر

ولكن تغلبت وحدة المصلحة واشتراك المنفعة على الاميـال والعواطف قلنا وحدة المصلحة لان لا جهة من جهات المعمور تتباين فيها المصلحتان الفرنسوية والروسية ولا نقطة علَى وجه البسيطة يمكن اختلافهما فيهـا . فروسية تصبو لترى فرنسا قوية في الغرب وفرنسا تشتهي ان ترى روسية قوية في الشمال لتصرف بها الفيالق الالمانية عنها

وهكذا تم التحالف بين الامتين بصورة دفاعية عمومية وهجوميـة ببعض الظروف وتحققت بـه امنية كاترين ولويس الخامس عشر وذاقت اوروبة عصر سكينة وسلام مدة عشرين سنة وحفظ التوازن الدولي مصاناً حتى الحرب الروسية اليابانية حين قهرت روسية وبان نقص المواليـد في فرنسا وزاد الشعب الالماني زيادة هائلة فاضطرت انكلـترا ان تخرج من عزلتهـا اللامعـة وتقف بجنب روسية وفرنسا حرصاً على ذلك التوازن



التاريخ يعيد نفسه

(الخواطر ، الاربعاء في ٣١ ك ٢ سنة ١٩١٢)

من الامور التي يحار بها العقل تشابه الحالتين في عاصمة الملك قبيل الفتح التركي واليوم · ومن القضايا التي تؤيدها شواهد الخبرة والنقل ان الخطر الخارجي يغذي معترك الاحزاب و يوغر الصدور على بعضها · ومن الحقائق التي يسلّم بها كل ذي نظر دقيق ان ذاك الخطر يستمد قوة من العراك الداخلي وانه عوضاً عن ان يوحد الكلمة ويجمع شتيت الاراء ، يهيج العواطف الساكنة و يثير الضغائن الكامنة فتمزق احشاء الدولة تمزيقاً

نحن نجل الاتحاديين وننزه الائتلافيين عن ان تنحط بهم الاخلاق انحطاطها حينذاك وبلغ تشاكسهم وتقاطعهم حده يومئذ ولكن الحالتين متقارنتان و بينهما من وجوه الشبه ما حدا بنا لاخلاص النصح والتذكير على ان تنفع بما نقول الذكرى

الى قراء » الخواطر » نفتح صحيفة من تاريخ الجيل الرابع عشر ليقرأوا فيها لمعة من الحوادث التي سبقت الفتح التركي من سنة — ١٤٤٨ — ١٤٥٣ —

وطلاب التاريخ يعلمون ان مملكة الرومان لما بدت فيها طلائع الهرم حاصرها البرابرة في الغرب · وانقضت عليها الامم المغلوبة في الشرق وساموها خسفاً وهواناً ولم يعد بالامر الهين على رومة ان تنفذ احكامها واوامرها الى الولايات القاصية بعد تغلب الخوارج فيها فتولدت من هنا فكرة تقسيم المملكة الى قسمين وتم ذلك فصارت مملكة غربية وعاصمتها رومة وشرقية ودار ملكها

القسطنطينية وكان العنصر اليوناني في المملكة الشرقية غالباً فتأخر وبقيت تحت حكمه حتى افل نجمها وزال ملكها وكأن الزمان ما شاء ان تسقط تلك الدولة العظيمة سقوط الآيس الضعيف فتمكن من عرشها قسطنطين الثاني عشر ليعيد الى صدرها بقية امل ويكون سقوطها لامعاً

جلس هذا الامير على اريكة الملك والناس قد تنكرت اخلاقهم واعتلت وطنيتهم وتمزقوا في خلافهم المذهبي الديني (شرقي وغربي) طرائق وتمزقوا حذائق فلا هيبة للقضاء ولا سلطة للاجراء ولا شعور وطني صحيح الا تقاطع وتدابر وتواكل وتخاذل جعل الدولة من الهلاك عَلَى قاب قوسين . فسعى ذلك الامبراطور واخفق سعياً في تأليف القلوب وبث روح التضامن وخاطب الاكليروس العالي ومجلس الشيوخ خطاباً سالت فيه روحه الشريفة الطاهرة وذكرهم بالحقوق التي للوطن عليهم وصوّر لهم الخطر المحدق بهم واراهم جيوش محمد الفاتح على ابواب القسطنطينية تنتظر منها غفلة لتنقض ورغب ان ينصرفوا عن المماحكات الفارغة والمنازعات العقيمة الى ما به صلاح الامة والوطن . فلم يحرّك كلامه ساكناً ولا ايقظ وسناً ولا نبّه غافلاً ولا ذكر ناسياً بل بقيت النفوس على غيها وظل الاكليروس يلهي الشعب بخلاف الكنيسة الشرقية والغربية والبطريرك يريبه بابا رومة العدوّ الحقيقي المخيف ومجلس الشيوخ يصرفه عن جلائل الاعمال والمسائل الخارجية الى البحث في النزاع المستحكم بين الامراء واحزابهم .

وبينا العاصمة كذلك كان محمد الفاتح ووزيره الصدر خليل يعدّان العدة ويحركان الفيالق ويتحفزان بكل قواهما للوثوب . ولقد جادت الطبيعة

على القسطنطينية بما ضنت بيسير منه على غيرها فبيزنطية اليونان الاقدمين وقسطنطينية المملكة الشرقية وفروق معاوية والعرب والاستانة والاتراك وجدت لتكون عاصمة قارة برمتها لا لمملكة ولها من موقعها الجغرافي وتقاليدها التاريخية التي تشير انها صدّت ثلاثين فاتحاً قبل الاتراك بين يونان وروماني ومغول وفرس وعرب ومن قوة قلاعها ومناعة استحكاماتها ما اوهم اهلها انهم بمأمن من مدافع الاتراك، وحرز حريز، ولكنها نست ان ما من سياج للدار الا رجالها وما درت ان الاستحكامات لا تروي غليلاً ولا تجدي فتيلاً ان لم تؤيدها عزائم الرجال ووطنيتهم الصادقة · وجهلت ان انقطاع كلٍّ لمصلحته الخاصة يولد السعاية والخيانة كما فعل نزيل العاصمة اوربان المجري الذي لما رأى ما هم عليه سكان العاصمة من سيء الاحوال والاخلاق انسلّ من صفوفهم ولاذ بحمى محمد الفاتح فاكرمه واشترى منه صناعة صب المدافع واستخدامها فكانت بذلك الخطوة الاولى في سبيل الفتح · وحرد عليهم حلفاؤهم الطبيعيون وقلبوا لهم ظهر المجن لما ضعفت آمالهم فيهم وكان في من اعرض ملك المجر وسور اوربة هنياد · ولقد افسح الزمان لتلك الدولة الاجل · وكان لها في كل يوم نذير غير مسموع (مثله معنا اليوم) حتى بزغ فجر التاسع والعشرين من شهر ايار سنة ١٤٥٣ فحاصرها محمد الفاتح وهجم اسود الاتراك على اليونان وانقضّت غربان الجو تنهش من اشلائهم طعاماً حتى تم الفتح ونوتا تراس امير البحر يقول : لعمامة تركي احب الي من قبعة كردينال · ودخل محمد الثاني وجيوشه القسطنطينية فعادت استانته وعاصمة ملكه الضخم المجيد

واستفحل ملك محمد وحذا حذوه خلفاؤه من بني عثمان واجتازوا الدانوب وسمعت نساء فينا موذناً ينادي حيّ عَلَى الفلاح فهلعت قلوبهن واضطربت احشاؤهن فسقط الجنين منها وكان زمان سعد فيه من والاه الاتراك وكان تعساً من عاداه هلالهم ولكن :

أعطيت ملكاً فلم احسن سياسته وكل من لا يسوس الملك ينزعه

سكر بنو عثمان بخمرة انتصاراتهم ورسخ فيهم الاعتقاد انهم لا يغلبون — رسوخه في قلوب اليونان قبل الفتح — فناموا مدة جيلين كاملين كان العالم بخلالها يخطو في طريق التقدم والاكتشاف خطوة جبار، وما استيقظوا في الآونة الاخيرة الا ليجددوا حوادث القسطنطينية يوم دخل محمد الغازي اليها

بينا نرى اوروبة واقفة لنا بالمرصاد نلهو كاليونان من قبل بالصغائر والدسائس . وبينا نرى ان تركة الرجل المريض مفتوحة واهل المطامع حائمون عليها لا نعمل الا ما يمهد لهم السبيل . بينا نرى وزاراتهم تتآمر على نزع ملكنا نرى وزاراتنا تغمض العين عند الخطر الخارجي كان اغماض العين خير وسيلة لاتقائه

بينا مجالسهم تشد ازر الوزارات وتمدها بكل الاموال اللازمة لتحقيق الاماني نرى مجلسنا يناقشها الحساب عَلَى البارات والامور التافهة ويشدد النكير ويغل الايدي .

بينا نرى احزابهم تخرس وتستتر وراء المصلحة الوطنية لتقوى السلطة التنفيذية وتطلق يدها للعمل تقوم احزابنا بعرقلة مساعي الحكومة لتسقط

هيبتها ويزول كل اهتمام لها في الخارج

الا من مذكر قومي ان هذه هي حالة اليونان قبل الفتح

الا من مذكر قومي ان المسئلة الشرقية مفتوحة اليوم بكل معنى الكلمة فكيف يتجاهلون ؟

الا من مذكر قومي ان وزارات اوربة واضعة نصب اعينها خارطة الشرق تعدّل بقلم رصاصي الحدود فكيف يتخاذلون؟

الا من مذكرهم بقول خطيب الرومان ان كاتبلينا على ابواب رومة فكيف يتذاكرون ؟

هل تتقى الشرور بالسكوت عنها ام تدرأ الاخطار بانكارها ام يجب ان يكون لنا من السلحفاة والنعامة اللتين تدفعان الخطر باغماض العين خير نذير ؟

والانا الزمان فما شكرناه وانذرنا فما سمعناه وامهلنا ثلاثاً فما استمهلناه فحرد وابتدأ التاريخ ان يعيد نفسه او كاد



نحن والدول

(الخواطر، الاربعاء في ٧ شباط سنة ١٩١٢)

ما عدمت الانسانية فريقاً من ابنائها ظهرت فيهم عواطف الحب والحنان على عواطف البغض والشحناء وتغلبت عندهم اميال الشفقة والبر على دواعي النفور والعداء فآثر ان يصرف اخاه الانسان عن معترك تبذل فيه المهج وترخص الحياة الى ملتقى تسود فيه السكينة وتنتفي الضغائن

هال هذا الفريق ان يرى الامم تحصر اهتمامها بصب مدافع وشحذ سيوف واعداد عدة تثكل زوجاً صالحاً وتيتم طفلاً رضيعاً وتمنع الحبيب من لقاء الحبيب وتحرم الانسانية من اذرع وعقول تكفل لها الغذاء والسير في طرق الهداية فزأر ذلك الفريق وارغى وحمل وشدد النكير وطاف في الارض رسولاً يدعو الامم الى التصافح، ونذيراً يهدد التيجان بشل عروشها فظن الناس ان الحروب واضعة اوزارها وحدود الممالك صائرة الى الاضمحلال واعتقدوا ان بني الانسان سيتعانقون و يصبحون اخواناً على سرر متقابلين

ولكن ان هو الا فريق خدعته الايام وغذته الاوهام واعتبر تصوراته الشريفة حقائق وتخيلاته ارقاماً فكان مغروراً و كان جانياً على بلاده بما قال وما كتب

فما الحروب الا حاجة من حاجات الانسان تدفعه اليها اخلاقه واطواره وتزينها له مطامعه وامياله . وهل رأيت الانسان منذ يوم نفخ الله فيه روح الحياة لا نهماً جشماً وهل كان الا كاسراً طماعاً ؟

ولكن يوم تصير الرعية الى راع واحد هو العقل ولا يبقى للاصفر الرنان قيمة ليوم بعيد لا يراه ابناء هذا الجيل ولا تعرفه احفادهم ولا يعلم اذا كان اليه من سبيل

اما اليوم فوجه الارض مكفهر وظلام الافق حالك وكيف اجلت في العالم نظرك لا ترى الا فيالق تتحرك وجيوشاً تتمزق وقلوباً تجيش وصدوراً تغلي وكيف قلبت الطرف لا يقع الا علَى مطامع ما عادت تحمل نفسها عناء التكتم وعلَى دوارع تمخر عباب الماء وطيارات سابحات في الهواء تتحفز استعداداً ليوم اللقاء العصيب

فالعاقل من انذره الزمان فسمع ودعته دواعي الوطنية فلبى وعرف ان الانسان ابن فرصة فاذا فاتت قد لا تعود

والوطني من نظر الى الخطر بملء عينيه ليعرف كيف يتقيه او كيف يستفيد منه

فريقان يتنازعان البقاء في هذا العالم ويتقاسمان النفوذ . قوام القسم الاول دهاء العقل الانكليزي ونفوق اساطيله، ويمينه تدرب الجيش الفرنساوي وعدته البالغة حد الاتقان وعدد الروس واعتقادهم انهم لا يغلبون . ونقطة جاذبية القسم الثاني غليوم وجيشه الرهيب وعدد يزيد كل سنة ١٢ الفاً وسكك حديدية تقذف كل يوم لحدود فرنسا ٢١٧ الفاً وللحدود الروسية مائة الف ويضاف للعدد الاول اسبانيا والبرتغال والدانمرك في اوربة واليابان في الشرق ويقف جنب الفريق الثاني النمسا وايطاليا وينظر للفريق الاول نظرة ارتياح وعطف كل اميركي في الشمال والجنوب والفريق الثاني

الهولنديون اينما كانوا . وكل فريق يتمنى لو اخذ له الجيش العثماني نصيراً فكيف نحن بازاء هذين الفريقين

العثمانيون في هذا البحث ثلاثة : واحد يود لو بقينا على الحياد نتفرج ونتقوى من ضعف الفريقين . وفريق جانح لمحالفة الالمان . وثالث يجزم بوجوب العود الى سياستنا التقليدية والاعتماد على الاصدقاء الطبيعيين الفرنسيس والانكليز الذين آزرونا بحرب القريم ودفعوا عن الدولة خطراً عظيماً يومئذ والذين ناصرونا في الحرب الروسية الاخيرة

اما الرأي الاول فسديد لو كان لنا الخيار وتركنا الخصمان ننقطع لامورنا الداخلية ولكن رأيناهما بايام السلم يتحرشان بنا ويقتطعان ولايا تنا اقتطاعاً فلا يخطر لعاقل على بال انهم لا يجروننا يوم يحتكمان الى السيف في ميدان القتال مكرهين

فاذا كان ذلك فاي فريق يجب ان نقاتل واية راية يجب ان نناصر ومع اية فئة يخلق ان يسير الهلال ؟

لا يخفى على كل ذي نظر دقيق ان الحرب المقبلة لا ينحصر شرها في بلد وبلدين بل ان لهيبها سيندلع الى بر اوروبة قاطبة يحرق الاخضر والهشيم والثابت ان الصدمة الاولى ستكون بين الجيشين الكبيرين الفرنساوي والالماني المتكافئين عدة والمتباينين عدداً

ولا يغرب عن كل ذي بصر بصير ان السرعة التي يمكن ايصال الجيوش الروسية بها الى الحدود الالمانية سيكون لها تأثير عظيم على نتيجة الحرب فاذا كان الجيش العثماني واقفاً جنب الالمان اضطرت روسية لتحويل

جانب كبير من جنودها عن الحدود الالمانية للقاء الجيش العثماني فتتنفس المانيا وحلفاوءها الصعداء و يتفرغون لمناجزة الفرنسيس والفرق الانكليزية الطائرة لنجدتهم عن طريق كاله و بلجيكا

وتلك خدمة جلى يقوم بها العثمانيون للالمان تدعو هوءلاء ان خرجوا من الحرب ظافرين ان يشدوا ازرنا و يمكنونا من تأييد سلطتنا في البلقان

هذه هي الجهة اللامعة من ذلك التحالف و يبقى له وجه آخر اسود شنيع قد لا يبقي علينا ولا يذر

من الثابت الذي لا يختلف فيه اثنان ان الراية الانكليزية كيف كانت نتيجة الحرب ستبقى سيدة البحار تمنع منها من تشاء وتجيز الدخول اليها لمن تشاء . ومن المعلوم ان بلاداً مترامية الاطراف متنائياً جلها عن عاصمة الملك يقطعه عنها بحور وخلجان ومضايق ومعابر لا قوة بحرية لها تعدم كل صلة مع بعضها وتفقد كل وسيلة للتفاهم اذا حالت الاساطيل الانكليزية الفرنساوية بينها بل كيف يرجى لها البقاء وتلك الاساطيل قادرة على حصر الثغور واجتياز المضايق ونسف القلاع واذا تعذر على العاصمة ابلاغ ما تريد الى الجزر الملاصقة فكيف بها والشام والحجاز واليمن والعراق . ولا غرو ان كل ولاية تترك وشأنها تعتمد على قوتها الطبيعية ولا يخفى ما في ذلك من دواعي الخطر الشديد على الجسم اذا لم يبق له رأس يدير اموره و ينظمها

ولقد عرف الناس من احتكاك المصالح الاوروبية ان الضالة التي ينشدها الالمان لهي ان يروا نسرهم مطلاً على بحر الروم . ولما كان من المتعذر عليهم البلوغ اليه من جهة فرنسا غالبين كانوا ام مغلوبين فمن يضمن للعثمانيين

انهم لا يخرقون منفذاً اليه عن طريق البوسفور او سالونيك ؟

واذا دفع الله عن الانسان خطر الحرب و بقيت تلك المحالفات لحفظ التوازن بين الامم ودام هذا السلام المسلح فالعثمانيون بحاجة لمن يمنع عنهم تحرش الغير والسوى وذلك لا يتم بدون حلفاء و بفوز شديد للمال نمنع به ثغورنا وننير عقولنا و هذا لا تجده الا في باريس ولوندره فهل تجود به عليك لتشتري به سلاحاً تصو به ضدها او تقوي به نفوذاً هو ابغض الامور اليها !

ان الغيوم المتلبدة في السماء تدعو العثمانيين ان يحملوا حكومتهم للجزم بين الامرين فانتهزوا الفرصة فهي تمرّ مرّ السحاب ولا تطلبوا اثراً بعد عين



اسباب المحالفات

عود على بدء — موت الكونت درانتال — سياسته

(الخواطر ، الاربعاء في ٢٨ شباط سنة ١٩١٢)

لما ارتدت الجيوش الالمانية عن باريس وابتدأت القطر تشحن الذهب الفرنساوي اكداساً الى برلين دهش بسمرك من السرعة التي توفقت بها فرنسا للم شعثها وضمد جراحها وراءه منها الخصم الذي ما لبث ان ظهر بمظهر القوة والشباب

ولم يكن بسمرك جاهلاً ان مسألة الالزاس واللورين ستبقى جرحاً دامياً في قلوب الفرنسيس ما بقيت هاتان الولايتان بيد الالمان وحجر عثرة بوجه كل تقرب بينهما فرأى ان يؤلف عصبة سداها السيف الالماني ولحمتها العدو النمساوي والروسي لتكرس معاهدة فرنكفورت وتصدق عليها

ولا يخفى على كل ذي المام ان بسمرك كان قد اذل سنة ١٨٦٦ النمسا وصفعها صفعة في واقعة سادوفا انهكت منها القوى وهدّت العزائم فهزّ لها ثانية السيف وخيّرها بين سلم تستر او حرب تتكرر وكان ملكها وامبراطورها فرنسوا جوزف ممن خانهم الحظ وحرد عليهم الدهر فآثر سلماً مخزية والتحاقاً بالغالب على حرب قد تجهز على قواه وامضى مع داهية الالمان معاهدة هجوم ودفاع لم تزل تربطها بعضها حتى اليوم

وكان بين البلاطين الالماني والروسي من اواصر القربى ومن ذكرى المحالفة المقدسة المنعقدة ضدّ نابليون الاول ومن حجة بسمرك الدامغة ومن توحّد المصالح ببعض ظروف ما ابقاهما متآخيين ومتآزرين حتى ظهرت

باجلى بيان المطامع الالمانية سنة ١٨٧٥ وبان نزوعها الى اكتساح فرنسا مرة ثانية وايقاع تبديل في خارطة الامم فهال روسيا الامر ورأت ان وراء الاكمة ما وراءها فاخذت تتحين الفرص لتخرج من موقف لاخر ، واحس داهية الالمان ان المحالفة الروسية الفرنساوية صائرة فعلاً وان محور التوازن الاروبي سيرتج عليه فابدى من الدهاء في سبيل تأخيرها ووضع في طريقها من العقبات واظهر من دلائل المهارة ليجتذب ايطاليا اليه ما يقف عنده العقل البشري حائراً مندهشاً

لم يكن بالامر اليسير على بسمرك اتمام الامرين (تأخر عقد هذه المحالفة وجذب ايطاليا اليه) لان أئمة الروس واعظم رجالهم ودهاة الفرنسيس واكابر عمالهم من عهد كاترين و بطرس الاكبر ومن ايام لويس الخامس عشر كانت مساعيهم مبذولة لتقريب البلادين

ولان ايطاليا كما لا يعزب عن الجانب الاكبر من القراء امة لاتينية هي وفرنسا من عنصر واحد تجمعها وحدة الذوق والنسل والاداب ولان ايطاليا الحديثة هي غرس نعمة نابليون الثالث وصنيعة سيف قائده مكماهون رأب الله به صدعها ورتق فتقها . وضيعة كانت فرفعها وشتيتة فجمعها ومتجزئة فوحدها مجاراة لعواطفه واتباعاً لسياسة سار عليها السلف الصالح من قبل ولكن الظاهر ان اثقل حمل على عاتق المرء لهو ذكر الجميل وان اول عمل يعمله لتخفيف ذلك الحمل انكاره . فسرعان ما نست ايطاليا شقيقتها المحسنة اليها وايدت ذلك الحديث الشريف : اتق شرّ من احسنت اليه . فوجد بسمرك الافكار في ايطاليا مهيأة لمصافحته والعقول مستعدة لقبول مطالبه

وقيضت له الظروف ايطاليًا راجح العقل ، واسع الصدر غير كبير الاخلاق (كريسبي) وكان لهذا الرجل مطامع داخلية وخارجية رجا ان ينالها على يد حليفه القوي بسمرك فأمضى مسروراً المعاهدة التي عرضها هذا عليه ودخلت الامة اللاتينية (ايطاليا) في حظيرة الامم الجرمانية وصارت لها اطوع من بنانها واتبع من ظلها ونال الرجل الحديدي بغيته فابقى بلاده ذات الكلمة الراجحة والقول الفصل في الكون

ولكن ابت الاقدار ان ينال المرء امانيه في هذا العالم وان يقوى على استدراك العواقب كلها ففات بسمرك ان لايطاليا مركزين . مركز بري يمكن توفيقه مع مصلحة المانيا . واخر بحري يوجب عليها مراعاة امم بحر الروم حتى لا تصير هدفاً لمطامعها وعرضة لتطاولها فيه ولذلك جرتها سيدة البحار اليها وعقدت معها العهود السرية على ما كتبنا مراراً « بالاحوال » من يوم اعلان الدستور وعلى ما سيأتي تفصيله فلم تعد ايطاليا معصوبة العينين تسيرها ارادة عاهل الالمان الى حيث يريد .

وبين ايطاليا والنمسا من دواعي النفور واسباب الجفاء شيء كثير . هذه تنظر بعين الحسد والسخط الى ايطاليا الموحدة التي استعادت اقاليم كانت النمسا متبسطة فيها وظلت تنازعها الاثرة والارجحية على التيرول وسائر الولايات اللاتينية التي ما زالت بيدها وتلك ترى بعين الحقد والوجد الى النمسا شاجبة ابناءها وغاصبة من بلادها ارضاً لم تزل تحن اليها حنين المرضعات الى الفطيم

فاعجب بهما متحالفين متباغضين

ودام الحال على ما رأيت حتى ألقيت مقاليد السياسة الخارجية النمساوية ليد الوزير الكبير دارنتال المتوفي حديثاً

فادرك الرجل ان بلاده لم تجن من المحالفة ثمراً ولا دفعت عنها بها خطراً فظهر بمظهر المراقب المطالب حتى كان اعلان الدستور العثماني فاتخذها فرصة سانحة لضم البوسنه والهرسك اليه بعد ان استوثق ان جيش غليوم سيكون له عند اشتداد الازمة ظهيراً

فهاجت روسيا وامتعضت ايطاليا واضطربت انكلترا واحتج العثمانيون ولكن كان لمان الاسنة الالمانية على الحدود كافياً لسكون الافكار وسكوت الاقلام وكم الافواه

نهجت السياسة النمساوية هذا النهج وحاول دارنتال ان يحصر اهتمامها بالجهة الشمالية والشرقية من بلاده تناسياً عن التيرول والادرياتيك ومشاكلها واحب ان يبقى مع ايطاليا على سياسة الترقيع فوقف بوجهه ولي العهد الارشيدوق فرنسوا فردينان مذكراً قومه ان لهم على الحدود الجنوبية ايضاً مصالح يخلق بهم ان لا يتغافلوا عنها

وبعبارة اجلى يرغب ولي العهد ان تغتنم امته فرصة المآزق الضيقة التي تجتازها حليفته وعدوته ايطاليا لتأخذ عليها عهوداً وثيقة اهمها اسقاط كل حق او شبه حق لها بالتيرول وقطع كل علاقة مع الانكليز واصدقائهم في البحار

اما دارنتال فرأى ان الخطة محفوفة بالمخاطر فاصرّ على ابقاء القديم على قدمه حتى مات

اليوم وقد مات دارنتال فقد ماتت بموته سياسة المساهلة واللين وقضي بفقده على خطة يعتبرها الامبراطور الشيخ المثلى

ارتاح هذا الامبراطور لدارنتال واتخذه له صفياً من دون الناس وخدناً يرجع لارائه في حل المشاكل العارضة من دون ولي عهده وعماد بلاده الارشيدوق فرنسوا فرديناند

وسعى الحاسد النمام على دارنتال فاخفق سعياً وظل ذلك الوزير امين مولاه حتى ساعة حشرجة الصدر

اما الان وهو واقف على ابواب التاريخ ينتظر حكمه العادل فلا ريب عندنا ان التاريخ ذلك الحكم المنزه سيرى به وطنياً صادقاً وسياسياً حازماً ووزيراً بعيد النظر يتلاعب بالرجال والافكار ويضمه لطليعة الذين دفعوا عن الانسانية خطر الحرب

وولي العهد رجل مخيف يحسب له السياسيون حساباً ويعتقدون انه سيمثل ونده غليوم وقرينه ملك البلغار فرديناند دوراً مهماً

والراجح عند اهل العلم والعرفان ان المحالفة الثلاثية تمر في مضيق حرج اليوم فاما التجديد بعهد اصرح وروابط امتن تحصل فيها المساواة في الحقوق والواجبات واما ان تخرج ايطاليا منها فيختل التوازن الاوربي اختلالاً يخشى على العالم منه

العيد الوطني

(الخواطر ، الاربعاء في ٢٠ اذار سنة ١٩١٢)

من اسعده الحظ بزيارة باريس او تصفح جرائدها اليوم بانت له مدينة النور قائمة قاعدة ترصد بلديتها المبالغ الجسيمة وتعد الحفلات الشائقة تأهباً لاستقبال زائرٍ كبير

لا القيصر حليفها قادم ولا صديقها جورج آتٍ اليها ولو زارها الاثنان معاً لما رأت العين افخم من المناظر الماثلة امامها الان بل واحرَّ قلباه ان بين الملوك من يمر بها ولا تشعر بوجوده لشدما تطنب حبل الشعور من كثرة الرؤوس المتوجة بين الزائرين

فلمن الجنائن المختارة تتأهب ولمن اقواس النصر اذاً !

لبنت من بناتها وعاملة من عاملاتها كانت بالامس وضيعة لا تملك فلساً وستعود غداً لما كانت عليه ولكنها في منتصف الصوم اميرة ترفع على ذكرها الكؤوس وملكة الملوك يسير امامها الحراس وتحنى الرؤوس

سلني أجبك إن الفرنسيس بما فطروا عليه من خفة الروح والميل الى اللهو والطرب ألفوا من زمن قديم عادة اقامة عيد بهذه الايام يروحون فيه النفس المنكمشة تقشفاً من الصوم فيختارون من طبقة البنات العاملات اشرفهن وجهاً وازهاهن ثغراً واكثرهن ظرفاً واسحرهن ادباً ويتوجونها ملكة الملوك ويحكمونها على ضفاف السين يومين كاملين

واذا عرفت ان بين بنات باريس طبقة من العاملات هنَّ اميرات الذوق

ومخترعات الزي ولا معارض وربات الذكاء الساحر ولا منازع

واذا علمت ان ادوار السابع كان يطأطئ الراس اجلالاً لهنَّ وشغفاً واذا ذكرت ان جمالهن اوحى «لهوغو» اجمل اياتـه و«لدوماس» ارق تخيلاته واذا تصورت ان هذه الطبقة هي زهرة باريس وباريس زهرة العالم ادركت اهمية هذا العيد ومكانة ملكته من الجمال

تشكل البلدية المحكمين — ومن لا يتمنى ان يكون ذلك الرجل — فينتخبون الملكة وفي الموعد المضروب يأتون بها لدار البلدية حيث تلقى اليها مقاليد الحكم وتخرج من هنالك بموكب حافل فتطوف شوارع العاصمـة بين طبول تدق وموسيقات تعزف وزهور تنثر واعلام تخفق وصدور تضج بالدعاء وتصفيق يملأ ضجيجه الفضاء ووزير يمشي امامها على الاقدام ورئيس يحييها تحية التجلة والاحترام وبنات شرف تحيط بها احاطة الهالة بالقمر وجوارٍ احر ما تتمناه منها النظر والوف لا تقع العين على طرفيها ولا يعلم عددها الا الله

ثم تزول امارتها في اليوم الثاني وتعود الى الوسط الذي خرجت منه بل تبقى مليكة في دار الهوى يتمنى كل امير لو زودته بنظرة او أفسحت له في قلبها مكاناً

والذي يتصوره الناظر لاول وهلة ان تلك الحفلة تقام عن طيش ونزوع الى القصف واللهو ولكن القارىء بين اضعاف السطور يدرك ان هناك حكمة سامية في سياسة الامم وتدبير امر مرافقها يخلق بكل من تولى خدمة عمومية الانتباه اليها والعمل بها

لا خلاف في الامر ان اعظم اسباب منفعة فرنسا وقوتها غناها ولا اشكال

ان من اهم اسباب هذا الغنى اقبال الغرباء عليها والتماسهم في ربوعها العافية والنزهة والعلم فالمانيا تتفوق عليها صناعة وتجارة وانكلترا سباقة لها بالحالتين ولكن الاثنتين تابعتان لها ثروة ومالا لانها تكنز في كل سنة من اموال الاجانب قناطير من الذهب في خزائنها

لا امنية اشهى على قلب الموسر الاميركاني او الامير الروسي او اللورد الانكليزي من انفاق ملايينهم في ارض الفرنسيس ولا سيما على ضفاف السين . ولذلك كان همّ الفرنساويين الكبير وشغلهم الشاغل التفنن في كل ما يحبب للغريب الاقامة بينهم وهذا سرّ ما نقرأ عنه ونسمعه من اقامة معارض وتنظيم مسابقات واعداد حفلات الى غير ذلك من الامور التي تستقدم النائي راضياً مختاراً وهذا هو وجه الحكمة من حفلة ملكة الملوك في ايام الصوم

ولقائل يقول اي دخل للحكومة او البلدية في الامر نجيب ان الحكومة هي التي تتولى القيام بهذه المشاريع وتمد البلديات بجانب كبير من المال لان من اخص واجبات الحكومة بعد تأمين الناس على اعراضهم واموالهم وارواحهم الاهتمام بدرء المغارم عنهم وجرّ المغانم اليهم والسعي وراء كل عمل يرجى منه للبلاد والخير والمنفعة

ومن اهم بل اهم واجبات البلديات ان تستفيد من مركز البلاد وتقاليدها وتواريخها وان تستثمر بذوق مواهب الطبيعة فيها

ولقد ميز الله لبناننا بحسنات لو عرفنا طريقة استثمارها لدرت علينا الخيرات سيولاً ولاصبح هذا الجبل بها محط الرحال وسويسرة ثانية

فمن هواء عليل ، ونسيم بليل ، ومياه سائغة ، ومناظر فاتنة وغابات لجمال

ووقار الطبيعة جامعة ، ومياه تتدفق تدفق السيل في الوادي الضيق ومركز جغرافي فريد على قيد شبر من مصر ورمية حجر من اوربة بين ساحله وجرده اقصر ما بين السواد والبياض تنمو في هذا اشجار العنب والمشمش والرمان وتزهر وتثمر في ذاك اغراس النخيل والبرتقال

وخصت الطبيعة وادي البردوني بهواء يبعث في الصدور حياة وماء قراح يجلو عنه الصدى ومناخ اقل ما يقال فيه ان الهواء الاصفر والطاعون تحككا به فما وجدا للدخول اليه سبيلاً

والعدل يقضي ان نقر للبلديات بما عملت ولكن ما عمل ان هو الا النزر اليسير بجانب الواجب عمله لذلك ندعو البلديات في كل انحاء هذا الجبل العزيز ان تمهد للغريب طريق الوصول الينا والاقامة بيننا

لذلك نوجه انظار الرأي العام في هذا الوادي ان ينتقي له بلدية من الأُلى تنم حركاتهم وسكناتهم وثيابهم عن علم وذوق وحزم من دون كل خامل جاهل بليد

وعلى انتظار تلك البلدية التي تحلم بها النفس نسأل بلديتنا الحاضرة ان لا تحصر اهتمامها بامر التنوير والكناسة والرش ، بل يجب ان يتناول النظر طرق احضار الغرباء الينا والمذاكرة مع التجار وارباب النزل في ايها اسد واقرب واحكم ان باقامة اسواق عمومية صيفاً وشتاء وان باعداد سباق للخيل مرتين وثلاثة في السنة والانفاق عليه من مالها ليكون نخباً او بأمور غير هذه تشوق للغريب التردد الى هذا الوادي

لما تبتدىء البلديات تشعر بالواجب على هذا الوجه ولما يقوم من اعضائها الجريء الفصيح لمعالجة هذا الموضوع وتقرير هاته المشاريع بشر هذا الوادي والناظرين اليه بعين الحب بمستقبل لامع حسن

واذا دام انتقاء الاعضاء عَلَى حسب الغايات والاهواء من كل من ختم الله على قلوبهم فهم لا يبصرون ومن كل جاهل مخجل تبقى البلديات على ما ترى بابلاً ثانية لانفقه منها شيئاً



الانتخابات

(الخواطر ، في ١٧ نيسان سنة ١٩١٢)

لفظ القضاء حكمه فبعثت البلاد نوابها وكان انتخابها مخالفاً لما ظن الناس وظننا في الديار السورية

فاز الاتحاديون فوزاً مبيناً في كل الجهات بل لم يكن فوزهم لذيذاً اذ لم يقم لهم خصم وفشل الائتلافيون بكل محل ولكن لا فشل هؤلاء ولا فوز اولئك يجب ان ينسينا مصاعب الحالة الحاضرة ومخاطرها

لو كنت اتحادياً ذا رأي مسموع او كان لصوتي الضعيف في الدائرة العثمانية صدى لفتحت باب المجلس لخصومي الائتلافيين على مصراعيه ولما رضيت عن انكسارهم لهذا الحد

من ظن ان فوز الاتحاديين على هذه الصورة يزيد الدولة منعة فقد ساء فأله ومن توهم ان الاحزاب مدعاة تضعضع الامور وعرقلة المساعي فهو مغرور

حياة البلاد باحزابها اللهم الاحزاب التي اختلفت مبدأ واتفقت غاية لا الاحزاب التي تدور على نفسانيات وشخصيات . اما البلاد التي يقف خطيبها ويطلب امراً يسرع السامعون الى تقريره دون تمحيص ولا تحقيق فمصيرها الى الخراب والمجالس التي يكتفي الناس فيها باحناء الرأس لهي المجالس التي حكم عليها ان تبقى عقيمة لا تزهر ولا تثمر

اذا لم يكن لك خصم فاشتر لك خصماً فعلمك بوجوده عذولاً رقيباً يجعلك حريصاً رصيناً ويقيك شر الزلل

الحقائق يولدها احتكاك الاراء بالبحث فانى تظهر الحقائق في بلاد غاية ما يقوله السامع للقائل صدقت ولا فض فوك

من للناس يفهمهم ان البقاء على العداء يوغر الصدور ويخشنها وان الشفاء بضمد الجراح وتأليف القلوب وجمع الكلمة والضمد والجمع نتيجة طبيعية للعدل والاحسان

من للناس يفهمهم ان الخصم السياسي غير الخصم الشخصي وان ذلك خليق باعتبارك واحترامك اذا كان يسير على خطة مشروعة بينة ويرمي الى غاية شريفة

من للناس يفهمهم ان اعظم شعار للحرية واجمل وصف لهو احترام عقائد الغير ومبادئهم التي يقتنع اصحابها بصحتها

لو شاء ربك لجعل الخلق كلهم على دين واحد ورأي واحد ولكن خلقهم مذاهب وشتى لكل عينا ومسمعا ليرى بهما كما يريد لا كما يراد منه فلا المخالفة ذنب ولا المعارضة جريمة بل هما فضيلتان ساميتان لازمتان لكل هيئة ادارية

اذا أسدل الليل على المعركة الانتخابية في البلاد المتمدنة حجابه الكثيف تناسى الناس اختلافهم وعملوا على ترقية شؤون الاوطان بما اوتوه من علم وخبرة فهل نعمل مثلهم نحن ام يبقى السائد منا على صلفه وكبره متخذاً فرصة تقربه من دفة العمل وسيلة لانفاذ مآرب ذميم وادراك غاية سافلة

العيون شاخصة بدار الملك ، والاعناق تتطاول ، والنفوس شيقة الى

كل مكان لمعرفة ما سيكون ، اما قلوب الوطنيين فهالعة مرتجفة ذلك لان البلاد تجتاز ازمة شديدة ومركز الحكومة والمجلس ضيق حرج

الدول يهيجها البقاء علَى الحرب وايطاليا العدوة تتذرع بكل ما لديها من الوسائل لايقاظ الفتن في البانيا ، وروسيا لا تأنف من الصيد في الماء العكر . والصلح مشين والاصرار على الحرب محفوف بالمخاطر

البلاد بحاجة الى ابنائها كلهم تدفع بهم خطراً خارجياً كبيراً وابناؤها يتشاكسون ويتخاذلون

اتحاديهم يعتبر ان الله فتح له على يد الانتخاب ملكاً جديداً والمخالفون يتصورون ان حقاً مقدساً سلب منهم وقليل من الناس من يعمل علَى تسكين الخواطر

الغالب لا يريد ان يعرف ان صالح الوطن المقدس فوق صالح الاحزاب فيرفق ويكون سمحاً . والمغلوب يكظم غيظه ولا ينسى . وبين الغالب والمغلوب بلاد تئن وجبال تميد وتجارة تبور وصناعة تكسد وارض تضن على بنيها بالغذاء



الحالة السياسية

(الخواطر ، في ١٧ نيسان سنة ١٩١٢)

لكل دولة بتحريك دفة امورها الخارجية سياستان : سياسة تقليدية تستودعها خزائن الاوراق ومعطف القلوب ، وسياسة وقتية تتبع ميول الوزراء القائمين بالامر

اما هذه فلا يعول عليها ولا يصح ان يركن اليها العثمانيون لانها تذهب بذهاب الرجال فهي كخراف شردت عن حظيرة القطيع وما لبثت ان عادت اليه زجراً او تاهت في الفلوات البعيدة ، واما تلك — اي السياسة التقليدية — فهي التي يجب الانتباه اليها والاعتداد بها والتحفظ لدرء مضارها والانتفاع منها حسب ظروف الزمان والمكان لانها خطة وضعت عن تروٍ واتخذت قاعدة للعمل ودستوراً

وكل شيء يدل ان سياسة دول اوربة الوسطى والشمالية التقليدية تدور كلها بما يتعلق بالممالك العثمانية عَلَى خطة واحدة مرتبة وموضوعة باتفاق الكل وتصديقهم ولم تكن حوادث هذه الايام بنت ساعتها ولا هي منفصلة عن بعضها بل ان القارئ بين اضعاف السطور يراها مرتبطة ببعضها ارتباطاً وثيقاً نتائجها كلها صادرة عن مقدمات واحدة ولو رأتها العين مبعثرة متفرقة لا علاقة للواحدة بالاخرى

ولم تخرج الجرائد الاسلامية العربية عن الموضوع لما تكلمت عن تحامل الغرب علينا وتقرير وزاراته اقتسام ممالكنا ولكن تلك الجرائد البست

الامر صبغة دينية واعتبرته عداء قائماً بين الانجيل والقرآن

ولعلّ لها عذراً من لزوم تحريك عواطف المسلمين في جهات الارض الاربع وحثهم على التألب حول دولة الخلافة دفعاً للخطر الخارجي الذي يهدد البلاد وسلامتها ولكن لم يخل الامر من خطر لان العامة كلها لا تفهم مقصود الجرائد بل تعتبر ما قيل لها صائراً وان كان غير صائر

فسياسة العواطف والاديان غير معروفة في اوربة اليوم وكان لها زمن فانقضى ، واما ضالة الافرنج المنشودة وغايتهم التي يبذلون في سبيلها المهج فهي ارواء مطامعهم الاشعبية وجرّ المغانم اليهم وبعبارة اجلى هي سياسة مصالح لا غير ولا سوى. فلما دبّ دبيب الفساد في جسم الدولة العثمانية وقويت شوكة جيرانها من روم وصرب وبلغار وسلاف وزال الوهم الذي كان مشحوذاً على الافكار من حول وطول الجيش العثماني اختطت تلك الدول لنفسها خطة كان من مقتضاها التقرب من الشرق رويداً رويداً والعمل على اقتسامه بينها والتهامه ووضع الروس نصب اعينهم الاستانة والنمساويون بحر الروم عن طريق سلانيك

هذه هي سياسة الدولتين التقليدية وقد اتفقتا على انفاذها ولو بانتا للناس مختلفتين سائرتين على خطتين متناقضتين

ومن رأى الروس يرغون ويزبدون يوم ألحقت البوسنه والهرسك بالنمسا ظن ان الحرب بين الامتين على الابواب ولكن ان هي الا مظاهرة

يقصد بها تسكين الخواطر الهائجة في البلادين وذر الرماد على اعين العثمانيين — فالروس والنمساويون متفقون بمعاهدة خطية منذ سنة ١٧٩٣ اي من جيل وسبع عشرة سنة على ان تأخذ النمسا البوسنه والهرسك لتفتح بهما طريقاً الى سلانيك وان تطلق يد روسيا للعمل كما تريد في البلقان كله من دون السرب والراجح ان اتفاقاً عقد بين الدولتين وايطاليا على الامر نفسه بدليل موقف روسيا الغامض بهذه الايام وتحريكها الفيالق عَلَى الحدود العثمانية والعجمية ضغطاً وتهويلاً

اما فرنسا فمحبة للعثمانيين وقد بقيت على موالاتهم وكان همها الاكبر ان تبقيهم قوة تحفظ بها كفة الميزان من النزول وانكلترا تمنت لهم طول البقاء وعملت بدهاء عجيب على عرقلة مساعي خصومهم واقامة السدود بوجههم والحواجز ولكن لما كان الانكليز اهل انانية ومحبة ذات ، فهم لا ينظرون الى الامور الا بما تمليه عليهم مصالحهم ومنافعهم ولذلك كانوا بكل مرة يخلصون لنا الود و يبذلون النصح ، يطلبون عنه اجراً وثواباً فأخذوا منا عَلَى ممر السنين والاحقاب مالطة وقبرص ومصر والكويت بحجة انها تدفع بيدهم غارات الاعداء وتمنع نزول الخصوم الى بحر الروم ورسخت قدمهم في العراق والخليج العجمي فهم اذاً كالجزار يعلف الضاني ليذبحه سميناً

ان للانكليز صالحاً رئيسياً ان يبقى العثماني قيماً على بوغاز الدردنيل وائمة السياسة العثمانية يعلمون ذلك فيحافظون على ودهم ويتسامحون معهم بما لا يتسامحون به مع الغير والسوى

و يشق عَلَى كل وطـني حر ان يرى ايدي الاغيار تتلاعب بـبلاده وتعبث بحريتها وحقوقها وتجرحها باشرف عواطفها وتخيلاتها وليس من يضن على هذا الوطن باعز ما لديه لو عرف القائمون بالامر فينا كيف تساس الامم وتجمع كلمة الشعوب

ولكن منيت هذه البلاد ومنينا بمن يحل الشدة محل الرفق والضغط والعبث بالحقوق محل التودّدة والانصاف والمساواة ، فقل لمن يدعي حب البلاد ارفق واعدل فالعدل والرفق هما اساس العمران ...



الامهات

(الخواطر ، في اول ايار سنة ١٩١٢)

كنز الحب الذي لا يفنى ، ومعدن الحنان الذي لا يدخل اليه صدأ ، ومعين الرأفة الذي لا ينضب ، وسيل العطف المتدفق صيفاً وشتاء

اذا حرد الدهر عليك وقلب لك ظهر المجن فلك قلب لا يحرد بل يبقى محباً وهو قلب الام

اذا خانك الزمان وتناساك الاهل والخلان فعندك قلب صادق لا يخون ولا ينسى وهو قلب الام

اذا نبذتك الهيئة الاجتماعية واقصتك عنها احكامها وانكرتك شرائعها وقوانينها فقلب لا ينبذك ولا ينكر وهو قلب الام

تتمنى الام بقاءك شريفاً كريماً ، عزيزاً محبوباً ولكن هي لا تستنكف ان تؤاسيك ذليلاً وتسليك فقيراً تعساً وتبكي معك جانياً على اخوانك في البشرية او متعمداً اذاهم بل هي ترى لذة بالوقوف جنبك يوم الناس يعرضون وهي وحدها من دون الناس تجد في معاطف قلبها بقية حنو للملك وضمك وللدفاع عنك واللحاق بك الى المنفى او القبر ولو كنت اليها مسيئاً

يعلم ذلك الاشقياء والمجرمون الذين اغلقت قلوبهم بوجه كل حاسة شريفة وانغمسوا بحمأة الرذائل فلا يؤثر بهم شيء مثل ذكرى امهاتهم . اولم تكن تلك الذكرى في كثير من الظروف مدعاة توبة المجرمين

وندامتهم وعودهم الى الطريق المثلى

وللام مواقف شريفة ومؤلمة بوقت واحد يوم يتنازعها عاملان . عامل الشرف والواجب من جهة وعامل الحب من جهة اخرى . يهيب بها الاول الى النمّ عن ثمرة احشائها وفضح اعماله وتسليمه بمض الظروف الى القضاء ويحدو بها الثاني لستر منكراته حباً به . ولكن لما يتغلب الاول تبلغ الام اسمى الدرجات فتقوم بما توجبه عليها واجباتها نحو الهيئة ولو بتضحية فلذة الكبد

لما عرض الحجاج الامان على ابن الزبير استشار هذا امه ابنة ابي بكر الصديق المعروفة بذات النطاقين فقالت له امه يا ولداه انا ارى ان تموت كريماً ولا تتبع فاسقاً لئيماً وان يكون آخر نهارك اكرم من اوله فقبّل رأسها وضمته الى صدرها وذهب يكافح العدو و يفرق الصفوف ويزيحها وحده عن مراكزها حتى قتل فدخل الحجاج على اسماء وقال كيف رأيت ما فعلت بابنك فاجابته : لقد افسدت عليه دنياه وافسد عليك آخرتك

فما اشرف عواطفك واكثر حنانك واقل حظك يا قلب الام !



لا تعجلوا في الحكم

(الخواطر ، الاربعاء في ٨ ايار سنة ١٩١٢)

يتوفر الباحث المدقق على مطالعة موضوع ودراسته فينفق السنين الطوال ويستقصي الشوارد الآبدة حتى يحيط باطرافه ويستجلي دقائقه ويبرم بعد ذلك حكماً موءيداً بالحجة الناصعة والدليل القاطع اكدته شواهد الاختبار وبرهنت على صوابه التجارب فيتناقله العلماء خلفاً عن سلف ويخلد ذكر الباحث. واني يكون هذا التحري والتثبت في من نضجت مواهبهم وغزرت مادتهم وعظمت اقدارهم العلمية فيستنكفون من القاء الكلام على عواهنه ويتمحصون لتجريد الحقيقة مما يعلق بها من شوائب الاوهام

ويلقي آخر عَلَى مظاهر الطبيعة والاجتماع نظرة عارضة ينهض بعدها الى الحكم في المشكلات الطبيعية والاجتماعية وتعليل ما حير ارسخ العلماء قدماً واعلاهم كعباً فيضع القواعد ويبت في الاحكام ويكيف النواميس على هواه ويكون هذا المتعجل من طبقة اخذت من العلم باقله واستمسكت من الامور بقشورها تحاول بالدعوى المريضة استتباع الناس والزعامة فيهم فيكون لها شأن حين ضعف الامة وجهلها حتى اذا نفذت انوار العلم الى محيطها ضربت بهوءلاء المتعجلين عرض الحائط فيقل سوادهم كلما بعد نظر الشعب في الامور وعلا كعبه في القياس العقلي والمنطقي

وامتنا لا تزال في بدء نهوضها وفجر حياتها العلمية وافراد الطبقة الآنفة الذكر منتشرون بين ظهرانيها انتشاراً هائلاً يعرقلون سيرها بنظرياتهم العوجاء

وسفسطاتهم الفارغة لان الامة لم تبلغ من الرقي درجة يفرق عندها بين ادعياء العلم وابنائه الخلص النجب فهي تنزل الظنون منزلة الحقائق المقررة وتضع الاوهام موضع القواعد الثابتة وتلتقط كل شاردة وواردة كغريق اكتنفته الامواج فهو يتعلق بحبال الهواء ويستمسك بزبد الماء

آراء هؤلاء الادعياء تسمم الافكار وتقطع مناط الامال وتسد السبيل على النور فاحر بكتابنا وقادة الافكار فينا ان يتجردوا لتزييف دعاويهم وتسفيه آرائهم واذا لم يفعلوا تخبطت الامة عشرات من السنين قبل ان تأخذ باسباب المدنية الحقيقية ، وكنا نكل امثالهم الى ناموس بقاء الانسب لو ان الوقت متسع والاجل منفسح ، اما ونحن في مأزق حرج يتهددنا فيه الفناء لحظة فلحظة ان لم نبادر الى موارد العلم الصافية ونستن في منهاج الحضارة والرقي فلا بد لنا من مناهضتهم كي لا يثبطوا الهمم ويخمدوا العزائم ويستدرجوها بالغرور الى مهاوي الهلكة ومصارع الفناء

اولئك الادعياء احد رجلين اولهما تستهويه مظاهر القوة وعلائم البأس فيقول : جنديتنا وبحريتنا وآباؤنا وماضينا فمن ذا يجترىء على تكدير صفونا او الغارة علينا :

وايامنا مشهورة في عدونا لها غرر معلومة وحجول
واسيافنا في كل شرق ومغرب بها من قراع الدارعين فلول

وآخر يرى ان عوامل الفناء قد دبت في جسم الامة واكتنفتها عوادي السقم والهرم فلا قبل لها بالنهوض من كبوتها الا ان يخلقها الله خلقاً جديداً فهو يقول اننا لم نعد نصلح لشيء الا لنموت ونلحد

كلاهما مخطىء في زعمه متهور في حكمه والحاجة الى حدّ متوسط بينهما لا يعترينا فيه الغرور ولا يقعدنا القنوط

التبجح بمآثر الاجداد ومآتيهم والتفاخر بذكر ماضيهم لا يجدينا في معترك الحياة فتيلاً ولو بعث خالد وابو عبيد وطارق وموسى وقتيبة وغيرهم من ابطال العرب وعاد الى الحياة قواد الاتراك المحدثين لهرعوا هم انفسهم الى مجاراة الغرب في نهج المدنية الحاضرة عالمين ان لا بد لهم من تلك المجاراة لاستبقاء صولتهم وحفظ سيادتهم

الامم كالافراد تشيخ وتهرم وتصبح من القبر على قيد ذراع وتختلف عنهم في قابليتها للتجدد فعندما توشك ان تلفظ النفس الاخير وتدرج في اكفانها الى يوم الحشر يتدار كها الله بابنائها المصلحين فتنفض عنها غبار الموت وتستعيد قوتها ومضاءها

يقايس المتشائمون بيننا وبين امم الغرب الراقية فيهولهم بعد الشقة وانفراج الخلف ويقولون هيهات ان ندرك لهم آثاراً · هذه مدارسنا ومدارسهم وجمعياتنا وجمعياتهم واحزابنا واحزابهم فلنقابلها ولنستنتج بعد ذلك ما يلوح لنا من تلك المقابلة

ما اعظم ضلالهم وان تلبس باطلهم بلباس الحقيقة حتى يعسر التمييز بينهما !

شعب ما نضبت عنه التمائم الا منذ اربع سنوات فلا تصح مقايسته برجل جبار عارك الدهر وعجم الايام فمتنت الحوادث عضلاته وصلبت الايام نفسه واية مقابلة تمكن بين طفل يتمتم بالفاظه وبين خطيب ملسان قضى

السنوات في الخطابة والالقاء ؟

يجب ان نستبشر خيراً بكل حركة اجتماعية تهم بها هذه الامة فانما هي من دلائل الحياة وان تكن اليوم ضئيلة فانها تستحكم في الغد بشمولها طبقات الامة كافة حين يعرف الجميع معنى الاجتماع والتضامن

نحن رجال كافراد ولكننا كأمة لا نزال اطفالاً في المهد فلا ينتظر منا ان نباشر عظائم الامور دفعة واحدة ولا ان نسابق الامم المتمدنة في يوم واحد فكل شيء يبدو صغيراً ثم يكبر وينمو كما تقتضي نواميس الارتقاء

مدارسنا الصغيرة الضيقة تتسع في الغد وتعلو درجتها وجمعياتنا الفقيرة تزيد ثروتها بمرور الايام واحزابنا القومية الشخصية يطهرها قانون الرقي فتتكيف حتى تضاهي غيرها فلا يقعد بنا ما نراه من تأخرنا وبعد البون بيننا وبين الغرب فكل من سار على الدرب وصل

يقول قصار النظر هذه امة لا حياة لها والحقيقة ان الامة لا يطويها الفناء

شجعوا كل مشروع عمراني، خذوا بيد انصار الترقي، ابسطوا الكف للجمعيات الخيرية العاملة عَلَى سعادة الانسانية يساعدكم كل ما في الوجود عَلَى ان تنشطوا من عقالكم وتسعفكم الطبيعة عَلَى بلوغ آمالكم ويمدكم الله بروح من عنده لان الله لا يحب العبد البطال

تمزقوا حذائق وتقاعدوا عن العمل واجهلوا معنى التضامن فيأتي عليكم القدر الآتي على الاحياء وتموتون موتة لا نشور بعدها

ابناء هذا الجيل يطوون مراحل الحياة حاملين في ايديهم حظوظهم وحظوظ ابنائهم في الاجيال الآتية متخذين على عواتقهم تبعة عظيمة امام المستقبل والتاريخ فليتقوا الله فيما استودعوا! وليحسنوا صنعاً بما ائتمنوا عليه. اننا عشنا حتى اليوم افراداً ونحاول اليوم ان نعيش كأمة. هي فرصة عرضت لنا

واعقل الناس من ان فرصة عرضت   لم يجعل السبب الموصول منتضبا

فاما ان يقضي بنا السير الى حياة يشارفها السعد وتنضرها الغبطة واما الى حياة ملؤها شقاء وعذاب ونقمة خالدة في الذراري والاعقاب



الخطر العربي

(الخواطر، السبت في ١١ ايار سنة ١٩١٢)

وهم ملك العقول واضلها ، وخيال تسلط على الافكار ففتنها وداء انسل الى ثنايا الصدور واحناء القلوب فانحلها وجعلها كالابل الشاردة تتيه في الفلوات البعيدة ولا تهتدي سواء السبيل

السياسة الخارجية مرتبطة بالسياسة الداخلية ارتباطاً مكيناً فاذا كان مركز الحكومة والبلاد عزيزاً في الداخل امتنع موقفها في الخارج والا ساءت العقبى وتاه الدليل

الانسان واقف لاخيه الانسان رقيباً فاذا آنس منه غفلة صارت المراقبة عداء والعداء تحرشاً يتحول الى هجوم وان وجده يقظاً ساهراً والاه

والمشاكل الداخلية تولد المشاكل الخارجية وعلى نسبة تلك من الخطورة والاهمية تنزل هذه في البلاد فمن اين لبلاد كبلادنا ان يهنأ لها عيش او او يقر قرار او يمتنع في الخارج مركزها والريبة علقت من النفوس فولدت تنافر القلوب ؟

لولا اعتقاد الدول تنافر قلوبنا لاجتنبنا كثيراً من المشاكل الخارجية ولما تجرأ العدو ان يشهر علينا هذه الحرب الغاشمة ولكن دس الاجانب الدسائس وبثوا السعايات فصادفت ارضاً صالحة فنمت وزكت حتى بلغت مبلغها الذي ترى فرأى الناس الحبة قبة وذهلوا جميعاً عن واجباتهم نحو هذا الوطن المحبوب

اعتمدت اوربا على تفرق كلمتنا وتشتت آرائنا اكثر من اعتمادها على السيف المسنون والبارود الجاف فنالت منا ما تريد وتاجر العدو بمسئلة العناصر — ونحن هيأنا له الاسباب — ونفخ بها روح الفتنة وكبر للملأ مخاطرها حتى سرى عليه نفسه هذا الوهم وضل بما سمع من اقوال صحف وخطباء وخالها فرصة سانحة لقلب ظهر المجن واقتطاع ممالكنا فصادف من اخلاص العرب سداً منيعاً

وما زالت جرائدهم تشير الى الخطر البلقاني وتهول على حكومتنا بالخطر العربي فتظهره في العراق وتوجده في اليمن وتدل عليه في البلد الآمن المخلص سورية الذي كان ولم يزل احرص بلاد الله على سلامة الدولة ووحدتها — وتنم عنه بكل محل — فاهاب داعي تنازع البقاء باولي الامر منا الى التذرع بكل اسباب الحيطة صيانة لكيانهم من الخطر المهدد فضيقوا على الصحافة وسنوا نظام المطبوعات الجديد وصور لهم الوهم المعارض خصماً والخصم عدواً ومن لم ير رأيهم في المسائل الموضوعة على بساط البحث خائناً اثيماً . ولو اعملوا الفكرة وانعموا النظر لبانت لهم دسائس الاجانب في البلاد ولظهر فساد الرأي القائل ان فيها خطراً عربياً

لا خطر عربي على الدولة واذا كان الخطر الوحيد الذي يتهددها هو هذا فبقاؤها مكفول ابداً باذن الله

ذلك لان العرب بطبيعتهم واخلاقهم واطوارهم وميولهم لا يدينون لرئاسة عربية ولا يخضعون لزعامة منهم ، ولقد رأيناهم في الجاهلية يتقاسمون النفوذ ويتناظرون الرئاسة . ولكل بطن من بطونهم ميزة وارجحية بامر حتى

لا تجتمع الرئاسة كلها لبيت واحد. الى ان شاء الله جمع كلمتهم المتفرقة فبعث نبي الاسلام «صلعم» وأوتي هـذا حكمة سامية في سياسة الامم والشعوب ومقدرة عجيبة على ازالة اسباب الغيرة والتحاسد وتأليف القلوب ندر ان قام بمثلها بشر فتمكن من كسر شوكة كبريائهم الطبيعية وحملهم عَلَى الانضواء تحت ظل الخلافة الدينية والحرص عليها ، وصارت الامة النافرة المتشادة امة اليفة متحابة منتظمة تخضع لسلطان واحد

ولولا اعتقادهم انهم قائمون بامر الهي لما حرصوا عَلَى عرش الخلافة ذلك الزمن ولولا دهاء معاوية النادر وسطوة الرشيد وحلم المأمون الباهر لما بقيت عصبيتهم قائمة بعد زوال هيبة الملك . وتلك العصبية وهاتيك الرابطة زالتا بزوال النوابغ من القوم فعادوا الى ما كانوا عليه متقاطعين متشادين وتفرقت كلمتهم وتجزأت ممالكهم وآل الامر الى الايوبيين وغيرهم حتى استتب بقوة الخلافة والفتح الى الاتراك فدانت العرب للملك الجديد عن رضى وارتياح وبذلوا له الود واخلصوا النصح اجيالاً واحقاباً تعاقبت فيها سنو الجدب والاقبال على الاتراك فكان العرب لهم بالسراء والضراء مخلصين

ولا يذكر التاريخ من يوم الفتح التركي الى يومنا هـذا زمناً حرد العرب فيه على الاتراك وناهضوهم فليس من الحكمة ومحاسن الاخلاق الارتياب به

اما رسائل كتبت لتعزيز قومية وخطب لفظت لتأييد لغة لحق من الحقوق الدستورية وواسطة لوجود التفاهم ومبادلة الثقة والاخلاص بين العنصرين

ولذلك دهش العارفون لبقاء القائمين بالامر على حذرهم وانصراف المساعي الى اوهام تغل الايدي وتثبط العزائم وتميت الهمم وتوهن مركز الحكومة والبلاد بعيون الاجانب

البلاد بحاجة الى التفاهم والحكومة بحاجة الى اكثرية رصينة تؤيدها فالاكثرية وجدت قوية صادقة والتفاهم يمكن الحصول عليه اذا اديرت دفة السفينة برفق وتؤدة و بعد نظر

كانت حجة الوزارة عن فشل المسعى بالامس ضعف الاكثرية التي كانت ترتكز عليها فما تكون حجتها اليوم والاقبال عليها عظيم والخناصر على ولائها منعقدة !



صفحة من التاريخ

موقف روسية في الحرب السبعينية — اسبابه — اول حجر في اساس المحالفة الفرنسوية الروسية — عمل التيمس المجيد عام ١٨٧٥

(الخواطر ، الخميس في ١٦ ايار سنة ١٩١٢)

ان للحوادث السائرة التي يمثلها الزمان على مسرح السياسة بيننا اسباباً عالقاً بعضها باهداب بعض ونوابغ البشر يعدون العدة ويهيؤون الاسباب تحت طي الخفاء حتى اذا عرضت الفرصة ونضجت المساعي كشفوا عن مقاصدهم الغطاء لا يلويهم حنان ولا تردهم عنها رحمة وعواطف

ولقد كان للروس سنة ١٨٧٠ مركز مهاب في اوربة ومقام يخشى جانبه فلو شاؤوا منعوا الحرب وحالوا دون سحق فرنسا واختلال التوازن على وجه احل على حدودهم الغربية قوياً عاتياً جباراً محل ضعيف هزيل . ولكنهم رغم ميولهم وجنوحهم للوقوف بين المتنافسين تلك السنة لم يفعلوا لان داهية الالمان ورجلهم الحديدي قد اعد لايقافهم علَى الحياد العدة من سنة ١٨٥٦ وهيأ الاسباب فشهر الحرب وهو واثق ان روسية لا ترفع احتجاجاً ولا تبدي حراكاً

قراء التاريخ يعلمون ان بروسية امة بسمرك لم تشترك مع فرنسا وانكلترا بحرب القريم ولم تكن كالنمسا بين الضاغطين على روسية والقافلين بوجهها باب المضايق — الدردنيل والبوسفور — بمعاهدة باريس بل التزم بسمرك

بجانب الحياد وتموك الحرق يتسع بين فرنسا والنمسا من جهة وبروسية من جهة اخرى ليتعذر رتقه حتى اذا حان الزمان شهر سيف فريدريك من غمده وسار الى الحدود الفرنسية قرير العين واثقاً ان حراب الروس تحمي ظهره وتغل ايدي النمسويين عن التدخل والاخذ بالثار غير ان وزير الروس « غورتشاكوف » الذي كان يحسب لتوحيد المانيا تحت سيطرة بروسية الف حساب رأى ان لا تمر الحوادث دون ان يستفيد منها فاشار عَلَى مولاه الامبراطور اسكندر ان يلغي، قبل ان تسحق فرنسا تماماً، من معاهدة باريس كل بند مشين يتعلق بالبحر الاسود ففعل وكاد يجر فعله هذا الى حرب عمومية لولا دهاء بسمرك وسعيه الحثيث (وهو بارض فرنسا) لدى انكلترا حتى قبلت بالامر

اما « غورتشاكوف » فكان ومولاه الامبراطور على رأيين متناقضين في السياسة الخارجية هذا يرى ان قوة بروسية ومنعتها مفيدة له لانها لو كانت قوية سنة ١٨٥٦ لحالت دون اشتراك النمسا مع الدول الغربية ضد الروس فطلب محالفتها وذاك اي « غورتشاكوف » يعتقد ان المانيا الموحدة بسيف بروسية ستكون خطراً على اوربة وعَلَى راحة شعبها ورأى ان تكون روسية بلاده حكماً في بر اوربة يرجع اليه وآثر ان تبقى امته فتاة فتانة غنية يخطب ودها الكل ولا تمد يدها لاحد

فموقف مثل الذي ذكرنا من وجود ميلين متباينين عند دفة السياسة الخارجية لم يكن ليمكن الروابط بين الشعبين الروسي والالماني بل كان والحوادث التي تلت والتي تسير المرء مكرهاً الى حيث لا يريد — مدعاة

نحولها وذبول نضارتها ، فشاء بسمرك قبل ان تتوتر العرى نهائياً مع الروس ان يجهز على فرنسا و يكفي امته عناء الاهتمام بها من بعد ان تتفرغ امته الى مناوأة الروس فانتحل لنفسه الاعذار و كاد يشهر عليها الحرب فصادف من روسية سداً منيعاً

ولما استشعرت فرنسا بالخطر المحيق بها على اثر مقابلة سفيرها في برلين للوزير الالماني « رادوفتز » استنجدت بروسية ولذ « لغورتشاكوف » احتكامها اليه لحمل مولاه الذاهب الى « امس » ان يمر في برلين ليخطر امبراطورها غليوم بسوء العقبى ورافق مليكه الى تلك العاصمة خصيصاً ورغب الى انكلترا فاشتركت معه بالمسعى واشارت الى سفيرها اللورد روسل ان يراقب الحوادث باهتمام و بقظة و يوازر « غورتشاكوف » على عمله وكان في برلين يوم عصيب بين الدولتين والمانيا حتى اقنعتاها بالعدول عن عزمها والوقوف عند ذلك الحد

ولقد رأت فرنسا ان تطلع الرأي العام الاوربي على ما جرى ليكون على بينة من امره فينفي الخطر الذي يهدد راحته فكاشف المسيو بلوفيتز مراسل التيمس الباريسي وسأله ان يذيع امر المباحث الجارية في برلين في جريدته العظيمة حتى يتسنى للامبراطور الروسي الموجود في برلين مخاطبة بسمرك وغليوم بحزم وعرض عليه الوقوف على المخابرات فابى المراسل اولاً التدخل ريثما تعطيه وزارة خارجية بلاده (انكلترا) التصريح اللازم عن نيات المانيا والا كان عمله عدائياً بحقها وعد افتراء فريّاً فبسطت لديه وزارة فرنسا الامور جلياً وارته صورة عن مخابرتها انكلترا بهذا المعنى فاقتنع و بعث

الى جريدته « التيمس » برسالته المشهورة في هذا الصدد على لسان البرق مع استعفائه من مراسلتها اذا لم تنشرها، فانقادت الجريدة لرأي المراسل ونشرت الرسالة وانزلتها منزلة الحقيقة الراهنة فاضطرب العالم وتأثرت بورصاته تأثراً عظيماً وسقطت اسعار الاسهم المالية وتدخلت الحكومات وتحمس القيصر ومستشاره فاجتنب الحرب ووضع الحجر الاول للمحالفة الفرنسية الروسية

ولم يكتف « غورتشاكوف » بما كان بل زين له فوزه ان يذيعه على الملأ قاطبة فارسل الى سفرائه في عواصم اوربة يقول ان سلام العالم مكفول . فسر الروس واعداء المانيا من « غورتشاكوف » وحيوا به ممثل السياسة الوطنية المثلى

اما عقبى تلك الحوادث فكان لها تأثير رئيسي على مجرى السياسة الكونية وعلى الحرب الروسية العثمانية سنة ١٨٧٧ لان بسمرك اعتبر تدخل الروس واذاعة الامر اهانة له وتحقيراً فوجد وحقد وعاد وجده وحقده علينا معاشر العثمانيين بالخير العميم

وقفت اوربة بازاء الحرب العثمانية الروسية موقف المتربص واستفادت منها انكلترا فاختطفت قبرص وساق بسمرك روسية معصوبة العين الى مؤتمر برلين وفيه ايد حجة الانكليز واحبط مساعي الروس فلم يجنوا من حربهم الجائرة ثمراً

ومن ذلك الوقت توترت العرى بين البلاطين توتراً كاد يفضي الى امتشاق الحسام بينهما سنة ١٨٧٩ اثر حوادث سرية لم يقف الناس عليها كل الوقوف بعد

الحرب

الخميس في ٢٣ ايار سنة ١٩١٢

معترك الالسنة والصدور ومدفن العقول الذكية ومنبت العواطف الشريفة ومدرسة الآداب والفضائل وجرثومة الفساد والرذائل تلك هي الحرب

اذا اثارتها اهواء المطامع تبريداً لظمأ فائر او ارواء لغليل يجيش هبطت بالمرء الى تحت خط التوحش ٠ وترفع به الى حدّ الكمال الانساني عندما تكون جهاداً في سبيل مبدإ شريف او انتصاراً لمظلوم ضعيف او دفاعاً عن حق تحاول المطامع هضمه

ومن الناس من يعتبرها لازمة لحفظ هذا المجتمع ضرورية لبقاء الجنس البشري ولها وحدها صفة وصلاحية لتقويم ما اعتل من اخلاقه وتطهير ما فسد من دمه وان يتمت يتامى وأيمت ايامى وصرفت من البيت الاولاد ومنعت عن الصيف الحصاد ، ومنهم من يجزم ان شرّ الكوارث التي منيت بها الانسانية وانصبت على هام البشر لهي الحرب

وفريق يذهب ان الانسان يبقى بحكم طبيعته وسليقته على اضرام نارها واذكاء اوارها لما فطر عليه من حب الاثرة ٠ وفريق يعتقد ان الاشتراكية ستستأصل جذورها وتدرس آثارها يوم ترسخ في صدر الانسان مبادىء الحرية والاخاء ويمكنه العلم الصحيح من استخراج كنوز الارض بسهولة تكفيه ذل السؤال

والذي عليه العارفون الخبيرون ان العلم سيلطف من حدة الاحقاد الكامنة وان احترام الحقوق يحول دون نشوبها بكل وقت ولكنها ستظل ملاذ المرء الاخير لان بني البشر لغير السيف لا يحتكمون

واما اسماها فاذا اهابت بامة اباءة نفسها وشهامتها ان لا تقيم على ضيم ولا تستكن على ذلة فتمتشق الحسام ذوداً عن عرض عزيز مهدد وصيانة لشرف مهان او احتفاظاً بارض سقت تربتها الاجداد بماء العيون



انكلترا والمانيا

البارون مارشال في لندره — آخر الادواء الكي

(الخواطر ، الاثنين في ٢٧ ايار سنة ١٩١٢)

تباينت المصالح فتباعدت القلوب وتنافر ودها واختلفت المرافق وسار كل في طريقه لا عهود قرابة نفعت ولا وشيجها دفع مقدوراً . ولما فعلت السعاية فعلها الذميم تسارقا النظر فاذا بينهما هضاب ريبة ونفار ومنخفضات لا يجسر على الدنو منها البخار ومرتفعات يعيا الطيار المحلق قبل الوصول اليها فهالهما الامر واهاب بهما داعي حب السلام لمعالجة العلة بما وصلت اليه اليد من طرق العلاج فاذا نفذ السهم وكان اللقاء امراً محتوماً بقي الضمير مطمئناً انه قام بالمتوجب عليه

خاب الرجاء من التوفيق بين الدولتين رغم ما بذله انصاره من المساعي حتى ضاقت الاثنتان ذرعاً فانفذت انكلترا وزير حربيتها «هلدان» وهو صديق غليوم الحميم واشد الانكليز حباً لبلاطه الى برلين رسول سلام لدرس المسائل المختلف عليها بينهما فتاه الرسول دليلاً واخفق مسعاه ووسعت الحرب الطرابلسية الخرق وبيّنت موقف الفريقين فقال غليوم لنحركن اهم قوة احتياطية لدينا ولنبعثنها في سبيل الحب والسلام

ليس للمصاعب تذللها وللمشاكل والمعضلات تبددها وتحلها يدٌ تفوق يد البارون مرشال قوة وحنكة ولا عقل يتغلب عليه حكمة ودهاء فلندفعن بصدر عمر بن العاص عبدالله بن العباس فاذا لم يقوَ على حل عرى الاتفاق الثلاثي او

لم يتمكن من ازالة الريبة العالقة بالنفوس وتقريب الامتين صرنا الى السيف والسيف اصدق الحاكمين . ومارشال هذا هو داهية الالمان بعد رجلهم الحديدي (بسمرك) كان في حلبة التبريز سباقاً لكل زملائه السفراء الذين اقام واياهم على ضفاف البوسفور

انفذه مولاه الى عاصمة الملك العثماني ونفوذ الانكليز غالب وكلمتهم راجحة والناس احلوهم فيها محلاً ينحدر عنه السيل واتخذوا سفيرهم من بعد الله نصيراً فما مرّ العام حتى اتجهت الانظار الى برلين وصار سفيرها في عاصمة الملك العثماني صاحب القول الفصل

وما مرّ العامان حتى تغلب على النفوذ الانكليزي وبعدت المسافة بينهما ورسخت في قلوب الناس وطيات صدورهم محبة الالمان وعلق في الاذهان الاعتقاد ان لا صديق الا غليوم ولا حليف الا سيفه المسنون وبارودة الجاف

اما الاموال التي تسربت الى جيوب الالمان من جراء هذا المعتقد والمنافع الاقتصادية التي نالوها على يد سفيرهم فلا يقوى القلم على الاحاطة بها لانها تفوق حد الوصف والعد

واقل ما يقال فيها ان المانيا اصبحت سوقاً تأخذ منه دولتنا كل احتياجاتها من غذاء وكساء وكل ما تفتقر اليه جنديتها وبحريتها من عدة وذخيرة واهم ما يكتب عنها ان تلك الدولة ملكت بطريق سكة بغداد سهولاً خصيبة واراضي فسيحة قد توازي مساحتها مساحة البلاد الالمانية على طول الخط

ولا مندوحة لنا عن الاعتراف ان مارشال ناصرنا في حوادث البلقان والروملي ووقف بوجه الدول الغربية الجانحة الى سلخ كريت عنا وشد ازرنا في السياسة

العمومية وكان الدافع لوقوف غليوم خطيباً في دمشق الفيحاء يتباهى بصداقته وحبه لمائتي مليون من المسلمين غير ان ما نلناه لم يكن الا نزراً يسيراً بجنب ما أصابه ودولته من التوزيع الذي كانت به القسمة علينا ضيزى

والغريب الذي يحار به العقل ان هذا الرجل بقي متسلطاً على رجال العصر الجديد تسلطه على رجال العهد البائد وظل نفوذه راجحاً مع الاحرار الاتحاديين رجحانه بايام السلطان الخليع مع ان اعراض الالمان عنا بحادثة البوسنه والهرسك ولمان استنهم وحرابهم على الحدود انذاراً وتهويلاً يكفيان لاسقاط كل نفوذ لهم بيننا

ولرسوخ قدم مارشال في دار الملك اسباب يدل البحث بها على مقدرة الرجل وبعد نظره فلقد اتبع خطة معينة وكان المانياً بكل قوة العباره بعيداً عن سياسة العواطف لم يقتصر في الاستانة على العمل في المحيط العالي الذي وجد فيه ولم يحصر همه باستمالة عواطف القابضين على زمام الامور فقط بل تقرب من العامة كثيراً ودرس اخلاقها واحتياجاتها وجهاتها الضعيفة وعرف مقر وترها الحساس فضرب عليه وادنى اليه كل مفكر وعامل وخالط الملابين وعاونهم على قضاء اوطارهم واستعان بصنائعهم على نيل ما يريد وقرب اليه العلماء والفقهاء وجالس ارباب الصحف وفتح ابوابه للناقمين المعارضين وسمع انينهم وشكواهم وبذل لهم مودته وعرف من حالة العثمانيين كل ما تمكن معرفته حتى دانت له امورهم فاذا رام امراً استعان بكل هذه الظروف عليه واذا اعرض السلطان او الوزير عنه استثمر احالا انه قوة في داخليتهم

اما انكلترا فربطت حظها بحظ كامل باشا واعتمدت لتستعيد نفوذها

وتحبط مساعي خصمها القوي عليه ولكامل باشا ظروف مع الاتحاديين تحول دون اسناد الصدارة اليه قبل الاستيثاق منه

وكانت السياسة الروسية الفرنسوية لغليوم على انجاح مسعاه ظهيراً . تلك بحصر اهتمامها بالشرق الاقصى وهذه بتردد سفرائها وعدم معرفتهم من اين تؤكل الكتف

ولما تمّ الامر لغليوم على ما اشتهت نفسه وحلب ضرع العثمانيين حلباً وآلت العلائق بينه وبين الانكليز الى ما ترى من الفتور والبرودة انتدب رجله الخبير الامين وامرّ اليه ان يبذل الجهد لنقض ما ابرمه ادوار ولاعادة تلك العلائق الى ما كانت عليه قبل ذلك السياسي الفريد

وغني عن البيان ان انكلترا والمانيا متفقتين تحكمان الشرق وافريقيا ولا معارض وتسيطران علَى اوربة ولا منازع

اجل ان اتفاق اعظم جيش بريّ وصفه التاريخ من عهد التكوين الى اليوم وامنع اسطول بحري روت عنه احاديث المحدثين مضافاً لجرأة الشعبين واقدامهما على المشاريع الكبيرة واستنادهما لقوة مالية لا تبارى لحادث مهيب يقضي على راحة الامم وهنائها ان لم نقل استقلالها وحريتها ولكن هل هو منطقي مثل ذلك الاتفاق ؟

ان من استقرأ بعين المدقق البصير وكان له اطلاع على اخلاق الامم وحالتها النفسية لا يسعه الانكار ان بين الامتين هوة عميقة لا تطمر ومسافة شاسعة دون اجتيازها عقبات كأداء يتعذر امر تذليلها على ادهى البشر . ذلك لان خلوّ الجو السياسي لدولتين طامعتين يقودهما الى الاشتباك مع بعضهما في

عاجل الايام او آجلها

والانكليز قوم اخذوا من الدنيا على قدر ما تعطي فلم يبق لهم همٌّ غير الاحتفاظ بالموجود والحرص عليه فلا يعقل انهم يعرضون انفسهم لمطامع دولة شديدة المراس قوية الشكيمة ضاقت بها بلادها وقلت مواردها عليها فاذا عاونت انكلترا المانيا على سحق فرنسا وروسيا خلا لالمانيا الجو وعادت بحكم الطبيعة لمناقشة انكلترا الحساب

ولا يتصور الذهن الصافي ان تعمل انكلترا (وحكمة رجالها على ما عرفنا) عَلَى حتفها بظلفها بينا انها لو آزرت فرنسا وابقت جيشها المنيع سداً حصيناً بوجه الالمان لا تفقد شيئاً من اثرتها بل بالعكس تكون ضمنت لنفسها به البقاء وحفظت التوازن الاوربي ودفعت عن العالم خطر الحرب واحرزت ثناء الانسانية المتألمة واعجابها

يقولون ان التاريخ يعيد نفسه وكل قراء التاريخ يعلمون ان موقف انكلترا اليوم شبيه بموقفها مع نابليون لمائة سنة خلت فمن لا يذكر ان نابليون عرض عَلَى انكلترا الاتفاق معها واقتسام العالم فرفضت وبقيت تنازله وينازلها حتى اتاح لها الحظ اقتياده اسيراً الى جزيرة لا انيس فيها ولا جليس ولا سمير ولا عشير

لذلك « فمارشال» لن يفلح سعياً ودهاؤه سيبقى عقيماً لا يأتي بفائدة ولا يثمر نتيجة الا اذا كان المقصود من تحسين العلائق الوقوف بالتجهيزات الحربية عند حدٍّ معقول رحمة بالشعوب

وذلك احر ما تتمناه سكان الجزر البريطانية واصدقاؤهم الفرنسيس المتفقون معهم اتفاقاً مكيناً لا تنفصم عراه ولا تنحل روابطه الى اجل بعيد

سبحان الله

(الخواطر، الاثنين في ٢٤ حزيران سنة ١٩١٢)

امـا الاستئثار بالسلطة واستعباد الناس وامـا نقض اساسات البيت وهدمه على سكانه

اما انتهاك حرمة اللبنانيين وابتزاز اموالهم واما جرحهم باشرف عواطفهم واتهامهم بالمروق

اولئك هم رجال العهد اليوسفي وتلك هي حالة المقربين

طاب لهم المقام في ربوع لبنان وراق باعينهم هواؤه فاغلظوا اليمين على البقاء فيه كما هم اليوم او تركه قاعاً صفصفاً

لم يكتف اهل الكرامـات باغراء بعض الشيوخ الاذكيـاء فابرقوا يرفضون فتح مرافىء الجبل للتجارة وانشاء المحاكم التجارية وينكرون على اعضاء « ارزة لبنان » صفتها اللبنانية ولم يكتفوا ان صوروا لبنان من جراء تلك المطالب قلقاً مضطرباً عمت به الفوضى بل بلغت بهم اخلاقهم ان اتهموا اللبنانيين بالمروق والميل الى الخروج عن طاعة الدولة المحبوبة

اذا صح ما نمي الينا ان فريقاً من اللبنانيين بايعاز محرك من وراء الستار وقعوا عرائض يتهمون بها الموارنة تلك التهمة الشنعاء تكون الخصومة قد دخلت بيننا في طور جديد لم يعرفه اباؤنا ولم تألفه اسماعنا من قبل

ونسبة مثل تلك الفظائع الى الطائفة المارونيـة وطعن لبنان في صدره ليموت سواء

لانه متى قلت الموارنة قلت ضمناً لبنان كله فهم يؤلفون الغالبية الراجحة في البلاد وهم منتشرون في كل قصبة فسكوت الطوائف الثانية عن تلك الفظائع دليل ارتياحها اليها والسكوت في معرض الحاجة بيان ٠ وقد رأينا رأيهم سباقاً الى كل مكرمة وداعياً الى كل محمدة وحريصاً على بث روح الالفة العثمانية اللبنانية وخبرناهم فالفيناهم متساهلين ما عرف التعصب من قلوبهم مكاناً

وهم في هذا الجبل (الذي يظن الناس ان كلمتهم غالبة فيه) ابعدنا عن مواطن العناد والصلف والكبرياء

نسوقنا خدمة الحقيقة الى هذا القول لا رغبة بصداقتهم ولا رهبة منهم ونحن على ثقة تامة ان اولياء الامر يهزأون بتلك السعايات و يضربون بها عرض الحائط



الشهر المنصرم

ان ملكت القلوب فابغ رضاهـا

(الخواطر ، الجمعة في ٤ تموز سنة ١٩١٢)

بين طعن القنا وصرير الاقلام جسم بهذا الوجود يتألم · وبين روحات الزمان وغدواته وسكون الايام وحركاتها بلاء حوله يمتد وعلة تشتد ومطامع لم تعد تحمل نفسها عناء التستر · والغريب من امر هذا المريض المدنف ان طبيبه دفع عنه الاطباء وقرن حظه الى حظه وآلى علَى نفسه الا ان يعيشا سوية او يزجا كلاهما بظلمات القبر

عبثاً يقال لفتيان الاتراك امهلوه ولا تعجلوا عليه القضاء فالمرض غير ما شخصتم والدواء غير ما وصفتم فالقائل جاهل ابله والناصح عندهم مارق اثيم

والقول ما قالوا ومن ابى وضعوا السيف على عنقه والسيف حجة القاصر او سلاح الظالم المرتاب من حقه

لم ير القائمون بالامر من برهان يفحمون به خصومهم السياسيين الاّ تهمة النزوع الى الخروج وصموا بها اباء العرب المخلصين القائمين بفكرة الاصلاح المشفقين على الدولة والراغبين بانهاضها من وهدة الذل والفقر

نزل هؤلاء بارض الفرنسيس وقلوبهم تلتهب غيرة على العثمانية وحاولوا درس عللها وتباحثوا بالطرق التي تكفل البقاء لها اولا وللعنصر العربي النجيب من

بعـد واقروا ان الاصلاح المرتكز على قاعدة اللامركزيـة الواسعة الصحيحة خير ما يرجى بهذا الباب فطلبوه ، ومن قائل ان الحكومة اجابتهم اليه فهل نحن في يقظة ام الاصلاح كلمة لم يعرفها قاموسهم ؟

ومثلت فروق مأساة مفجعة في الشهر المنصرم ستزيد مركز الدولة حرجاً وموقفها اشكالاً لان مقتل الصدر يظهرها للخوارج مسرح القلاقل والفتن ويزيد القانطين من اصلاحها نفاراً

قتل شوكت باشا فحرمت الجندية العثمانية قائداً محنكاً وعسكرياً كبيراً ليته لم يعرف السياسة ولم يشتغل بها . ثأر القاتل لناظم باشا وظن انه يمهد السبيل لعودة كامل باشا الى الصدارة فبئس العمل عمله وبئست الرئاسة تنال على يد القتلة الاشرار

ولكن ما اخذ بالسيف يؤخذ ، فتلك كانت طريقتهم بالاعتلاء فلا غرو اذا كانت السبب للنزول

ولقد حققوا مع الاثمة بسرعة تدل على حزم وعلى استعداد للارهاب اما انزال العقاب فكان مدهشاً جداً

اما الصلح فقد تم والمؤتمر الالماني يتذاكر بالغرامة المالية التي يطلبها الحلفاء ولقد سبق لنا القول غير مرة انها مدفوعة تحت اسم مستعار ولكن هل الحلفاء بالامس يقتسمونها وهم حول البساط الاخضر ام يحتكمون بالاقتسام الى السيف ؟

كل يوم تبدو لنا دلائل قويـة وجديدة ترجح الامر الثـاني فالحلفاء

متنابذون والمنازع متلونة والقلوب نافرة من بعضها والحوادث تهيجها وتوغرها ولكن من درس احوال هاتيك الامم وظروفها وعلاقتها بروسية اولا وبالاتفاق الثلاثي من بعد ورجع الى نفسه ابت عليه الاعتقاد ان البلغار يخرجون من حظيرة الاتفاق السلافي الى محاربـة اخوانهم بالنسل والعنصر والمذهب . واذا اغمـد البلغار السيف لم يتجرأ على شهره سربي ام يوناني فمنشأ خلافهم عهدة امضاها الحلفاء قبيل الحرب حددت بينهم مناطق النفوذ

فالسرب واليونان يطلبون تحريرها والبلغار يتمسكون بها والعالم الغربي كله الى تأييد البلغار اميل لان قاهر العثمانيين هو البلغاري . والروس ومن والاهم يعطفون من جهة على السرب واليونان ويخافون التحاق البلغار بالنمسا وحلفائها ان وقعت الحرب ولذلك سيبذلون قصارى الجهـد للتوفيق بين الورثة وهم ناجحون

اما الحالة الكونية الكبرى فلم يطرأ عليها تعديل مهم وتبـديل خليق بالذكر . فالالمان والفرنسيس يصبون المدافع ويقذفون الى البحر المدرعات ويقيمون قلاعاً من حديد ويختطفون من احضان الامهات والخطيبات ومن بين ازاهير الحقول الشبان ويسوقونهم الى الحدود لا تلويهم دمعة الام ولا يثنيهم زفير الخطيبة ولا يردهم عن عزمهم انين الارض البائرة

يتهم الالمان الفرنسيس انهم جانحون للاخذ بالثار والفرنسيس يثبتون ان الالمان نازعون الى اجتياح بلادهم مرة اخرى والصحيح انهـا حالة طبيعية للشعبين متولدة من حالتهما الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ومتحدرة من

مركزهما الجغرافي ونازلة من عشرة قرون خلت تأصل بخلالها العداء وتمكنت البغضاء والشحناء او هي ان شئت سنة تنازع البقاء

ولقد كنا ننظر الى الانكليز باعتبار انهم نصف آلهة يترفعون عن عيوب هذه الحياة الدنيا و يتنزهون عن صغار الاعمال فاذا هم كسائر بني البشر من لحم ودم يثيرهم ما يثير اخوانهم و يعزهم منها ما يعز هؤلاء

اذا صدقت ذاكرتنا كانت المرة الاولى في التاريخ المعاصر التي تلطخ بها وزير انكليزي بتهمة اساءة استعمال المأمورية واستخدام نفوذها جراً لمغنم . وتحرير الخبر ان وزيرين كبيرين من اركان الوزارة الانكليزية الحاضرة تصرفا بنفوذ السلطة على وجه راجت به مصالحهما الشخصية فعقدا مع شركة ماركوني الاميركية اتفاقاً شجبه الرأي العام وان لم يكن بحد ذاته مريباً فاعتذر الوزيران واثبتا حسن النية فقبل النواب اعتذارهمـا واظهروا اسفهم لحصول الحادث

بصدور ذلك الاعتـذار واظهار الاسف والتفاف الناس كلهم حرّهم ومحافظهم ومريدهم ومعارضهم حول الحكومة استقبالاً للمسيو بوانكاره معنى كبير يدل على عظمة الاخلاق الانكليزية

امَّ رجل فرنسا باواخر الشهر انكلترا فتوفرت طبقاتها كلها على اكرام وفادته ولقي استقبالا حماسياً شعبياً ما عرفه رئيس الحكومة او رأس متوج منذ القدم حتى اليوم

ذلك لان التفاف الامتين محور سياستهما الخارجية ولان القادم عزيز

مهاب يرجى نفعه ويخشى جانبه

عاد فادلهم جو البلقان واشتبكت طلائع الجيوش البلغارية والسربية وبدا التشاؤم بوقوع الحرب · اما نحن فلم يزل املنا باستقرار السلم كبيراً للاسباب التي قدمناها ولاخرى غيرها سنفرز لها فصلاً · اما الحرب هذه اذا وقعت لا اذن الله فستكون مدعاة الى انفجار هائل يزعزع اركان العالم لاحتكاك المصلحتين الروسية والنمسوية بها

اللهم لطفاً بعبادك ورحمة لهذا البلد المسكين فقد نضبت موارده واقفرت منازله



لماذا تجتنب المانيا الحرب اليوم ؟

(الخواطر ، الثلاثاء في ١٦ تموز سنة ١٩١٢)

اذا اغلظ مارشال في لونـدره اليمين انه يحمل الى الانكليز غصن الزيتون فهو غير حانث

وان اقسم فيها انه آت ليزيل نفوراً وخصاماً و يعزز روابط ودّ وسلام فهو فاعل

وان قال ان قدومه اليها سيكون فاتحة عهد تفاهم جديد فهو صادق ·

لان المانيا تجتنب الحرب اليوم وتسوفها وتؤجلها حتى تبلغ من التسويف والتأجيل وطراً

تجتنب المانيا الحرب اليوم ولا ترمي بنفسها فيها حتى تبلغ ثقتها بالغلبة والفوز حدّ اليقين

وهي ستبقى على سياسة الابهام والتهويل والمؤانسة والتمليق حتى تعد العدة وتمهد الى النصر السبيل فاذا حركت الفيالق وسيرت الاساطيل فالى غلبة ونصر مبين

لا يصلت السيف الالماني من غمده مختاراً حتى يتم للقائمين بالامر امور اربعة :

اولها تجهيز فيالق اولية بعدد وعدة غالبين لسحق فرنسا قبل وصول المدد الروسي اليها واخرى للقاء الكتائب الانكليزية الواردة لنجدة الفرنسيس عن طريق بلجيكا و « كاله » واخرى لدفع الروس عن الحدود الالمانية اذا

سولت لهم نفوسهم دخولها

والثاني عمارة من در يدنوت قاهرة قادرة على صد الاساطيل الانكليزية عن الارض الالمانية بل ومحاصرتهم وتضييق الخناق عليهم فيضطرون للتسليم جوعاً

والثالث توسيع وتعميق قناة كيال الالمانية ليتسنى للاساطيل الالمانية الماخرة في البلطيك وبحر الشمال الانضمام والتعاون عند مسيس الحاجة

والرابع ايجاد مبلغ احتياطي من الذهب تقوى بـه على اجتناب مخاطر الازمة المالية الناتجة عن شهر الحرب

فكل واحد من هذه الامور الاربعة لا يتم بين يوم وغـده بل يتطلب زمناً كافياً واعمال فكر وروية

فلو وجدت الفيالق الجديدة مدربة متأهبة لافتقرت الى ضباط . وان اخذت ضباطها من الجيش العامل الحاضر كان فراغ تعذر سده بلحظة عين

ولائحة الانشاآت البحرية اعدت لسنة ١٩١٣ المقبلة وفيها من النواقص ما يعمل الالمـان على سدّ ثلمته بهمة شماء حتى اذا لفظ القضاء حكمه ودقت الساعة كانت العمارة الالمانية على علو واجباتها اما قناة كيال فقـد وضعت لتكون صلة بين البحرين الشمالي والبلطيكي لغاية حربية اكثر منها اقتصادية وعمقها الحاضر يهيب بالدوارع الكبيرة ان تخفف من سرعتها وتسير الهوينا لذلك انقطع الالمان الى تعميق تلك القناة فلا تفوت المنفعة المقصودة منها

بقي الامر الرابع امر ايجاد الذهب الاحتياطي وهو يزيد عن الثلاثـة الاولى اهمية وخطورة فلدى المانيا منه كنز «سياندو» الدفين وهو مائة وعشرون مليوناً بقية الخمسة مليارات غرامة الحرب السبعينية وهو مبلغ زهيد كما ترى

لا يشفي علة ولا يروي غليلاً

والدولة تفكر اليوم بطرق تدفع عنها بها خطر الازمة والضيق المالي يوم الحرب وشبح الجوع عن البلاد اذا انقطعت الواردات الاجنبية عنها

لذلك كان همّ الالمان تنويم الشعوب وذرّ الرماد على النار فلا تضرمها الريح واقناع الناس بصفاء نياتهم حتى اذا توفرت الشروط ساروا الى حيث ينشب النسر الالماني مخلبيه متمكناً

ما كان العقل الانكليزي عادياً لتغره تلك الظواهر ولا هو بالمفتون لتطلى عليه الحيلة وتسري هذه الاوهام بل عرفه الناس راجحاً يتلاعب بالامم واهوائها تلاعب الصبي بأكرته فاذا مد لمصافحة الالمان يمناه عملت يسراه عَلَى ابقاء المسافة بين الامتين شاسعة

واذا ذكر الالمان كلمة خصمهم الجبار نابليون قالها في « سان بريفا » « كل ساعة اهمال تفقدنا من المنعة نصيباً » يقلبها الالمان « كل ساعة تسويف تزيدنا منعة وتكسبنا قوة في سبيل اليوم العصيب »



الحمد لله

ان في البلاد جمعية : هي ارزة لبنان
وان في البلاد حزباً : هم جماعة الارزيين

(الخواطر ، الثلاثاء في ٣٠ تموز سنة ١٩١٢)

لمن وصف لبنان انه مسرح الغايات والاهواء . ولمن نفى عن جمعياته فضيلة الثبات والتجرد . ولمن صورها باعين البلاد موطن السعاية والنميمة . واتهم اللبنانيين كلهم بالخمول وضعف الارادة نقول ما رأيك في الارزة والارزيين ؟

نشأت الارزة في ظل الدستور وكان خير البلاد رائدها والحرص على نظامها شعارها ، وتنبيه خواطر المواطنين الى حالة بلادهم الضالة التي تنشدها .

فسنت لها قانوناً ووضعت نظاماً وعرضت على المواطنين خطتها فاقبل من اقبل واعرض من اعرض . وما هو الا اجتماع اول وثانٍ حتى تولدت في البلاد حركة فكرية اقامت الحاكم واقعدته وارتعدت منها فرائص المستشار ، فدست عليها الدسائس والقيت في الاذان عنها الامور المكروهة والوساوس وصادروها كانها عصابة اشقياء او معقل قوم مارقين

اما هي فاعتمدت عَلَى اللهِ وعلى صدق مبادئها وقاومت الزعازع والعواصف وسارت بين اشواك الريبة وورود الامل الى الغاية التي انتدبت نفسها اليها وهي الوقوف بوجه الحاكم السابق حتى لا يزداد عتواً وفساداً والاهتمام بتعديل

نظام الجبل فلا نؤول مواده على وجهين من بعد

رأت الارزة في النظام اللبناني نقصاً وان في مواده ابهاماً وغموضاً فكانت اول الجمعيات اللبنانيـة ولا خجل التي اشارت الى مواطن الخلل ودعت الى اصلاحها وكانت هي اول من قال :

١ — ان سلطة المتصرف هائلة يجب تحديدها

٢ — ان جعل القضاة الذين يحكمون في حقوق العباد تحت رحمة تلك السلطة ومستشاريها لظلم ينبغي دفعه

٣ — وان صلاحية المجلس الكبير مبهمة يجب تعيينها وتوسيعها

٤ — وان طريقة انتخابه مخجلة فيجب استبدالها باخرى شعبية تنطبق على روح الزمان

وان مال الجبل لا يفي باحتياجاته فتتحتم زيادته

٦ — وان سكن المتصرف خارج لبنان غير طبيعي ولا مشروع فيجب اجباره على السكن حيث يحكم

٧ — وان مصلحة البلاد تدعو الى تمكين محاكمها من فصل الدعاوى التجارية والحكم بها

٨ — وان امواج البحر تتكسر على مسافـة مئات كيلو مترات من شطوطـه فـلا عـدل ولا حنان يسمحان ان تسد ثغوره وتبـقى مرافئه مقفلة

بحثت الارزة كل هذه الامور وقررت من زمن بعيد المطالبة باصلاحها بينا كان الناس نياماً والسوى يتسلون

ثم كان ان سرت الروح في البلاد فقام المجلس الاداري باحثاً بتلك الامور او ببعضها غير متعرض للطريقة الانتخابية الحالية لما يعلمه الناس من عطفه وحرصه عليها. وحذت حذو الهيئتين الجمعيات اللبنانية في مصر وباريس واميركا وتكونت من هذه المباحث ما يسمونه بالمسئلة اللبنانية

وما اكتفت الارزة بما عملت بل اوفدت من اعضائها الى عاصمة الملك وفداً كان همه الوحيد وشغله الشاغل تحريك عواطف رجال الدولة والفات نظرهم الى حال لبنان

ولم تغفل الارزة عن امور لبنان الداخلية لحظة عين بل لها في هذا السبيل جهاد مجيد لا يصح تناسيه

يتباهى المجلس الكبير انه الغى اليوم الضريبة على الدخان والارزة ما فتئت منذ تقرير تلك الضريبة الجائرة — التي خنقت الزراعة الوطنية — تصيح وتستغيث وتستفز الناس للاحتجاج عليها

غلبت فينا عادة انكار مزايانا ولو كانت متلألئة منيرة وملكنا حب اغتياب بعضنا بعضاً والاعجاب بكل عمل يأتينا من وراء البحار. والواجب الوطني يدعونا الى عكس ذلك تنشيطاً وتشجيعاً

فهذه هي ارزة لبنان وهؤلاء هم الارزيون

اما عمدتها العاملة فمن خيرة اللبنانيين. ان لها رئيساً نحريراً اذا كتب ابلغ وان تكلم افصح واقنع وان بحث في الصعاب ذللها برأي سديد، ورئيس عامل عرفه قومه نزيهاً خبيراً ووطنياً صادقاً ما راعى في الوظائف التي تقلب فيها غير جانب الحق ولا التوت مقاصده

قلنا كلمتنا فيها وفيهم ليقرأها المواطنون هنا وفي دار الهجرة و يعلموا ان في البلاد جمعية فيقبلون عليها و يشدون ازرها و يستزيدونها سعياً وثباتاً

ونحن نعيذها من خطر الاغترار بالفوز والنجاح فتكسل في ايام الرخاء وتتقاعد و يسري عليها ما سرى على الجمعيات التي تقدمتها في لبنان من سنة الموت بعد النجاح

ونتمنى ان تبقى على ارشاد الناس وهدايتهم سواء بقيت في حزب المعارضة ام صار اليها الامر



الصحافي عبد البلديات في لبنان

(الخواطر ء الثلاثاء في ٦ آب سنة ١٩١٣)

الصحافة دليل الرأي العام الى الحقيقة وقائده الى مواطن الهدى . والصحافي عبد المصلحة العمومية واسيرها الذي لا يملك حق الخيار بينها وبين امياله ورغائبه فسواء عارضت خدمته اهواءه ام اتفقت معها فهو مسير يمشي في طريقه الى ان يقضي الله به امره

نقول ذلك تذكيراً اننا لا نتوخى بطرق هذا الموضوع (موضوع البلديات) الا تحري الحقائق واثباتها لا ما قد يتصوره صغار العقول وحسبنا سلوى وعزاء انا قضينا واجباً ووفينا الصحافة حقاً نجحنا ام كان نصيبنا الفشل

بل لن نفشل باذن الله والبلاد بلغت من الرقي والانتباه مبلغاً يتعذر معه التعرج على الجنبين ومنادي الحق نادى لقد بلغتم ايها الناس رشدكم فلا وصي الا العقل ولا ولي الا القانون

البلديات في ولايات الدولة وسائر بلاد الله الواسعة هيئات وطنية ينتخبها الشعب انتخاباً عمومياً يشترك فيه الناس جميعهم (على اختلاف اديانهم ومذاهبهم) بانتخاب بعضهم بعضاً ليفهم الكل انهم ابناء بلد واحد فيسري بينهم روح التكافل والتضامن و يبدو كون ان فردهم مربوط بالكل والكل مسؤولون عن الفرد . تطلق يد هذه البلديات للنظر في الشؤون البلدية من انشاء شوارع

وتوسيع طرق وتحسين مرافق وتقرير كل ما يكفل للعامة راحتها وصوالحها الاقتصادية والصحية و يؤذن لها بفرض الرسوم البلدية وجبايتها وانفاقها ضمن شروط حددها النظام تحديداً

ولم يكن لمجالس الادارة حق الوصاية عليها بلد من البلدان الا حق رقابة ادبية من مثل التدقيق في الميزانية والاعتراض على مغامز تبدو فيها او النظر بقراراتها بدرجة استئنائية وتعديلها عند الطلب وما اشبه . وتستقل في ما عدا ذلك البلديات بادارة شؤونها لا رادع لها ولا وازع الا القانون

اما لبنان ذاك البلد الممتاز الذي يصورونه حراً من قبل عهد الحرية فليس لبلدياته من الحقوق البلدية غير الاسم . وان هي الا مفوضات قيدت بقيود الذل والهوان وربطت برباط الاستعباد وجدت لتكون سبيلاً لتأييد نفوذ واضعيها وطريقاً لتجديد انتخابهم ان لم نقل معيناً لارواء غليل مطامعهم

لما دعت الحاجة لتشكيل البلديات في لبنان اوجدها المجلس الكبير في عهد رستم باشا على ما نظن وسماها مفوضات عهد اليها النظر ببعض امور واحوال على خطة معينة من دون خروج عنها وضيقوا صلاحيتها وسلطتها حتى تبقى معصوبة العينين مكتوفة الايدي ولا تقوى على عمل ما الا بعد استئذان الوصي المجلس الكبير

اما طريقة تشكيلها فتدل علَى دهاء عجيب وعلم صحيح باحوال الشعب اللبناني ومعرفة تامة ببواطن العلل الاخلاقية في البلاد ولا عجب فكل عضو في المجلس الكبير اصبح بحكم المزاولة طبيباً وشارعاً ومخترعاً

وقالوا لتكن المفوضات البلدية اذا تأتى لنا من ورائها الخير وازدادت بها مراكزنا مناعة فعرضوا عَلَى المتصرف اقتسام السلطة بتشكيلها عَلَى هذا الوجه : يقرر المجلس تشكيل بلدية عاليه مثلاً فيعلم المتصرف قائمقامه و يأمر بانتقاء عدد من الذين له ثقة بهم فيفعل القائمقام ويحيل الحاكم لائحة وكيله الى المجلس فيختار هذا او عضو القضاء — على قاعدة ان كل عضو ملك مطلق في قضائه — يختار من يحب ويحذف من يحذف و يضيف من عنده اليها من يضيف بل كثيراً ما وقع ان المجلس اعرض عن لائحة القائمقام ورمى بها عرض الحائط وشكل البلدية كما املت عليه عواطفه ومصالحه مستأثراً مستقلاً

وفي ذلك من طرق تصغير النفس واذلالها ما نتحاشى ذكره مخافة جرح عواطف او مس شخصيات بل حسبنا بتقبيحه الاشارة كما مر الى ذيول التعاسة عَلَى البلاد من وجود الاعضاء البلديين عبيداً اذلاّء فيما مضى لا ارادة لهم ولا رأي ولا مكانة ولا حيثية يتسابقون لنيل رضا العضو الاداري و يتسرعون لتقرير كل مشتهياته ومتمنياته

ودامت الحال على هذه الصورة حتى ولي متصرفية لبنان المغفور له مظفر باشا فأبت عليه نفسه ومشرب عرفه الناس بهما الا ان يكشف عن الجبل هذا الظلم فسعى « وكانت لنا بهذا المسعى يد » وقرر ان ينتخب الشعب بلدياته والبلديات رئيسها . اما المجلس فارغى وازبد وحملق عينيه وتهدد لما رأى انهم يحاولون سلبه احب الاشياء اليه ومهاجمته في المعقل الذي تتلألأ فيه عظمته ولكن سرعان ما خابت الامال فما كادت الانتخابات تتقرر وما كاد بند اولي من بنود الوصاية يلغى حتى حمل المجلس حملة عنترية عَلَى المتصرف

والغى مقرراته كلها وابطل الانتخاب الذي جرى مؤخراً وعاد للاستقلال بتشكيل البلديات لا قائمقام بها يستشار ولا شعب تراعى ارادته الى ان اعلن الدستور وحلت عقلة اللسان والقلم فخاف المجلس سوء المغبة وسلم الشعب حق انتخاب البلديات (بعد ان استبقاها اسيرة بين يديه بتصرفاتها واعمالها) ونعطف على مدينة واحدة من دون اقضية الجبل السبع بتمكين كل طائفة او حي فيها بانتخاب اعضائها مستقلة لتبقى « معالم الحدود بين الاحياء » والطوائف قائمة و تدوم ببقائها سيطرة الزعماء الذين يرجى نفعهم في الاستقبال

اما الان وقد مزقت العصابة التي كانت تحجب النور عن العين فقد بتنا نتساءل ما معنى تلك الوصاية وما سرّ وجودها وهل يخلق بنا وبمجلسنا — والناس تطلب لنا صلاحية واسعة وتود تقليدنا عظائم الامور — الاحتفاظ بها بعد ؟

اما الاحتفاظ بها فأمر يأباه العدل وتنبذه الحكمة اليوم

ليس من يجهل وزر تلك الوصاية التي الحقت بالبلاد ضرراً بليغاً وكانت من هم الاسباب التي دعت لتضعضع احوال البلديات وضياع اموالها وعرقلة امساعيها وستبقى مثبطة عزائمها مصغرة نفوسها ما بقيت

نعم ان بنداً من بنود الوصاية (التعيين) الغي بالانتخاب واستعاد الشعب حقه به ولكن لم يزل لها لسوء الحظ من البنود ما يكفي لتقييد البلديات وابقائها رهناً بيد المجلس الاداري الكبير

فالمجلس البلدي الذي تطول وتقصر ايامه بارادة وصيه

والذي يرى ان قراراته كلها تحت رحمة ذلك الوصي فلا قرار ينفذ ولا شارع يفتح ولا طريق يمكن توسيعها . ولا معاش يصرف ولا راتب يعين ولا صندوق يفتح ولا صندوق يغلق ولا مشروع يمكن البحث به الا بعد سابق اذن وتفويض من الوصي و بعد استمداد بركته . كيف ترجو ان يكون ذلك المجلس مستقل الرأي ، حر الضمير ، قوي الارادة ، شديد العزائم ؟

وهب كان الوصي مثال العصمة والكمال ما معنى هذه القيود المخجلة وما سر بقائها بهذه الايام في لبنان من دون بلاد الله الواسعة ؟

ان مثل تلك القيود التي لا ترضى بها زنوج اميركا وافريقيا لحرية ان تحطم وان لا يتحرك قلم للدفاع عنها و بين حملة الاقلام عدد عديد يرى الموت في سبيل خدمة اعضاء الادارة شهياً . فهل ينتظر المجلس من القاصر وقد بلغ رشده ان يرفعها جبراً ام يقيمها الوصي مختاراً و يعيد كل شيء الى نظامه من غير اضطراب فيخلد له ذكراً

هي الهيئة الرسمية الوحيدة المفيدة واللازمة في هذا الجبل و كل ما ترى وتقع عليه عينك من هيئات تبتز الاموال لتشويش الاحوال يمكن الاستغناء عنها او الاكتفاء بالقليل منها الا البلديات والبلديات ربطوها باغلال من ذل واصفاد من حديد وقالوا لها عليك بتوقف نجاح لبنان

القاه في اليم مكتوفاً وقال له ... اياك اياك ان تبتل بالماء

———

الشهر المنصرم

(الخواطر ، السبت في ١٠ آب سنة ١٩١٢)

لم يكن شهر تموز بالعثمانيين رفيقاً بل توالت عليهم نكباته تباعاً بين ثورة في الالبان استفحل امرها وحركة في الجيش تعاظم شرها وخروج من صفوف الاتحاديين اهاب بوزاراتهم الى الانسحاب ، وذهول في عاصمة الملك يتعذر معه على الوزارة الكبيرة والمجلس حي البقاء وكوارث غيرها لو نزلت بالجبل الراسي لطحنته طحن الثريد

ولم يكن الدهر على عدونا اخف وطأة واكثر عطفاً بل ابتلاه بمثل ما ابتلانا به ورماه بانتقاض العدد العديد من ابنائه على حكومتهم — هم الاشتراكيون — يطالبونها بدماء الالوف من اخوانهم حصدتهم في دار الحرب مناجل الشجعان حصداً والمئات من الجرحى لقوا حتوفهم حراً وبرداً والملايين التي التهمتها الحرب فالتهبت بخروجها الجيوب وعض منها الجوع بنابه الجبال والسهول

والناس من وراء الامتين على قلق واضطراب وحذر وارتياب ان هم تدخلوا في الحرب ام بقوا على العزلة والحياد لم يأمنوا سوء العقبى . ولذلك رأيت الوزارة حائرة لا تعي جواباً والملوك يتبادلون الزيارات ويتكاشفون الصدور والاسرار ويتساءلون عما يجب عمله اذا قضت الظروف بتوسيع نطاق الحرب وشاءت الاقدار . واهم اجتماع حصل بذلك الشهر الشديد لهو اجتماع الامبراطورين في مياه البلطيك ووزراؤهما من حولهما فهل يشبه هذا

الاجتماع اجتماع ادوار السابع والقيصر نقولا في « ريفل » قبيل اعلان الدستور ، وهل الحديث الذي دار بين العاهلين وقتئذ اعيد بين الامبراطورين بهذا الوقت ؟ ذلك ما نخشاه ونرجحه ونضطر للاشارة اليه حرصاً على سلامة هذا الوطن المحبوب

لا تقاوم الكوارث باخفائها ولا تتقى الاخطار باغماض العين عنها بل العاقل من نظر اليها بملء عينيه وعمل على مقاومتها وجفنه ساهر

كان استياء اوروبة الغربية وحليفتها روسيا شديداً من سير السياسة العثمانية في اواخر العهد الحميدي وضعفت الامال من تحسين الاحوال في الولايات المقدونية فاجتمع الملك والقيصر وتعاهدا على ما لا يرتاح اليه العثمانيون فاسرع الاحرار الحقيقيون لاعلان الدستور ونادوا بالمساواة بين العناصر وقطعوا على اوربة حجة التدخل فارغمت الدول على السكوت ورجت ان يفي الاتحاديون بوعودهم ويستميلوا الى حكمهم البلاد وعناصرها فتعم المساواة الفعلية ويسود الاخاء الحقيقي . ولكن ابى الزمان الا معاندة العثمانيين اما عن قضاء وقدر او عن خرق في سياسة القائمين بالامر فالريبة التي رجونا زوالها تمكنت والعداء الذي املتنا وعودهم محوه استحكم بل اصطبغ بصبغة قومية ما عرفناها بزمن الخليع

اجتمع الامبراطوران ولم نكن نحن العثمانيون آخر من أتي علىَ ذكرهم في مياه البلطيك . وراب فرنسا هذا الاجتماع فبعثت كبير وزرائها بوانكاره لعاصمة الحليفة منقباً مستطلعاً وسيعود حاملاً الى قومه بشرى ثبات الحليفة علىَ عهود الولاء وفي قلبه غصة من ذلك الاجتماع كما

ستريك الايام

هذه هي مجمل حوادث الشهر المنصرم الكبرى ، اما اسبابها في بلادنا فراجعة كلها للخطة التي اختطتها الوزارات التي توالت بعد اعلان الدستور . وسواء كان رائدها بها حسن النية ام حب الاستئثار فقد اخطأت لان تلك الخطة عادت على البلاد بالويل وجرت وراءها ذيول الشقاء

لا تتغذى الامم بالوعود اليوم ولا تغرها الظواهر ولا تساس بالضغط بل الاعمال الحسنة والمساواة العقلية تكفل وحدها تأليف القلوب على حب الدولة . فكيف يعقل ان يتكون مجلس من حزب واحد وبالامس صارت اقليته المهمة اكثرية ورفضت التعديل ؟ وكيف يمكن ان تجتمع الكلمة وراء الحكومة والناس يتهمونها بسلب اقدس حقوقهم — حرية الانتخاب؟ وهل كان من الحكمة ان يجتمع المجلس ولا حزب معارض فيه ؟

اتهمونا بالمروق يوم قلنا باحدى افتتاحياتنا ابان الانتخاب الاخير: حرام والله ان لا يخرج من الشام الائتلافية ائتلافي وعار كبير . ورأوا علينا تصريحنا باجتماع الكلمة الدمشقية والبقاعية على ابن الشمعة جناية . وصادرونا يوم قلنا بصدر عدد : لو كنت اتحادياً مسموع الكلمة لفتحت باب المجلس على مصراعيه لخصومي الائتلافيين لان وجودهم فيه اقوى ضمانة على طول عمره وانتظام اموره . فعلمك بوجود رقيب لك يحملك على التأني والتبصر بعواقب الامور ويكفيك شر السقوط

قل للمتشوق الذي كان يهلل لتلك الاعمال بالامس والذي سيكون من اشد الناقمين عليها جرياً على قاعدة — ذري حبوبك على مهب كل ريح —

من كان ابعد نظراً واصدق وطنية ؟

تتحمل الامة اليوم مسؤولية تلك الانتخابات وما ولدته من نفار القلوب ورسوخ الحقد فيها وظهور تلك الحركة المخيفة في الجيش . ومن اجل تلك الانتخابات تفاقم الآن حل المجلس واخطارها وتعرض البلاد لثورة اهلية وتفتح الباب لتدخل الاجنبي فحركة الجيش تقلق البال لان التاريخ يدل ان كل الثورات العثمانية صدرت اولاً عن الجيش وتشل الخواطر لان الجيش هو القوة الوحيدة التي حفظت لنا احترام اوربة فاذا فقد الجيش نظامه فقدت الامة مصدر ذلك الاحترام

والحل يوهن مركز البلاد ويحل اعصابها ولقد لفظ القضاء امره بـه ووجدوا له مخرجاً او حيلة شرعية من ان المجلس انتخب ليتمم مـدة المجلس الذي سبقه . وعلم القراء من البرقيات ان المجلس ناقم على الوزارة الجديـدة لاجل الحل وانه اسقطها حين علم به وبعث رئيسه لجـلالة السلطان رسولاً فرفض جلالته قبوله . والاتحاديون لم يزالوا قوة مؤثرة بل هم القوة الوحيدة المنظمة التي لها نظام ولها شعب وفروع فاذا وقفوا بوجه الحكومة — ويرجح انهم واقفون — تشوشت الامور تشويشاً لا يقوى احد معه على تمييز الخط الابيض من الخط الاسود

اما ثورة الالبان فلها ايضاً اسباب غير التي ذكرنا بل هي لمن انعم النظر ناتجة عن مصدر واحد . فالالبان قوم ما تعودوا ان يساووا الناس بالاعشار والمرتبات الاميرية والخدمة العسكرية . ولقد كانت لهم في زمن الخليع ميزة وارجحية فلم يكن من الحكمة ارغامهم للدخول بما دخلت بـه الناس

دفعة واحدة ولكل امرئ من دهره ما تعود !

فعسى ان يوفق الله الوزارة الجديدة الكبيرة وهي اقوى سهم في جعبة العثمانيين الى الاصلاح على قاعدة الحرية والمساواة وخليق بالعثمانيين الصادقين ان يتناسوا — والدولة تجتاز ازمة ما عرف التاريخ اشد منها — الاحقاد وكل خلاف شخصي وان يسهلوا للحكومة مهمتها الشاقة لتقوى عَلَى ادارة الدفة في هذا البحر العجاج

واذا اخفق مختار باشا بطل «بلافنا» و«لقرص» وكامل باشا داهية السياسة العثمانية وناظم باشا وزير الحرب المحبوب من الجيش وفريد باشا الالباني تعذر الرتق على الراقع



الوطن والعرض

(الخواطر ، الخميس في ٢٢ آب سنة ١٩١٢)

كل انسان يحب وطنه والناس جميعهم بهذا المبدإ سواء ، عالمهم والجاهل والكافر والمتدين والحرّ والعبد ، كل منهم يهوى البلد الذي رأت عينه فيه النور والتراب الذي داسته اقدامه والصخور التي ظللته . والاشتراكي نفسه الذي يطلب شيوع المال ولا يخجل من ذكر شيوع العرض . الاشتراكي الذي ترمي مساعيه لمحو الاوطان وازالة معالم حدودها يحب وطنه ويخفق قلبه له خفقاناً وان رأى خطراً محدقاً به دفعه بصدره وافتدى ذلك الخطر بالمهج

وبين ابناء البلد الواحد صلات دقيقة لا يقوى على وصفها قلم ، وروابط معنوية لا يحيط بها لسان ، تفعل فعل السحر في القلوب والاذهان فتفتح باوقات الشدة القلوب المغلقة وتسكن الخواطر القلقة وتزيل الريبة العالقة وتقرب الناس من بعضهم البعض وتجعلهم بازاء الخطر كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً

ذلك لان لهذا الفضاء الذي تراه العيون الواحدة والاديم الذي يكتنفنا والهواء الذي نستنشق والصحب الذين بهم نستوثق تأثيراً عجيباً يبقى ذكره في القلوب مهما بعدت مشاهده عن العين وتاهت معالمه في ظلمات النسيان

ولكن كل منا يحب وطنه على هواه ويتعشقه على ذوقه ويرى رقيه وعمرانه على مبلغ علمه وفهمه

ونحن مثل سائر الناس نحب وطننا على عيبنا وعلى عيبه ونتمنى عمرانه

ونعمل على اسعاده بكل ما اوتيناه من قوة بل قد يكون ان نحبه اكثر من الغير لانه بلد الاباء والاجداد الذين شارفوا على تأسيسه وكان لهم بقائه حياً يهزأ بعاديات الزمان اليد الطولى .

واذا استقر بنا آراء الناس فيه او تعرضنا لذكر حسناته وسيئاته فعن لوعة ورغبة ان نراه عزيزاً ابياً محترماً عرضه بصان وشرفه لا يهان كما عرفه الاباء وتركه لنا الاجداد

ولا بد لنا من تذكير ابنائه والقراء ان العاقل من نظر الى المصائب بملء عينيه وعالجها لا من اغمض العين وتجاهلها وان الاعتراف بالخطأ والعمل على اصلاحه واستدراكه شجاعة وان انكاره وتناسيه جبن مضر وليس ما يحملنا اذا كان بنا عيب ان نخفيه ونخاف انتقاد الناس وتعييرهم به فابناء آدم وحواء في كل جهات الارض تحت الغربال لهم معائب ورذائل ومحاسن وفضائل وخيرهم من اعلن امر الفضائل والرذائل ليكون بتلك قدوة وبهذه عبرة وذكرى

ومن احب معرفة نفسه وقصد تقويم اعوجاجه اصغى الى ما يقوله الناس عنه واتعظ به فحكم الغير علينا صحيح وحكمنا على انفسنا لا يؤبه له

ولقد قصدنا الوقوف على آراء الغير في هذا الوادي وكاشفنا بهذا الموضوع طائفة من الادباء والعقلاء الذين تنزل اقوالهم منزلة الاخلاص والحب الصحيح فاجمعت كلمتهم عَلَى امتداح نشاط الزحليين وجرأتهم واتفقوا على الاعجاب بذكائهم الفطري ونباهة ناشئتهم الجديدة ولكنهم ما كتموا عنا استنكارهم

لسكوتنا عن امور تجرح الاداب الصحيحة فتتناقض مع التمدن الحقيقي وقالوا انكم زالقون من دون ان تشعروا الى اسوأ مصير . وتمنوا لو بقي في هذا الوادي دينه وادبه القديمان فلا تتلاعب به اهواء التمدن الفاسد

نعم ان القول ما قالوا ويمكننا دفعه بفضح معائب الناس واظهار ما يجري في ربوعهم ونواديهم فليس لنا ان نأخذ امثولة ادب من الغير لان لنا تقاليد وعادات ومميزات وظروفاً تهيب بنا الى الحرص على آدابنا وعليها . بل لو ضربنا بلاد الله طولا بعرض ما رأينا اندية عمومية ببلدة صغيرة تستوي فيها الحرائر مع خالعات العذار جنباً الى جنب على مقاعد واحدة ولا نظرنا عاشقاً ومعشوقته وخليلاً وخليلته يجالسون وهم معروفون كذلك ربات الخدور والطهر ولا سمعنا احداً يرفع في المنتديات العمومية صوته او يتعرض لامرأة بما يخدش آذانها بل للتهتك محلات وللعب بيوت وللغرباء انزال لا تتلاصق تلك بهذه ولا تتلامس فما معنى التسامح منا في هذا البلد الطيب وما سر هذا التساهل ؟؟

لقد قيل : لا تطلقوا العنان للشهوات الخبيثة بل اكبحوا جماحها بلجام التعقل وقيل : اذا ارتكبتم المعاصي فاستتروا ولم يقل ضعوا معشوقتكم على جنبكم واحملوها في الازقة والشوارع وانزلوا كل مريبة في صدور محلاتكم ورتلوا لها ترنيماً وتسبيحاً على مرأى من ربات الطهر الفتيات العازبات والزوجات الكاملات والامهات الفاضلات وفي ذلك من طرق الغواية والتضليل ما لا يخفى على احد

يقولون لك لقد اصبح الناس احراراً يتصرفون بارادتهم كيف شاءت

اغراضهم والهوى وقد جهلوا ان كل تصرف يلحق بالغير اذى ينافي احكام الحرية الحقيقية والتمدن الصحيح واي ضرر اشد وخطر اعظم من استهواء الزوجة الامينة والام الرصينة والفتاة النقية بتكريم اللاتي خلعن العذار وهتكن الحجاب ومغازلتهن علناً والطبيعة ضعيفة والنفس امارة بالسوء ؟

ويقولون ان المال هو قوام الحياة العصرية واس السعادة ومن كان فقيراً عاش شقياً تاعساً . وهذه احسن واسطة لكسبه فاذا صح قولهم في الامرين الاولين وكان المال اس السعادة وكان كل فقير شقياً — وهذا يحتمل الجدل ويقبل الرد — فقد اخطأوا قولا واحداً بالامر الثالث لان تلك الواسطة ليست هي المثلى ولا الفضلى لكسب المال بل هنالك طرق افصح ارقاماً وانصح ايراداً من تلك

ولو فرض الامر وكانت تلك الواسطة الشنيعة هي الوحيدة لكسب المال فلا كان المال ولا كانت السعادة التي يتصورون انها تتأتى عنه ما دام كسبه لا يكون الا بجرح الناس بأشرف عواطفهم وتدنيس اقدس رغائبهم ونزع تلك الاحلام اللذيذة التي تلون العيش جميلا باعين المرء وشيوع تلك العادات القبيحة التي تفقد الانسان — خليقة الله — جماله الادبي وتنزله منزلة الحيوان ولذلك رأينا قبل ان يبلغ السيل الربى وقبل ان يتعذر الرتق على الراقع ان ننبه الخواطر ونلفت الانظار لهذا الامر الجليل فيبقى وجه هذا الوادي صبوحاً غير مشوه بدمل وبثور ويبقى جبينه مكشوفاً ورأسه عالياً

« اذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه   فكل رداء يرتديه جميل »

الناصري

(الخواطر ، في ٢٥ آب سنة ١٩١٢)

ولد الرفق يوم مولد عيسى والمروآت والهدى والوفاء

ان الذي قال احبب قريبك كنفسك ، والذي قال اذا احببت من يحبك فاي فضل لك

والذي قال كما تريد ان تفعل الناس بك افعل انت بهم

والذي قال من ضربك على خدك الايمن فحول له الايسر

والذي قال من كان فيكم كبيراً ليكن لكم خادماً

والذي سمى الفقراء الصعاليك اخوانه وقال مهما فعلتم بهم فبي تفعلون

والذي غسل ارجل التلاميذ وقبلها ليعلم الملوك ورؤساء الحكومات والاقوياء والاغنياء الدعة والتواضع ومحاسن الاخلاق والعطف على الضعيف ، لا يمكن ان يكون انساناً

مرت على الخلائق الاجيال تباعاً وقام بينهم المتشرعون فسنوا الشرائع التي كانت متفاوتة بحسب ظروف الزمان والمكان ومنها ما كان بديعاً وقارب حد الكمال ولكن لم يقم منهم من بلغ هذا الحد

وكان بتعاقب السنين والاحقاب المفكرون والفلاسفة الذين خففوا وطأة المظالم ولطفوا بتعاليمهم احقاد القلوب ولكن ما عرف التاريخ بينهم للناصري نظيراً

ونبغ العلماء الذين زموا الحياة بابرة وقادوا امواج البحار بشعرة ولكن ما ولدت ضمائرهم النقية ولا نفثت ادمغتهم الملتهبة قولا غيّر اخلاق الناس وعلمهم الرفق والتودّة وحسن احوال البشرية وجفف دموعها مثل ذاك

والغزاة والفاتحون اخضعوا الامم ودانت لهيبتهم الممالك ولكن لم يبق احدهم اثراً خالداً مثله

واذا قلبت التاريخ بطناً لظهر وظهراً لبطن ما هداك الى رجل كان منزهاً عن كل قصد مثله ما سرت اوهام الدنيا اليه ولا غرته حطامها

لذلك رأيت الناس وثنيهم وكافرهم ومؤمنهم يطأطأ الرأس اجلالاً عند ذكره

لذلك قال عنه رنان الفيلسوف اللاديني: اذا لم يكن آلهاً فعلى الانسانية ان تؤلهه

لذلك قال عنه نابليون في منفاه: «اني انسان ولقد بلوت البشر وعرفتهم فلم ار فيهم الكمال اما الناصري فكامل»



الهواء الاصفر

منشأه – طريق وصوله الينا

(الخواطر ، الثلاثاء في ٢٤ ايلول سنة ١٩١٢)

هو بيننا كاللئيم اذا اهملته تمرد واذا كافحته ارتدّ وان واجهته استقر وان تدر له ظهرك طغى وتجبر

اذا عدت بالذكرى الى ايام الصبا تراآى لي وانا ابن تسع من السنين والدي رحمة الله عليه مضطرباً ذات ليلة يروح ويجيء في عرصة الدار عبوساً مقطب الحاجبين واشد ما كان هلعنا حين يتقطب منه الحاجبان فانقطعت ومن كان في البيت الى الام نستطلعها السبب فقالت : ان الهواء الاصفر يفتك في الشام . وعمك موجود فيها وبال ابيك قلق عليه . ثم بدت لي في اليوم التالي حركة في الطرق غير عادية فسألت وعرفت انهم يعدون العدة لمحجر صحي يقام في البساتين على الشام وواردتها

والان نيفت على الاربعين ولم يخل عام من اعوامي بل يوم من ايامي من ذكر الوباء فيوماً نسمع انه يهددنا من جهة البحر وآخر ان طلائعه ظهرت في البر المقفر عند اول المعمور من البلاد وليلة تهتز الاسلاك البرقية منذرة بوروده عن طريق حلب وصباحاً نفيق على ذكر انتشاره وفتكه في ربوع الفيحاء ومن يوم الى عشيته تقام المحاجر في الشمال والجنوب فاصلة الاقضية عن بعضها وقاسمة اياها مناطق مناطق وبين المناطق والمناطق زراعة تبور وتجارة

تكسد ومساع تعرقل وايد تغل وعيون تدمع وقلوب تتصدع وبلاد تؤثر الموت على حال لا هي الفناء ولا هي البقاء

ولم يكف البلاد ما تعاني من اضطراب حبل الامن واختلال الاحكام باختلال الحكام ولا ما تقاسي من آلام الفقر وتباريح الشقاء حتى منيت ومنينا بهذا الوباء وما يجره وراءه من ذيول الخراب في المحاجر والنطاقات فيا لله هل من مفرج لهذه الازمة وهل من سبيل لاستدراكها ؟

لقد ثبت ان نهر الهنود المقدس «الكانج» هو مقر الداء لكثرة ما يطرحون فيه من الحيوانات التي تضحى تمجيداً للآلهة · وتقرر ان الداء بينهم عادي محلي لا اهمية له مثل الحميات الملارية بيننا ولم يبق من ريب ان الهنود يأتون به على الغالب الى الحجاز فيتسلل بين امتعة الحجاج الى بلادنا ويقوم بمهمته الهادمة

ولما كان الحج يسير الى زيارة النبي (صلعم) راكباً ظهور العيس والصافنات كان الخطر خفيفاً · اما الان وقد زالت الابعاد ودانت البلاد القاصية فالخوف ان يقيم بيننا الوباء دائماً كما هو في مهد نشأته شديد ان لم تتخذ حكومتنا التحوطات الحازمة الجديدة

ان طريقة الحج شريفة ومفيدة ولها على صلاح البشرية تأثير عظيم ومعاذ الله ان نفتكر فكراً يشتم منه رائحة احتجاج عليها او ان نقول كلمة تمس شعائر اخواننا المسلمين الدينية بل بالعكس نحن اول من انحنى امام المعتقدات الدينية التي يقتنع اصحابها بها ودعا الناس الى احترامها ولكننا نرى

رأياً ليس هو لنا ونظنه سديداً

ما دام ان الوباء لا يرى له طريقاً للوصول من الهند الينا الا الحجاز . فأي محذور ادبي او مادي يقوم اذا وضعت الحكومة محجرين دائمين واحد بري في عمان او معان وآخر بحري في احدى جزر البحر المتوسط يبقى فيهما الحجاج عشرة او خمسة ايام تحت المراقبة الفعلية وتطهر امتعتهم بحسب الطرائق الفنية الحديثة ؟

هم كانوا يمضون الليالي الطوال في البراري المقفرة و ينفقون لوجه الله الكريم ضعف ما ينفقونه اليوم فما ضرهم لو باتوا (وقد صارت الحجاز على قيد فتر) اياماً قلائل في محل بعد خصيصاً لهذه الغاية فاذا فعلوا دفعوا عن البلاد (وهم الاكثرية الغالبة المعرضة فيها) خطر الداء المعلق مثل سيف ديموكليس فوق رقبتها منذراً و يتضاعف عند الله اجرهم ويزداد ثوابهم



فرنسا واسبانيا

(الخواطر ، الخميس في ٢٦ ايلول سنة ١٩١٢)

يقول التاريخ وقوله صادق ان الامتين الافرنسية والاسبانية تتحدران من سلالة واحدة لاتينية . والاخلاق المتشابهة والمنازع المتقارنة والعادات المتقابلة ومذاهب الامتين المتوحدة في الشعر والتصورات والحماسة تؤيد قول التاريخ المسيطر علَى الامم

اما عهود الحب فلم تكن وثيقة ، وروابط الولاء والاخاء لم تكن مكينة بين الشقيقتين المتجاورتين بل احب ما كان على قلب الواحدة اذلال الثانية وابغض امر على فؤادها ان تراها سائرة في طريق الرقي والتقدم

ذلك لان الطبيعة صيرت التناظر والتحاسد ادنى الى قلوب الاهل والانسباء والمتجاورين

ولقد عرفت اسبانيا زمناً غلب نفوذها في القارة الاوربية كلها وامتدت سلطتها الى ما وراء البحار فعمرت البلاد القاصية وقصرت الامصار البعيدة وخفقت اعلامها فوق الجانب الاكبر من اميركا الشمالية والجنوبية اجيالاً واحقاباً

ثم استسلم الاسبان الى الاقدار وناموا نومة الكسول الخامل ولم يستيقظوا غير مرتين الاولى يوم غزاهم نابليون وداستهم خيوله والثانية لما دفعهم منذ خمس عشرة سنة الاميركان عن « كوبا » لؤلؤة بحر الانتيل والبقية الباقية

من مجد تالد وعهد بالاستعمار عظيم ولكنهم اذا استيقظوا رأوا ان العالم الاوربي يفوق عليهم علماً ومالاً وقوةً وادباً وانه قد صير المسافة بينه وبينهم شاسعة فتوجع لهم اخوانهم الفرنسيس — والقريب يحسد قريبه قوياً ويعطف عليه ضعيفاً — سنة الله في الخلائق

ومنذ ذلك الوقت سرى بين الامتين روح تكافل جديد واستشعرتا انهما بحاجة الى شد اواصر القربى وتمكين عرى الحب تدفعان به عدواً متربصاً بكلتيهما شراً وتحفظان مركزاً ومقاماً وقيض الله لهما المغفور له ادوار السابع فعمل على تقريبهما من بعضها انفاذاً لخطة سياسية كبيرة رسمها في ذهنه فامضى الفرنسيس والاسبان بعنايته واهتمامه سنة ١٩٠٤ صك اتفاق وتفاهم قضى به على استقلال مراكش آخر مملكة عربية مستقلة في قارة افريقيا وكانت له الخطوة الاولى في سبيل التحالف العمومي الغربي ضد العدو العام غليوم

اقتسم الفرنسيس والاسبان بموجب ذلك الصك مناطق النفوذ في مراكش فدخلت سواحل البحر المتوسط كلها ضمن المنطقة الاسبانية واصاب الفرنسيس داخلية البلاد وما كان على البحر الاطلانتيكي من المرافىء واقر الجميع ان تبقى « طنجة » ميناء دولية تسوسها بلدية مختلطة حتى لا يفقد التوازن في بحر الروم لان تبسط فرنسا فيه باكثر ما لها اليوم يرجحها على الانكليز ودخول « طنجة » يدها يعرض جبل طارق لفقدان اهميته

وحرص الفريقان المتعاقدان على كتم بنود المعاهدة حتى لا يثيروا الظنون ويريبوا الدول ذوات المصالح ووكلوا الى الايام امر انفاذها تدريجاً واذا

بالحوادث تفاجئهم وغليوم يحتل « اغادير » منذراً مزبداً . فاضطر الفرنسيس ان ينفذوا احكام المعاهدة -- بعد مخابرات مع المانيا كانت الحرب فيها على قاب قوسين -- وكشف النقاب عن ذيالك الاتفاق الاسباني الفرنسي فاذا هو مجحف بحقوق الفرنسيس والقسمة عليهم به ضيزى

تصور الفرنسيون انهم لووا اسبانيا بقشور من مراكش وان « دلكسه » وزيرهم حفظ لهم اللب فيها واذا بالاتفاق مكشوفاً يمكن الاسبان من مرافئ وسواحل وربوع تفوق كثيراً على اهميتهم في البلاد فتميز الافرنسيس غيظاً وازداد وجدهم لما رأوا الاسبان يتسرعون لبسط حمايتهم هم ايضاً على كل البلاد التي دخلت في منطقتهم دون مخابرة مع علم الاسبان ان فرنسا ضحت « الكونغو » لتشتري سكوت الالمان وحق لها ان تأخذ عما ضحت في سبيل مراكش منهم بدلا

فطلبت فرنسا تحوير المعاهدة الاولى على وجه اطبق للعدل والنصفة واستمسك بالمعاهدة الاسبان عن غير حق ووقعت فرنسا في حيرة ان هي كشرت عن نابها وضغطت على الاسبان اعرضوا عنها انحيازاً الى العدو الكبير المخيف غليوم . وان قنعت بتلك المعاهدة سيما بعد تضحية « الكونغو » كان لها من مراكش العناء والتكريم

فصبرت على الدهر صبر الكرام واستأنفت بروح مسالمة ولين المخابرات مع شقيقتها اسبانيا ووسطت الانكليز مؤثرة ان تضحي عَلَى مذبح الصداقة

نضحية جديدة من ان تجرح الاسبانيين بكبرهم وخيلائهم فتخسر صداقتهم الى الابد

والاسبان قوم اباة النفوس كبار القلوب اهل كبر وعجرفة وتيه وخيلاء ومجون وكسل ابغض شيء على قلوبهم الاستكانة الى ذل او الاقامة عَلَى ضيم فلا يطلبون الدخول الى مراكش جرأً لمغنم او طمعاً باستعمار فقد كانت لهم الدنيا مستعمرات ولم يستثمروها ولكنهم يتصورون دخول الفرنسيس الى مراكش من دونهم غضاً من كرامتهم فاصروا على اقتسامها معهم حتى اذا احتلوا نصيبهم اهملوه كما اهملوا القارة الاميركية والهند وكوبا وجزر الانتيل من قبل

ولقد عرف الفرنسيس في اخلاق انسبائهم الاسبان هذه الصفات وتلك المعائب ولذلك رأينا الامة الفرنسية تتحاشى اغضابهم وتلح على حكومتهم ان تبقى عَلَى معاملتهم بالتؤدة والرفق

ولقد طال امر المخابرات والاسبان فيها بين غنج ودلال وتيه وتمايل كلما اغلق الفرنسيس منها باباً فتح الاسبان ابواباً حتى عيل صبر الاولين وكادوا ان يقطعوا العلاقات مرتين لولا دخول السفير الانكليزي في « مدريد » بين الفريقين وسيطاً · واقتناع بوانكاره ان اندماج اسبانيا بحظيرة الاتفاق اللاتيني المنوي ايجاده وبسلك الاتفاق الثلاثي لازم لازب لا يستغنى عنه

ولقد صرحت الانباء البرقية الاخيرة ان المخابرات بين الدولتين جارية

مجرى حسناً يؤمل معه الوصول الى حل يرضي الامتين وتخرج منه اسبانيا عزيزة لم يخفض لها صوت فلا يقال اراد الاسبان شيئاً وغلبهم عليه الفرنسيس

والقائم في اذهان العارفين ان دخول اسبانيا في حيز الاتفاق الثلاثي فرنسا وروسية وانكلترا امر صائر لا محالة ان لم يكن قد وقع عليه من زمن طويل وان الايام لا تلبث ان تعلن لنا عما قريب خبر هذا التحالف وتأهب الجيوش الاسبانية للوقوف بجنب الفيالق الفرنسوية الانكليزية بساحة القتال



الشهر المنصرم

(الخواطر ، الثلاثاء في ١ ت ١ سنة ١٩١٢)

ما احرج مركز الدولة بين الامم

ان هي بقيت على المركزية ام سارت الى اللامركزية ملومة

وان هي اصرت على الحرب وبقيت على الكفاح او جنحت الى المسالمة ومالت الى الصلح مشجوبة

لا الإلبان راضون عن حصر الامر بالاستانة ولا الاتراك مرتاحون لتوسيع سلطة الولايات ولا العرب والعناصر الاخرى ساكتون

لا حال الدولة يسمح بالاستمرار على الحرب ولا مواردها تمكنها من البقاء بموقف العداء ولا ظروفها السياسية الداخلية والخارجية تجيز لها هذا الامر . ولا عواطف المسلمين في الارض قاطبة ولا حماس العربان في دار الحرب البالغ حد الاستماتة بجرىء لها على ابرام الصلح . فاي منفرج لهذه الازمة ؟

ان بين تضييق السلطة وتوسيعها والبقاء على الحرب والاقلاع عنها اعناق الاغيار تشرأب ومطامع تتحفز ودسائس تدس ومفاسد تنفث ونفوس تشرف على الموت

وسواء شحذت الاسنة او علاها الصداء فلا حكمة الشيوخ ولا جرأة الفتيان تدفعان عن هذا الوطن القضاء النازل اذا لم يشفق عليه بنوه ولم يتقوا الله فيه

من احب وطنه حباً صحيحاً تنازل عن بعض مطالبه ولو كانت حقوقاً ومن عطف عَلَى مريض او ناقه وقاه اسباب العلة ومهيجات النكس · اما من أصرّ على نيل مبتغياته كلها في زمن حفّ بالمصاعب والمخاطر كان كالمنتقض عليه الخارج ، واذا حسن به القصد فهو ربان السفينة الاحمق التي ابقاها عَلَى سيرها السريع في بحر اشتد هياجه وتلاطمت امواجه

لو ذكر الاتراك ان حجاب الوهم قد تمزق عن اعين الناس وان عصابة الجهل رفعت عن بصائرهم لسايروا الناس تدريجاً الى ما يطلبون ودفعوا عن الامة خطراً مخيفاً

ولو درى العرب الذين صبروا عَلَى الضيم اجيالاً انهم لا يملكون — والعدو اليوم كالافعى فاغر فاهه ليبتلع الدولة — حق المناضلة والطلب لتحاشوا كل امر مزعج · ولو احب الوطن كل من يدعي حب العثمانية من العناصر الاخرى لخففوا كثيراً من غلوائهم ومهدوا للوطن الكبير سبيل الحياة وطول العمر ولو على ظهر الوطن الصغير ولكن كل منهم يعمل لنفسه نقه المريض ام سار الى ظلمات القبر

خفت صوت الالبان في الشهر المنصرم لما وثقوا ان الحكومة مجيبتهم الى مطالبهم ورغائبهم فارتفع صوت الاقوام الضاربين في البلقان وعلا ضجيجهم وكثر اثر تحريك الممالك البلقانية وتزيينها لهم سبيل الخروج

فعالجهم الشيوخ بالرفق مرة والشدة اخرى والصبر والاغضاء حيناً والضرب على يدهم يوماً ولم يزالوا واياهم بين مدّ وجزر ونصيحة وانذار عساهم يعثرون على حل شريف لهذه المشاكل البلقانية الخطيرة التي ستكون

سبباً لحرب عمومية كما انذر بسمرك

ولم تكن حوادث البلقان والالبان في الشهر الغابر الوحيدة التي اشغلت بال الشيوخ بل هنالك معضلة اليمن التي تنعقد طوراً وتتمدد حيناً حتى اضحى التعليق عليها محالاً

وحوادث الارمن التي كلما ظننتها طويت تنشر ، وكلما خلتها دفنت تبعث ، فالاكراد هنالك آلوا على انفسهم ان يطهروا الارض من رجس مواطنيهم او ان يريحوهم من هموم هذه الدنيا وشقائها فاذا اينعت رؤوس الارمن قطفوها، وان غلظت رقابهم جزوها، وان سمنت ابقارهم ذبحوها، وان درّت نعاجهم احتلبوها . ولقد ساءت الحالة في الشهر الفائت فاستعفى بطريركهم واهتمت الحكومة اي اهتمام ولكن :

لا ترجع الانفس عن غيها   ما لم يكن منها لها زاجرُ

رحم الله نفوساً نازلها التعصب الذميم وسقى الله بغيث رحمته اضرحة حفرها الجهل ، وحيا قوماً كبار النفوس كلما اضطهدوا نموا

ايه ايها الاكراد هنالك ما ارقّ عواطفكم وانحف اكبادكم وانعمها. متى ترتوي سيوفكم من دماء الاطفال واليتامى ومتى تصوم ؟

ومرحى والف مرحى لوطنية ان حسبتها مائتة فاذا هي حية يقظى

اما سورية فلم يلتوِ لاحد ابنائها قصد ولم يتنكر خلقٌ بل باتت من حلب لعريش مصر وشعارها الاخلاص ودثارها الوفاء

ليست هي عين الرضا ولكنها وطنية تدعو الى اهمال الحكام وعدم اغتنام فرصة المشاكل

الخيم الرحل

(الخواطر ، الخميس في ٣ ت ١ سنة ١٩١٢)

الضاربة في الصرود والجرود والسهول والاودية

من عرب ونور وترك واكراد وهرسك هم نقمة هذه البلاد وسبب كبير من اسباب الشقاء فيها

كأن لم يكف هذه الارض ما تعانيه وما تقاسيه حتى ابتلاها الله بمن ذكرت

قوم لا خلاق لهم ولا رادع قائدهم السلب وضالتهم المنشودة السرقة ان هم نزلوا في السهول او اقاموا قريباً من المدن والقرى اقلقوا البال والخواطر

كيف اجلت بايام الصيف نظرك تجد منهم جماعات يتسللون الى البيوت متسولين فان كبت عين ربة البيت سرقوه . وان وقعت عينهم على اسطبل درسوا خفية طريق الدخول اليه ليلاً وزاروه . وان حطوا رحالهم في السهول قضوا على الزرع والضرع فيها وما وصلت اليه يدهم من قروم سوامي وماشية وخيول

تساعدهم على عملهم الهادم طريقة تقسيم الارض في القرى واخلاق الناس . فالارض بيننا قسمت تقسيماً يمهد سبل الخلاف ويسهل للقوي طرق الاستئثار والتسلط ويمكن البدو وسائر من وصفت من النزول بالارض رغم انف مالكيها والزراع

ان غالب اهل الاطناب هؤلاء متشردون نهابون ينامون النهار ويسرحون في الليل الدامس سعياً وراء الرزق فما وصلت اليه يدهم من ماشية وخيل انتزعوها من ملك صاحبها وساقوها الى الذبح والبيع في الفلوات البعيدة

وهم عصابات . السارق في الجنوب يبيع في الشمال والخاطف في الغرب يبعث الى الشرق وبالعكس ومن لم يكن سارقاً او تظاهر بسمت اصحاب العرض والحلال فبيته مكمن اللصوص ومفزع الاشقياء يختلفون اليه ويختبأون ويتآمرون ويتشاورون



الحالة في البلقان

(الخواطر ، الثلثاء في ٨ ت ١ سنة ١٩١٢)

الخطر الخارجي شديد وأشد منه خطراً الحالة الروحية في البلاد

مطامع في الخارج لم تعد تحمل نفسها عناء التستر وتخاذل في الداخل بلغ حد الذهول

اذا نزع عند الام الوطن الكبير الى ابنائه قالوا له لبيك . واذا بان في الافق خطر خارجي خرست الاحزاب وتملكها العي . ونحن نحاول ان نستفيد من المشاكل الخارجية فما اعظم الفرق وما اسمى العلامة الزهراوي عندما يدعو قومه الى التساهل والتسامح ويستحلف الاتحاديين والائتلافيين ان يعقدوا على حب الدولة وموآزرتها في ظروفها الصعبة الخناصر

تحركت البلقان فهل درى العثمانيون ما معنى تحرك البلقان وما هو محل هياجها من الاعراب ؟

واتفق السرب والبلغار والجبل الاسود واليونان وتضامنوا فهل فقه العثمانيون مغزى ارتباطهم وهل ادركوا مبناه ؟

وان ادركوا ، فما معنى القول بعد : لمن تكون الغلبة بين الاتحاديين والائتلافيين ؟ وما معنى التحدث بالمركزية واللامركزية ؟

البلقان اذا تحرّك بركان يثور ويقذف الموت والردى الى محلات سحيقة

والبلقان اذا اضطرب تضطرب لاضطرابه اعصاب الدولة العثمانية ويهتز

لاهتزازه كل شعور اوربي

ودول البلقان متفقة تعمل معاً وتصرح ان البلغار ومن جاورهم من أُمم البلقان قد آلوا ان يصلوا معاشر العثمانيين حرباً عواناً لينتزعوا ولاياتنا الاوربية منا

والحرب مضطرمة في البلقان تفسيرها ان كتاب المسألة الشرقية المغلق مفتوح ومبسوط على بساط البحث والاقرار على ارهاق العثمانيين واخراجهم من عاصمة ملكهم فروق

هل جاءك نبأ بطرس الاكبر وما اوصى؟ وهل اتاك ما انذر به بسمرك اوربة حيث قال: ستضطرم في البلقان نار يندلع لسانها الى الغرب والشرق وتكون سبباً لمحو غير امة من خارطة الوجود

لما القيت مقاليد الامور في روسية الى العاهل العظيم الذي لقبه التاريخ ببطرس الاكبر كانت امة الروس تتخبط في دياجي الجهل وظلمات التوحش والغباوة فشمر الرجل الكبير عن ساعده ومزّق عن عيون امته حجاب الوهم وسار بها في طريق العمران والتقدم الى محجة الكمال ووضع نصب اعينها فروق عاصمة العثمانيين كالنقطة النهائية لمجدها ، وتمشى من بعده خلفاؤه فكان همهم الوحيد وشغلهم الشاغل التقرب من فروق فاذا اتوا امراً او اقدموا على عمل كيفوه على صورة وعلى وجه يدنيهم منها

وعرف ذلك الانكليز فحصروا ايضاً همهم واهتمامهم لدفعهم عنا فافلحوا سعياً واقاموا بوجه الروس الحواجز من سرب و بلغار ورومان و يونان لتحول دون وصول الروس الى القسطنطينية وهكذا صارت الولايات العثمانية دولاً

صغيرة يسمونها بدول البلقان وهي وان كانت من عنصر واحد سلافي ومذهب واحد ارثوذكسي ذات مرافق متباينة وافكار متناقضة ومنازع ومصالح يعسر تلاحمها

وكان هذا التناقض منفرجاً لنا وداعياً لطمأنينتنا ودافعاً عنا تحرش هذه الذبابات فاذا ارادت البلغار منا امراً زاحمتها عليه اليونان وان قصدت السرب قصداً آزرنا على منعه عنهم الرومان

وللدول العظمى بامر هذه الحكومات البلقانية افكار مختلفة وآراء متلونة فمنها من يحب تقوية البعض وسحق البعض الآخر ومنها من هو جانح لتعزيزها كلها وبينها من يصبو لحذف اسمها من خريطة الوجود وفيها مثل النمسا التي لم تقرّ رأياً على بغضها او حبها بعد. فهي تريد الممالك البلقانية قوية لتبقى حجر عثرة بوجه الروس الى الاستانة وتتمناها هزيلة لتمر قريرة العين عليها الى سالونيك وبحر الروم

لذلك قال بسمرك: ان في البلقان جذوة نار كامنة قد تهب عليها الريح فتشعل وتشتعل منها اوربة باسرها



محكمة الشرف

(الخواطر ، في ١٠ ت١ سنة ١٩١٢)

ان للبلاد والهيئة الاجتماعية مثل ما للافراد عللاً وبائية وامراضاً سارية محلية ولهذه العلل ايضاً النازلة بالافراد والاخلاق اسباب وبائية وسارية فاذا تفرغ الطبيب لدرس الادواء النازلة بالابدان واعراضها ومظاهرها واستقراء اسبابها ليقوى علَى دفعها استدراكاً و يتسنى له معالجتها بنجاح توجب على كل من ولي او اولى نفسه خدمة عمومية ان ينقطع لفحص العلل العارضة على الجماعات واخلاقهم وتحدي مواضيعها ومجاريها والاهتداء لحل رموزها وفضح معائبها فيبعد الناس عن الرذائل و يتمكنون من مكافحة هاتيك العلل ومصادرتها ووقاية الانسانية من آلامها واوجاعها والناس بحكم ضعف الطبيعة البشرية راغبون عن الفضيلة الى طرق الضلال والغواية والشهوات والمطامع واذا لم يكن من يزين لهم الخلال الحسنة ويقبح النفوس الصغيرة و يرذلها بل اذا لم يكن لاذع ولسعته بلسانه وقلمه كل يوم انصرفوا عن تلك الى هذه وانغمسوا بحمأة الصغائر الى انوفهم لا يشفقون ولا يرحمون

واذا قدر لوسط او محيط ان يسكت فيه عن مرتكبي الآثام والفواحش وان يغض النظر بين بنيه عن كل قواد خسيس فقل السلام على ذلك الوسط والمحيط

واذا شجعت الرذيلة في بلد تساوى عندها كريمها ولئيمها وابيّ الاخلاق وذميمها باحترام الناس واعتبارهم فذلك البلد صائر الى الموت الادبي والفساد

ولقد قضي ان كان لكل بقعة من بقاع الارض صفاتها ولكل طائفة من طوائف الانسان معائبهـا بعلامات فارقة ومميزات صادقة فاذا لقيت ابن قبيلة حددته ووفيته حقه من الوصف كأنَّ لك به سابق عهد وتعارف لشد ما تقرأ وتسمع عنه وكان لنا مثلها كان لسائر الناس صفات نتباهى بها امام الغير فلما قرب الابعاد وكثر الاختلاط تسربت الينا من بـلاد الغرب علل اجتماعية كثيرة قتالة في النفوس ولا فتك الاوبئة بالابدان تقلبت فينا وخنقت صفاتنا ومميزاتنا القوية ولم نجد من انفسنا الارادة القوية لمنابذتها ومناوأتها

كان يغلب فيما بيننا الصدق والادب الصحيح والوفاء والوطنية واحترام العرض وتحقير الفجور مقابلةما بنامن الميل للبطالة والسهر والخنوع والتشاكس فضعفت تلك المبادىء وحل محلها الخبث والرياء وضعف العصبية الوطنيـة والسكوت عن الاعمال السافلة واغماض العين عما يجري به حولنا السفلة والقوادون من الامور المحطة البالغة من الدناءة حداً بعيداً

اذا سكت عن الكذوب المحتال كيف يرجى ان تنمو في صدور الناشئة الصدق والاستقامة، ولماذا يحق لنا ان نشتكي ونتألم من ضرر الحقه بنا كذب الغير ؟

واذا سمعنا شاهد زور يتكلم ولم نشجبه ولم نعنف فمن اين لنـا ان ندفع هذه البلية الوافدة علَى البلاد ؟

واذا مر احدنا على نادي قمار تسرق فيه الاموال وتباع الاعراض بيع السلع ولم ينبه غافلاً ولم يذكر جاهلاً فهل يمكن محاربة الداء ؟

واذا ساوينا بمعاملتنا الكاسبين رزقهم والحاشدين الاموال عن طريق

الاحتيال والنصب مع المزارع الذي يشتري قوت عياله بعرق الجبين والمالك الذي يحرث الارض ويستدر خيراتها والتاجر الصادق الذي يستثمر رؤوس الاموال ويجعلها مفيدة لذويها ولم نمنع الخروج ونعنف الخارج فكيف نربي الناس واني نشجع الصادق المستقيم ؟

يجب ان ترسم الهيئة العمومية للناس خطتهم ونضع للفريقين علامات فارقة . واذا صح ان تبقى للفئة الباغية الطاغية حقوقها المدنية فلا يخلق ان تبقى لهم الحقوق الادبية التي يتمتع بها الاعزاء الشرفاء باخلاقهم

ليس للقواد ولا للنصاب ان يعتبر نفسه مساوياً للعامل الحر المجتهد وليس له ان يطلب الحقوق التي يتطلبها هذا واذا فعل فتطاول علىَ حقوق الغير وتحرش لمثل هذا الامر يجب ان تجلس محكمة الشرف على منصة القضاء تلفظ فيها احكامها النافذة المطاعة فتنتعش النفوس الكبيرة ولا يعود يؤلمها منظر الحسن والقبيح جالسين جنباً الى جنب

اثنان اختلفا مبدأ وتناقضا غاية لا يجب ان يتساويا: الكريم واللئيم
هما اذا تباعدا ازهر الكون وان تقاربا ذبلت نضارته



لبنـــــــان

(الخواطر ، الخميس في ١٧ ت ١ سنة ١٩١٢)

نحن معاشر اللبنانيين والضعيف يضرب به الناس وهو يستوفي من امرأته سوءا

خذلنا الشيوخ في عاصمة الملك واعرض عنا الدهر الذي يستخف بالضعيف الجبان. وانقطعنا نحن الى بعضنا ننتهك ونلعب مستخفين بآخر سلاح بقي بيدنا : الحاجة الماسة الى المطالب

العالم كله يتحرك ، هذا لتمكين قوميته وذاك لتمزيز جنسيته وفلان لتعيين دائرة صلاحيته وفلان لتأييد وتحديد مرافقه . ونحن عدنا نلهو بوكالة زيد من دون خالد من الناس

عرفنا الدخيل الذي ابتلينا به وعرف مبلغ اخلاقنا من القوة فزين الى صديقه العود الى الاحكام وبين له الفرصة سانحة يستعيد بها نفوذه وينكل باعدائــه . وما ضرّ الرجل وهو الظل المائل الى الزوال لو بذل مـا بذل ليتصدر في قاعة العمود ويقهر خصماً ويروي غليـلاً . ولكن ضرّنا نحن ان يعرفنا الناس واقفين عند هذه الامور الصغيرة الصبيانية وحاصرين همنا واهتمامنا على وكالة زيد او رئاسة عبيد

وشقاؤنا نحن ان نهمل المرافق والمرافئ وكلّ امر حيوي يذبل في زوايا الاهمال والتخاذل والتشادّ ومصيبتنا ان نكون عند هذا الحد من ضعف الارادة وقلة الشعور الوطني وفقدان كل جرأة وانتظار الخير من

السوى والتماس الطعام نلقمه ونحن مضطجعون لا نمد له يداً ولا نبذل سعياً ولا نجلس له عَلَى الاقل جلوساً

خيل للناس ان قومنا في عصر الحكم السابق ادركوا خطورة الحالة الحاضرة والظروف السانحة وضرورة تفسير نظام الامتياز على وجه يضمن لنا البقاء وسبكه بقالب يلائم روح العصر وحسبنا الاجتماعات والوفود والمقالات حركة حياة قوية ومطلع فجر جديد ولكن ما وطأت رجل الحاكم السابق ارض اليم الا وبردت الافكار الفائرة وخفت صوتها سكون الماء في المرجل اطفأت من تحته النار .

هالهم ذهاب المتصرف يشجبه الرأي العام ورابهم بند يدخل في النظام الجديد ينقطع بموجبه الحاكم الجديد الى لبنان واهله وشقّ عليهم مصير الحكم الى من عقدت على حبهم وولائهم الخناصر فنفثوا سمّ صدورهم والقوا في طريق المصلحين الشوك والحواجز علهم يفلحون

وتأبى علينا نفسنا التسليم بان عمل مختاري الصلح وبرقياتهم وانفجار مستودع البارود في بيت الدين ومشترى الكميات الكبيرة من الاسلحة وحوادث شارون وصوفر والعبادية وامور غيرها كانت بنت ساعتها ولم يكن لها يد دساسة ترمي بعملها لتصوير الافكار مضطربة والناس غير صالحين ليحكموا انفسهم والبلاد غير خليقة بنظام جديد وصلاحية متوسعة . فاذا عرفت العاصمة ذلك ابلغته الى سفراء الدول وتذرعت به الى اقناعهم بعدم مناسبة اجراء الاصلاحات وانفاذ المطاليب الان ليصرفوا نظرهم عنها ويوافقوا على تعيين حاكم دون تعديل ولا تبديل

ولقد كدنا نقع في الشرك المنصوب ونقضي بيدنا على كل اصلاح لولا ان تدار كتنا يد العناية واخلاص المحبين الذين دلونا على مواضع الخطر ومزالق الالسان فانثنينا وفي ذمة الخونة ما كان

وفي ذمتنا نحن الذين ندعي حب هذا الجبل الشيخ ونريده قوياً منيعاً مجدداً شبابه امساك التعديل عنه والوقوف عند هذا الحد فمن احب واخلص النية ووطد العزائم وقوى ارادته عمل العجائب

ومن تقاعس وتردد وخطا خطوة الى الامام واثنتين الى الوراء ولم يغتنم الفرص فحظه من الدنيا احتقارها ونصيبه استخفافها به

وسيأتيه يوم يدوسه فيه الزمان بخيله ورجله فاذا استنجد ما من ملبٍّ ، واذا استشفع ما من سميع



المساواة لا توءخذ ولا تعطى

(الخواطر ، السبت في ١٩ تشرين الاول سنة ١٩١٢)

تبارى في موضوع العناصر العثمانية فريق من اهل العلم والادب · بين عاذر للاتراك على انفرادهم بادارة شوءونها وتدبير احكامها متنحل لهم الظروف المخففة لشدة العتب والملام · وعاذل على استئثارهم بالسلطة واقصائهم عنها كل من نابذهم رأياً وخالفهم فكراً وقانط ينظر الى الغيب من وراء ليل مدلهم اذا القوم بقوا على غيهم والفريقان مخلصان لامتهما العربية غيوران عليها يتمنيان ان تستعيد حقها المسلوب ومركزاً لائقاً بها بين الامم ولكنهما على حد معرفتي القاصرة ونظري الكايل مخطآن · اولهما جار في حكمه ولم ينصف · والثاني ان اصاب كبد الحقيقة واجاد وصفاً فللدواء لم يصف وان هي الا شكوى عاجز لأعجز منه ان قصرنا عليها انتظرنا طويلا قبل نيل المساواة وبلوغ الارب فالمساواة توءخذ بعرق الجبين ولا تنال بمطارحة الكلام وصرير الاقلام

لم يدلنا التاريخ على امة نالت حريتها عفواً وحلت عقلتها صدفة واتفاقاً او كان لها ذلك من فضل امرائها ومحاسن اخلاق القائمين بالامر فيها · وما كانت المساواة عند الامم التي نحن لاحكامها ناسخون ولاحوالها مقلدون الا نتيجة جهاد طويل وثبات حسن وضحايا بذلت على مذبح الوطنية بتجرد واخلاص وحمية ونزاهة من الانكليز الذين كانوا سباقين في حلبتها الى الفرنسيس الذين لم يعد يشق لهم غبار ولا يدرك قرار في ساحتها الى الطليان

والامير كان المبرزين في مضمارها الى الالمان الى آخر اللاحقين في كل اقطار الارض

واذا كان ذلك كذلك فما بالنا نرجو من اخواننا الاتراك ما لا يرجى من الطبيعة البشرية ولا ينتظر من ضعفها وهل الاتراك الا بشر مثلنا ومثل من تقدم من الامم فلا يعقل ان يتنازلوا مختارين عن سلطة ألفوا التفرد بها منذ اجيال حتى ظنوا انها صارت من طبيعياتهم ومميزاتهم وجاهدوا في سبيل نزعها من الفرد وتخويلها لجموعهم جهاد الابطال بينما غيرهم من ابناء هذه الامة — الا فئة قليلة — صامت لا يبدي حراكا وقانع او ممالئ لا يروم لاسره فكاكاً . بل قد يكون لهم من انقطاعهم للرئاسة ومن ريبة بنا مسببة عن سوء تفاهم بعض العذر الذي يشفع بهم امام الرأي العام الاوربي كما سيأتيك بيانه

كل يعلم ان اوربة كانت ولم تزل تعتبر الاتراك قوام هذه الدولة وركنها الوحيد فاطلق عليها لقب توركيا لا الدولة العثمانية . وبقي هذا الاسم متغلباً حتى اليوم بقوة الاستمرار وزاد اوربا اقتناعاً ببروز الاتراك وظهورهم علينا علماً وادباً الانقلاب الاخير الذي تم على يد احرارهم فخولتهم اوربة ثقتها دوننا و كانوا والحق يقال ضمانة هذا الوطن امامها وبذلك رأوا لهم سبباً بقاء السلطة كلها بيدهم والتمسوا عذراً . فمن رأى بذلك حيفاً وجوراً او تصور به اجحافاً وادعى الغدر فعليه ان ينهض ويبرهن عَلَى كفاءته ويطرق الابواب المشروعة لكشف الجور واخذ الحق

ولكشف الجور واخذ الحق طرق يجيزها الدين ولا ينهي عنها العدل

ووسائل يوجبها القانون ولا يسميها النظام عصياناً . طرق ووسائل يمكن اخذها من قلب النظام الدستوري وقد بحّ صوت صاحب النهضة في باريس وعزت الجندي في العاصمة وهما يدلان عليها و يشيران فاغلقنا دون سماع نصحهما الاذان ونبذنا الاول كانه ينقل الكفر واستخف جمهورنا بالثاني وطوينا كتبه وهي احرى بالاذاعة والنشر

لا ازيد احداً من القراء علماً اذا قلت ان المقصود من الحكم الدستوري ان يحكم الشعب نفسه بنفسه وان هذا الحكم الشعبي يتمثل باراء الاكثرية فاذا كان للعرب الاكثرية في مجلس نواب الامة كان من البديهي ان تكون لهم الكلمة الغالبة والقول المرجح

فيا ايها الناس تدعون انكم الارجحية في العقل والاكثرية في العدد ونوابكم ما بلغوا الاربعين عربياً صرفاً ولم يسمع الا للنفر القليل منهم على منبر الخطابة صوت

فاذا كان هنالك حيف فلا أيسر من دفعه باحصاء النفوس وبعث النواب على نسبتها فمتى دخل نوابكم باب المجلس بالعدد الكافي التف حولهم الرأي العام وتشكلت منهم الاكثرية وآل الامر والنهي اليهم فتصدّرون في الدولة وكان منكم الوزير والمشير والوالي والمتصرف وتروون من الوظائف غليلا عَلَى شرط ان يكون بين نوابكم صلة تربطهم ببعضهم وجامعة تجمعهم وزعامة تسوسهم وخطة موحدة يسيرون عليها وان يكونوا اهل علم وحنكة وجرأة واقدام

والا فما دامت ولايتكم تستنيب عنها الاتراك دون بنيها و بنوكم

يفضلون ان تهضم حقوقهم على احصاء النفوس ومنتخبو كم يعصبون عيونهم بحجاب من التعصب كثيف . ونوابكم على حالهم من تفرق الكلمة وزوال العصبية والقناعة من الغنيمة بالاياب فلا اقل من السكوت فنكفي نفوسنا والناس عناء سماع تنهدات هي بنوحات ارميا على خرائب بابل اشبه

الحرية والمساواة كانتا منذ الازل ثمرة الاجتهاد الطويل والترقي العقلي وهما حريتان باهل الجرأة الادبية والشعور الوطني الصحيح لا باهل الهمم الخاملة والعزائم المسترسلة للقناعة والقلوب التي غلب على امرها التردد والاتراك ادوا لها الجزية واجتازوا عنهما شوطاً بعيداً وذال المنابر منهم كل خطيب مفحم يتدفق الكلام منه تدفق السيل الجارف فيسكت المعترضين و يلجم المنتقدين والادارة كل ذي نظر بعيد فعلينا التفرغ للعمل وتشديد العزائم اذا اردنا بهم اللحاق



رجلان قد تخاصما

(الخواطر ، في ٧ ت٢ سنة ١٩١٢)

واحد يتحرى الحقائق وآخر يتغذى بالاوهام . الاول ينظر الى الامور بعين رأسه والثاني ينظر اليها بعين الوهم والخيال

ذلك اذا مرت به الحوادث اعتبر وهذا لو حباه الدهر كل يوم بنازلة لم يحمل نفسه عناء البحث عن اسبابها بل عزاها الى القضاء والقدر . رجل يروي الحوادث على قومه كما هي وكما تحدث لينتبهوا او يستفيدوا . ورجل يذكرها لهم كما يحب او كما يحبون ان تكون ليبيتوا علَى غرور

الواحد تربى تربية رجولية وتعلم بها ان لا يعتمد الا على نفسه والثاني شدوا عقله بلفائف وضغطوا عليه حتى استسلم الى الخمول

فريق يقول انا وفريق يقول ابي قد تنازلا فكيف تريد ان يتقارن الرجلان وكيف يمكن ان يتغلب من تحب بل كيف يصح ان يتساوى الاثنان ؟

يشهد الله وكل نبي عبد الله ان حبنا لهذه الدولة لا يقل عن حب اشد بنيها تعلقاً بها وان قلبنا يقطر دماً حين نرى الاغيار عليها يتطاولون والاعداء يتآمرون ويطير شعاعاً اذ تكشر المطامع عن نابها لتنهش منها ولا تقوى على اسكات الطامعين

اجل . هي الدولة التي عشنا واباؤنا في ظلها الوارف منذ مئات السنين فكنا احياناً تعساء وغالباً سعداء تحسدنا امم الارض

بل هي فرس اصيل لو احسنوا سياستها ما لحقت ولو اجادوا بامر تربيتها ما سبقت بل هي جسم لا تنفذ قواه ولا تخور عزائمه اذا تعهدته يد عدل وذكاء ولكن تركوها منذ جيلين ونيف تلتهب في حمارة القيظ احشاؤها عطشاً وفي صبارة البرد تلتحف السماء واذا رأوا معالجتها تقلبت عليها ايدي الاطباء كل منهم يؤثر في التشخيص طريقاً وفي العلاج خطة ولما زهقت منها النفس طلبوها للمبارزة امم تتمرن من سنين على ضروب القتال وتتحفز من شهور لدخول ميادين النزال

فجمعت قواها التي انهكها المرض ووثبت وثبة الاسد الرئبال فلم تجفل الذئاب بل ادركت مواضع الضعف منها

خانها الزمان بل هو خطأ العمال لم يعدوا لها العدة ولم يمهدوا السبيل ولكنهم تواكلوا ورددوا لما رأوا المتربصين بها شراً يسوقون الجيوش الى الحدود قول دانتون زعيم الثوار الافرنسيس « لا يتجرأون، لا يتجرأون »

ولما بادههم الملك الصغير بالعدوان وانذرهم داهية البلقان فرديناند قالوا ان كل شيء لدخول العثمانيين الى صوفيا معدّ ومهيأ فكنا و«لو بوف» وزير حربية فرنسا سنة ١٨٧٠ سواء. سألوه فأجاب كل شيء في الثكنات حاضر فلا يعوزنا زر قميص ولا شريط جزمة للدخول الى برلين

لم ننفرد نحن باعتقادنا بمناعتنا ومقدرة جيوشنا على تحطيم قوات العدوّ وسحقها بل كان هذا الرأي غالباً في لوندره وبرلين وفينا وبطرسبرج ولذلك قالوا لا تعديل في الحالة الحاضرة ولا تبديل

ولما اشتبك القتال وساعد الحظ الاعداء قالوا يستحيل بقاء القديم على قدمه

نحن في الكون أمة اذا اعتمدت على غير نفسها قهرت وليس الاعتماد عَلَى النفس ان نذيع مجد الاجداد ونعتبره عدتنا الاولى وراسمالنا الوحيد بل الاعتماد على النفس يقوم ان لا نخفي المخاطر ولا نكتم المخاوف عن الامة بل ننظر اليها بملء العينين ونتذرع بالصبر والثبات ونقف وقفة الرجل الفرد دفاعاً عن هذا الوطن المحبوب ليعلم الناس ان احب شيء علينا في سبيله الموت. واذا انفرجت عنا هذه الازمة ترتب علينا تمزيق هذا الثوب البالي واستبداله بثوب جديد تحوكه يد العدالة وتنسجه المساواة الفعلية و يطرزه الاخاء الصحيح



سابا باشا

ورئاسة مجلس ادارة لبنان

(الخواطر، الخميس في ٧ ت ٢ سنة ١٩١٢)

لا معرفة لنا بالرجل وقد لا يكون مرّ على مسمعه ذكر اسمنا ولكن نحن مرددون عنه قول وطني كبير خبير وصدى ما تقوله الجرائد المصرية كل يوم

عقل راجح وعلم واسع ونظر بعيد ونزاهة أُعجب بها امير مصر ومستشاروه كرومر وغورست وكيتشنر. ذلكم هو سابا باشا مرشح الباب العالي لمتصرفية لبنان

رشحته على ما يقال حكومة جلالة السلطان وارتاحت الى هذا الترشيح سفارة الانكليز فأبى الرجل قبول المنصب

هل كان الرفض نتيجة مصاب أَلمّ به وادمى فؤاده فآثر الاعتزال والانقطاع الى زوج صالح يفرج كربتها ويلطف لوعتها ام هو لشعور الرجل ان اسمه (سابا) وطنياً سورياً كاثوليكياً لا تجتمع عليه كلمة اهل لبنان؟

ان كان الامر الاول لنحمل عليه اقناعاً ان مصر ذات العماد واوربة ورقيها العجيب لا تترجحان على لبنان سكناً ونسيمه البليل وهوائه العليل ومائه السائغ وصروده الجرداء وسواحله الغناء فاذا تعهدته يد نزيهة قادرة كان لها ولمن تحب بالعمل تعزية وسلوى اذا كان للسلوى من سبيل. وان كان الامر الثاني لنبحث

يخشى الناس من وجود الحاكم ينتمي الى طائفة مقيمة في البلاد يقضي على آمال ونفوذ الطوائف الاخرى فاذا صح هذا القول الى حد محدود عند الطائفة الكبرى المارونية هل يجوز ان يصح او ان يفتكر به اذا كان الحاكم من طائفة لا مرافق لها ولا مطامح ولا مغانم ولا آمال . كرسيها في مجلس الادارة الاخير ورئاستها في المركز صف الاوراق وقائمقاميتها واد واحد اعلاه رقيب واسفله مريب وغالب مأموريها من الذين ختم الله على قلوبهم فلا يبصرون

ولقد وليت هذه الطائفة البلاد ثلاثاً على عهد فرنكو وابنه وصهره فلم تنل غنماً ولم تصب سهماً وكان اسرع اعمالهم انكارها ولبس عهد يوسف باشا ومن انتقى لها من العمال بالعهد البعيد

ولو بقي الحاكم غيوراً على مصلحة هذه الطائفة فلا يقوى ان يعمل لها شيئاً فكل مرافقها ومأمورياتها محدودة

نقول ذلك دون ان نأتي على ذكر اخلاص هذه الطائفة للبلاد وارتباطها الادبي مع سائر الطوائف ، والديني مع الطائفة الكبرى

اذاً هو وهم غير وارد وحذر في غير محله شارد او هو ايصال الريبة الى اقصى درجاتها

ولا نقول انها فرصة اذا اغتنمتها اليوم البلاد والطائفة الكبرى كانت مدرجة الى الحاكم الوطني اللبناني الدائم الذي اليه نتوق . فكل واقف على التاريخ الحديث من عهد الحكومة المصرية الى هذا اليوم يعلم ان الانكليز قاوموا بدهائهم وحزمهم المعروفين فكرة ايجاد حاكم وطني في لبنان — حيث لا

يكون الحاكم الا من البيوت او الطائفة التي سبق لها الحكم فيه — فيتأبد النفوذ الافرنسي في البلاد ويكون تأبيده سبيلا الى محاذير يحسب لها الانكليز الف حساب ٠ فعملت عَلَى اسقاط الحكومة المصرية واحبطت مساعي الدول الراغبة سنة ١٨٤٨ باعادة الحكم الى البيوت التي كان فيها من قبل وأصرت عَلَى ذلك سنة ١٨٦١ و بقيت على اصرارها وغيها في كل مدة طرح النظام اللبناني على بساط البحث فاذا انكرت اليوم خطتها الماضية ورشحت وطنياً الى متصرفية لبنان او رضيت عن ترشيحه قطع عليها خطة الرجوع في المستقبل الآتي وامكن طلاب الحكم الوطني الدائم ومحبوه ان يذكروا لها عملها الحاضر الحد الفاصل الذي قطعت به جهيزة قول كل خطيب

شطح بنا القلم الى كل هذا القول حرصاً على الفرصة السانحة ان لا نعود واقتناعاً واعتقاداً ان حاكماً وطنياً لغته لغة البلاد ٠ وهمه همها ٠ ادرى باحتياجاتها واضن على مرافقها ومنافعها

لو فطنا للحاكم يأتي غريباً فيتسلط عليه كل دخيل ويصور له الامور بالالوان التي يرجو منها لنفسه الخير وذكرنا الوقت الذي يضيعه الحاكم حتى يدرس احوال البلاد وكيف يخرج في بعض الاحيان بعد ذلك الوقت من بد الوسط الذي يقيم فيه مصبوغاً متخلقاً بصبغته واخلاقه لادركنا ضرورة وجود الحاكم وطنياً يعرف من اول يوم ما تظهر البلاد وما تضمر

والرجل الجدير الكبير عَلَى قيد شبر منا عمله مكنه من اكبر مأموريات مصر ونزاهته فتحت له ابواب صناديق الاموال الاوربية الموصدة ٠ وتلك الصناديق لم تزل مفتوحة تتمنى لو مدّ لها يداً ليستثمرها

فاذا عرف ان البلاد تستدعيه لا يملك حينئذ الخيار بل يطير اليها ملبياً ليوقف عليها اصغريه قلبه ولسانه

فاذا قيّض الله لهذا البلد ذلك الوزير ومكن من رئاسة المجلس رجل لبنان ولامراء حبيب باشا السعد تنفس هذا الجبل الصعداء وخطا في سبيل الرقي الحقيقي خطوة كبرى

نعم ان لرئاسة المجلس علاقة مهمة باعتدال الامور وانتظامها او تضعضع الاحوال واضطرابها فوجود رجل ذي علم راجح وأدب يدير الجلسات ويقود المذاكرات ويعدل الاراء المتطرفة ويدل على موضع الخلل ويشير الى مطارح الهدى والصواب خير ضمين لتعود الى المجلس الكبير هيبته وتقوم خطته وقربه من الحاكم الاول اجمل وسيلة تحول دون وصول الاراء الفاسدة اليه وتكفل سير الامور كلها بطريق الاعتدال والعدل

ولقد عرفت البلاد رجلها الموما اليه جامعاً الى العلم الصحيح الادب الرائع ومضيفاً الى الدعة واللطف الاخلاص في الوطنية والنزاهة وعيبه او حسنته انه يعرف لبنان فلا تخفاه خافية فعسى ان تتحقق آمالها بالاثنين



التوازن الدولي

(الخواطر ، السبت في ٩ ت٢ سنة ١٩١٢)

هو ما ترى من اتفاق مثلث قوامه ربة المال وسيدة البحار والروس اهل العدد الكثيف وتحالف مثلث يرتكز على سيف غليوم المسنون وبارود الجاف وقفا في برّ اوربا وبحارها متناظرين

وان لحق بالفريق الثاني الرومانيون جرياً عَلَى اميال اميرهم الهوهنزلرني والهولندبون مراعاة لنعرتهم الالمانية وقفت مع الفريق الاول تلك النجوم السيارة الدائرة في فلك السياسة حول الشمس الانكليزية من برتغال ودانمارك واسبانيول وقسمت اوربة شطرين متعادلين متقارنين لا ارجحية للواحد منهما تذكر على الثاني

فرجحان المانيا الرقمي وتوحُّد السلطة فيها يماثلها سبق البحرية الانكليزية وتفوق المدفعية الفرنسوية كما اثبتته تجارب هذه الحرب ولذلك كان تعادل القوتين خير ضمين لحفظ السلم ولكن قد ظهر اليوم على مسرح السياسة الاوربية ممثل كبير جديد هو قيصر البلغاريين يرتكز على قوة وقفت في ساحة الجيوش الاوروبية هي قوة الجيوش البلقانية المتحالفة

ولا بدّ لهذا الممثل ان يلعب دوراً مهماً بدايته رفع وصاية اوربة عنه واوسطه حملها لمعاملته معاملة القرين للقرين . اجل لقد ظهر الجيش البلغاري في هذه الحرب بمظهر لا يقل عن الجيش الالماني والافرنسي دربة وانتظاماً ومنعة وعدة فاذا اضيفت اليه الجيوش السربية واليونانية والجبلية

اصبح ولا مراء في القول بالصف الاول بين الجيوش

وان قوة كهذه يديرها دهاء كدهاء فرديناند سيسمع في التمثيل الاوربي الكبير صوتها وعما قليل سترى الفريقين المتناظرين يتجاذبانها وفي اية جهة وقفت رجحت كفة الميزان وقضت على التوازن الدولي وفأل محبيه

ثلاث من هذه الامم بلغاريا والصرب والجبل الاسود سلافية الاصل روسية الاميال والمنازع والرابعة اليونان من سلالة «هيلانية» ذات ضلع افرنسي تحب الفرنسيس والفرنسيس يحبونها لحد انها سميت بفرنسا الشرق

بل ليس البلغار من نسل سلافي صرف بل غالبهم كان تترًا نزلوا في ارض البلغار وتخلقوا باخلاقهم وامتزجوا مع البلغار بين حتى غلب عَلَى الجميع اسم البلغار

هل تبقى هذه معتزلة ملازمة الحياد بين الفريقين المتنافسين ام هي تسير الى حيث تدعوها عواطفها وميولها او هل يستهويها الالمان فتلبي داعي مصالحها اليهم ؟

واذا شاءت ملازمة الحياد في معترك الغد الهائل هل يقتتل الناس ويتركونهم من ورائهم يتقوون ويمتنعون ليقفوا بعد انتهاك القوى موقف الحكم المخيف في البلقان ؟

ان لهذه الامم مطامع لا تخفى على كل من قرأ بين السطور · هي منذ يوم رفعت عن رقابها الحكم العثماني تائقة للتبسط في شبه جزيرة البلقان مشوقة الى ربوع مقدونية وضفاف البوسفور تختلق الاسباب للتدخل في شؤون العثمانيين وتنتحل الاعذار لتمد اصبعها · لم يلقب نفسه فرديناند ملك

بلغارية بل البلغاريين ولا جورج ملك اليونان بل اليونانيين ولا ذاك بملك السرب بل السربيين ليحركوا عواطف ابناء جنسهم العثمانيين ويهيجوا نعرتهم الجنسية ويبقوا عندهم امل الانسلاخ والانضمام حياً

وما دامت نياتهم ومقاصدهم مجهولة فما يكون موقف الروس والنمسويين وبالتابع التوازن الدولي امام هذه الامم ؟

لئن حسبتها غرس نعمة الروس وربيبة احسان الفرنسيس يرتاحون الى تمددها وتبسطها فذلك الى حد محدود. لان الروس مهما بلغ ميلهم الى هاتيك الشعوب لا يمكن ان يستعيضوا بهم عن انفسهم ليلعبوا الدور الذي حلم اباؤهم به فلا يعقل ان يتركوهم يسرحون ويمرحون الا اذا كانت الآمال معقودة على ضمهم يوماً ما اليهم وجعل الامم السلافية تحت صولجان واحد وهذا ما لا تتوق اليه تلك الامم . او اذا بلغت بالروس القناعة مبلغاً لم يعرفه البشر من قبل

واذا فرض الامر وسكت الروس عند استقرار البلغار ومحالفيهم اقوياء يخشى جانبهم واشداء ترعى حرمتهم في ارض البلقان كلها من اعالي ألبانيا الى هضاب مقدونيا هل يقف النمسويون ومن بعدهم الالمان مكتوفي الايدي متفرجين بازاء هذا الانقلاب الفجائي والتعديل الذي قد يقضي عَلَى كل امل لهم بالوصول الى بحر الروم ؟

واذا عمدوا عَلَى اكراههم لتخفيف مطامعهم وتلطيف مطالبهم فاية وسيلة يستعملها الالمان غير اشهار السيف من غمده ؟ واذا اشهر السيف هل تسكت سائر الامم ؟

كلها اسئلة يتكفل الغد بالجواب عليها وما يقوله الناس يكون من باب

التقدير والتخمين · واذا تعرض لها قلم باحث فمن وجه التظني قياساً على ما جرى لان القلوب وما تبطن ملك الله بل قد تتبدل النيات و يتعدل العزم ائتماراً بالظروف التي تجد والتي لم يكن بالحسبان استدراكها بل قد تكون الحوادث فوق كل المقدرات او قد تنقضي بسرعة البرق فلا تبقي مجالا لمعالجتها ومداواتها

غير انه قياساً على الماضي يعتقد العارفون ان الدولة النمسوية لا تسمح ابداً ان تمد اليد الى طريق سلانيك بل هي تدخلها في منطقة نفوذها · واذا ساد روح السلام بين الامم الكبرى يقنعون الامم المحاربة ولو قسراً على الاكتفاء باستقلال اداري كبير يعطى لمقدونية تحت رقابة الدول مع بعض امتيازات اقتصادية وسياسية تعطى للمحاربين وتوسيع حدود · وان كان بين الدول العظمى من يثير الهواجس تحت طي الخفاء ليصطاد في الماء العكر فسلام اوربة عالق بخيط من عنكبوت · وسواء غلبت العواطف السلمية لديهم او رجحت المطامع فاوربة اليوم بازاء قوة جديدة لا يستهان بها بل هي معه تضطر الغرب والشرق لتفسح لها بين صفوفها مكانا رحيباً

والتوازن الدولي الكبير معرض بدخول هذه القوة الى المراسح للخطر ولا ندري ايعيده الى نصابه السيف ام يعدله الدهاء والحكمة



قيصر روسيا

وامبراطور البلقان او (البانيسلافيسم)

(الخواطر ، الثلثاء في ١٢ ت٢ سنة ١٩١٢)

التكلم عن الماضيات شيءٌ والتحدث عن المقبلات أمر آخر · تلك تفصل وقائعها تفصيلاً جلياً وهذه لا يكون الكلام فيها الا على وجه التظني ولكن كثيراً ما يتفق للباحثين عن العلل والاسباب ان يستجلوا النتائج من مقدماتها ويستولوا على الافكار والغايات من مدلولاتها ويستخرجوا الاسرار من بين حنايا الصدور وطيات الضلوع

ولقد سبق «للخواطر» ان ألمت بامور لم يتعرض لها قلم باحثٍ من قبل ، كتعذر الاتفاق بين انكلترا والمانيا — مقالات الخال وابن الاخت — ووجود تحالف هجومي دفاعي لا اتفاق بسيط كما يتصور الناس بين الفرنسيس والانكليز واتفاق ممضي بين ايطاليا وسائر امم بحر الروم تترك فيه ايطاليا حليفتها بهذا البحر وتنافس الدول حول خط بغداد الكبير فمنها ما صدقتنا به الايام — اتفاق ايطاليا البحري مع انكلترا وفرنسا واسبانيا — ومنها ما كان المستقبل القريب بتصديقه او تكذيبه زعيماً

ونحن الان نلقي مرة اخرى دلوّنا في البئر ونسوق الى القراء ما مرّ بالخاطر وما خاناه صائراً فعسى ان لا نأتيهم بحمأة وقليل ماء واذا لم يكن منها غير تنبيه خواطر رجال دولتنا لحسب « الخواطر » عذراً ان لم نقل فخراً البانيسلافيسم كلمة معناها عنصر سلافي اكبر واكبر فادخلوا كلمة «البان»

ليستفاد منها الميل للتوسع والتمدد فاذا قرأت البانيسلافيسم والبانجرمانيسم فهمت امة سلافية او جرمانية اعظم واعظم او نزوع هاتين الامتين الى طلب المزيد والكلمة التي نحن بصددها الان (البانيسلافيسم) تفيد اذاً امة سلافية عظمى تشعر بميل دائم الى الانضمام والفتوح والتوسع

يدخل تحت اسم سلاف كل العائلة الهندية الاوربية التي يقسمها الناس الى فرق ثلاث : السلاف الغربيون المقيمون في روسية وبروسية والنمسا وبولونيا، والسلاف الشرقيون او الروس في آسيا والسلاف الجنوبيون وهم السرب والبلغار والجبليون والكروات ويقيم هذا العنصر في اوربة وآسيا ويمتد من حدود اثينا الى الاورال والى جانب كبير من آسيا الوسطى والجنوبية وفي اوربة وحدها من هذه السلالة ١٠٠ مليون من السكان

فهذه القوة الهائلة المنتشرة في آسيا واوربة تميل ان تنضم الى بعضها وتتوحد ومساعيها ترمي الى ازالة الحدود ورفع الحواجز الفاصلة بينها

لذلك رأيت الروس يسعون منذ جيلين ونيف سعياً حثيثاً وراء تحرير الامم السلافية كلها ويساعدونها على نيل استقلالها ويحرصون لا على الحاقها بهم بل عَلَى ابقائها ولايات وممالك صغيرة مستقلة تنفرد بادارة شؤونها وبقوا من ورائها واقفين موقف الام الرؤوم تعطف على بنيها وتبذل لهم المال والرجال والنصائح عفواً وبدون بدل

ولما ان حاولت امة البلغار في اواخر القرن الاخير رفع الوصاية الروسية عنها قام الضباط الروس بحركة ثورية انزلوا بهـا اميرا؟ وكادت حركتهم تقضي على استقلال البلاد قضاءً مبرماً

وظل الروس مراقبين سير الحوادث بيقظة واهتمام وكلما سنحت الفرص اغتنموها لتعزيز عنصرهم السلافي وتقوية الامم المنتمية اليهم وتظاهروا ببعض استياء وامتعاض لما آثرت اوربة بمؤتمراتها السابقة اقامة الممالك البلقانية حاجزاً بينهم وبين فروق ولما تسنى لهم الفوز وغلبت الدولة العثمانية على امرها سنة ١٨٧٨ قنعوا بتوسعهم في الشرق العثماني الاسيوي وتركوا الشعوب الصغيرة تجني ثمرة انتصاراتهم حتى لا يثيروا الريبة والمظنة في نفوس الامم

وعلى هذا الوجه تبسطت الشعوب السلافية الصغيرة من سرب وبلغار وجبليين في شبه جزيرة البلقان مستقلين يشحذون السيوف ويرهفون الاسنة ويتمرنون على ضروب القتال استعداداً لليوم العصيب حتى باحت اعمالهم بما يكنون

بقي ان نعرف هل اعرض الروس عن حطام الدنيا او هم ترفعوا بتنزههم عن الغايات البشرية الى حد الكمال السماوي او هم ساقوا العطف الابوي الى درجة لا يعرفها البشر ليرضوا عن رسوخ قدم هذه الدولة البلقانية في بلاد هي محط آمالهم وامانيهم رسوخاً بانت لنا نتائجه اليوم ؟

وكيف بالروس يسرون بظهور البلغار ومن حذا حذوهم بهذا المظهر القوي الرهيب ويشجعونهم على اقتحام المخاطر ويسهلون لهم سبل تذليلها وتمهيدها ويرتاحون لوقوفهم على حدود بلادهم اشداء يخشى بأسهم ؟

ان لكل شيءٍ في هذه الدنيا حداً . للصداقة حدٌّ وللحب حدٌّ وللعطف حدٌّ واذا أحب الروس الأمم السلافية فالى حدٍّ لا يرضون بهم عن انفسهم بديلا والاَّ ما كان الروس بشراً بل ملائكة على وجه الارض

ما كان الروس ملائكة بل بشراً مثلنا يتسامحون و يتساهلون و يحقدون و يحسبون لكل شيء حسابه مثل سائر البشر فلا يعقل انهم يدفعون هذه الدول الى الحرب و يمدونها بالمال والمتطوعين و بدعاء حار صادر من صميم القلب و يتباهون بها لو لم يكونوا واياها على وفاق تام ولو لم يربطوها بهم رباطاً وثيقاً الى اجل بعيد

ولا رباط امتن من اتفاق سري عقد بين القوم عَلَى الاعتراف بالزعامة الاولى والرئاسة الكبرى لقيصر الروس ينادون به امبراطوراً على الممالك البلقانية في مستقبل الحين مع بقاء كل منها مستقلا يدير شؤونه الداخلية كما هو جار في المانيا. وسكوت الروس او بالاحرى سرورهم من نجاح هذه الدول لا يفسر الا على هذا الوجه

ولعمل الروس وحلفائهم اولئك سبب معقول فهم اذا طلبوا الاستقلال والتوسع لبلغاريا او للجبل الاسود مثلا كان طلبهم باعين الدول الكبرى وارداً مقبولا وحجتهم به غالبة حيث يتظاهرون بمظهر الرجل الحنون الذي تدمع عيناه من مرأى الشقاء والفقر واذا طلبوا الارض البلقانية لهم رأساً اهاجوا ظنون الدول وولدوا في صدورها عوامل الغيرة والحسد فتعمل على احباط مساعيهم وعرقلة مراميهم كما كان في ايام حرب القريم والله عليم بذات الصدور



حرب البلقان

(الخواطر ، في ١٢ ت٢ سنة ١٩١٢)

لله هذه الحرب وما اثارت من كوامن وحركت من سواكن ! هي بيننا وبين امم البلقان عسكرياً وحربياً ولكنها سياسية بين النمسا وروسية للتنافس والتزاحم الحاصل على النفوذ حيال بحر الروم وضفافه وهي معنوية بين فرنسا والمانيا كما سترى

ان العدتين المتبارزتين والطريقتين الحربيتين المتنافستين في هذه الحرب هما العدتان والطريقتان الفرنسوية والالمانية

لكل من الامتين طريقة فنية بالهجوم والدفاع ولكل من الامتين عدة وسلاح ٠ وكل من الطريقتين لها وعليها ايام سود وبيض

فالطريقة الالمانية تقوم بضرب الجناحين الميمنة والميسرة اولاً ومن ثم بضرب القلب ، والطريقة الفرنساوية تدور على جميع القوات كلها والهجوم بها على القلب حتى اذا تضعضع تيسر لها تشتيت شمل الجناحين

فالبلغار ومحالفوهم اتبعوا الطريقة الفرنسويـة لانهم درسوا الفنون الحربية في فرنسا واساتذتهم اليوم فرنسويون والعثمانيون تمشوا على الطريقة الالمانية لانهم درسوا في المانيا واساتذتهم اليوم المان

وهؤلاء اشتروا عدتهم كلها من صديقتهم المانيا اعتقاداً منهم بمنعتهـا وتفوقها ولمدافع « كروب » صيت بعيد ، واولئك استجلبوا ذخائرهم ومدافعهم من

فرنسا تفضيلاً لمعاملها ومدفعيتها · ولمعامل «كروز» صيت ابعد · ولما ان احتكم الفريقان الى المدفع تبارزت الطريقتان والعدتان ومن ورائهما الشعبان الفرنسوي والالماني فكان الفوز من بداية الحرب حليف الفرنسيين

وهنالك سبب آخر لتغلب الاعداء علينا هو حالة الجيش الروحية

يجب ان يبقى الجيش بمعزل عن الاحزاب السياسية وكل امة تدخل جيشها باحزابها توهن قواه وترخي عزائمه · فحكمة الاتحاديين شاءت ان ترتكز على الجيش وان تجعله آلة لانفاذ مآربها ، فسرى روح التحزب فيه وصار يعتبر نفسه نصير حزب لا نصير البلاد كلها وهذا اكبر مصيبة يمكن ان تمنى بها البلاد

لذلك حرصوا في كل دولة على ابقاء الجيش خارجاً عن الاحزاب وحظروا على الضباط تحت طائلة القصاص الشديد التدخل بالاحزاب

ولقد سبق لفرنسا من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩٠٩ ان تغافلت عن هذا الامر فادخل وزراء حربيتها واخصهم «اندره» روح التحزب الى الجيش وآثر ترقية اخوانه الماسون من دون اصحاب الاهلية بين الضباط فكاد يقضي ذلك على قوة فرنسا ومنعتها لو لم تتدارك الجيش يد كليمانسو بالامس وبوانكاره وميلران اليوم



المطامع البشرية

— ما وراء هذه الحرب — العثمانيون بعد ثلاثين سنة —

(الخواطر ، السبت في ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٩١٢)

رحم الله القائل :

ولقد رأيت الاسد اكرم خلةً من صنع هذا الناطق المتمردِ
الناس تقتل كل يوم بعضها والاسد تقتل غيرها اذ تهتدي

لم يكن الحيوان اشرس من الانسان طبعاً ولم يكن الانسان ارق من الحيوان خلقاً بل بالعكس هذا اذا شبع قنع وذاك اذا اشتد ساعده صار جشعاً . هذا يفتك جائعاً ومدافعاً والانسان اغدر ما هو يوم يملأُ بطنه ويسمن ضلعه او يؤتمن اليه

والغريب في هذا المخلوق تناقضه بكل عمل من اعماله . فبينما هو يعطف علَى اخيه وليداً ويغتصب من العلم سر طول الحياة وبينما هو يبذل جهده ليطول عمره يوماً عن موعده تراه يرهف الاسنة والسيوف لحزّ الروُوس ويخترع المعدات الجهنمية تحصد النفوس ويشحذ القرائح لتسرق من الطبيعة امر تعجيل الاقدار باروداً لا دخان له ولا صوت ومدافع لا يخطئ مرماها وسلاح ورصاص سمّ ، فمن اصيب به ملكته المنية لا ترحم شبابه ولا توفر اهابه

والمدهش فيه بينما هو يمد للخير والرحمة يمناه تعمل على زرع بذور الفتن يسراه واذا ذكر المهمة التي انتدبه اليها الخالق حيناً — مهمة الحب والسلام —

غلب عليه احياناً غرور الملائكة قبيل نزولهم عن الكراسي جاحدين ...

اهذا هو عصر النور الذي به حلمنا عصراً يطهر به الانسان حنايا ضلوعه وخفايا صدره من ادران الغل والحقد والطمع ويزيل الحدود بين الجنسيات وقلوبها لتتآخى الشعوب ويجلس ابناؤها اخواناً على سرر متقابلين ؟ ام ذلك برق خلب ووعود يقصدون بها ذر الرماد على العيون فلا ينتبه العاقل ولا يستعد للكفاح الكسول ؟

ام هم قسموا الامم اقساماً ، فريق يغذي فريقاً وضعيفهم مأكل القوي حتى اذا اكتفت المطامع وتمَّ التقسيم قالوا لنضع لهذا التصرف المشين حداً ؟

بنو عثمان على انفسهم جنوا لما امهلهم الزمان وافسح لهم مجال العمر وبقوا على غرورهم يستسلمون الى الاقدار ويدرعون بمجد تليد يعتقدون ان فيه قوة ومنعة فاذا نزل بهم القضاء فالزمان غير ملوم ...

فرديناند وقاهر امم الغرب فاتح فروق ادركا حالتها الروحية ومبلغ تخاذل الناس فيها وذهولهم فاتبع الاول اثر الثاني بعد مرور خمسة اجيال واتخذها فرصة سانحة للوقوف على اسوارها موقفاً سوف لا يمحى ذكره الى الابد

يشترط فردیناند اليوم ما اشترطه رب التاج من قبل ولا غرو فالتاريخ يعيد نفسه وكل الى يومه ذاهب ومن الحماقة والغرور التصور ان سيبقى لنا بينهم مقام بل فروق نفسها منهم على خطر وفي جوانبها يسمع زئير الكواسر في كل ليل

خذلت الاحزاب بعضها ونكث الناس عهد الوطن وجر الجيش الى

ساحة الاحزاب السياسية فتلطخ بحمأتها وانغمس بفتنتها وعهدنا بالجيوش تنبذ السياسة وتنكر الاحزاب . ولما ادلهم الجو نادوه فلم يلب بل من قائل والعياذ بالله انهم اعدوه لهذه الحالة خصيصاً ومن آخر اشاع ان الكلمة التي لفظتها بيزانس يوم وقف على بابها ذلك الفاتح العظيم رددتها فروق اليوم ويا للعار! نحن اليوم امة واقفة على ابواب المؤتمر العتيد و يا لله اذا لم يكن لنا فيه صوت اوهم بحثوا بشؤوننا و بلغونا الا اذا تدار كتنا العناية وابتلت صفوفهم بشقاق

وتالله لو كان للاقلام ان تذيع ما نعرف لقلت ولا اخشى قولاً ان خروجنا من البلقان خير لنا وافيد فنحن قد ضحينا على مذبح البلقان قوانا الادبية والمادية منذ عشرات السنين واهملنا لاجل البلقان الملك كله ولم نجن ثمراً ولم ندفع خطراً بل كان حرصنا على البلقان وارصادنا الاموال والقوى كلها لخدمته سبب وقوفنا اليوم هذا الموقف الصغير

منذ خلعت الامم البلقانية الحكم العثماني دأبت على اثارة المشاكل والمشاغب والفتن في الشرق الاوربي العثماني و كلما نالت منا امراً طمعت باكثر منه ونحن نجاريها ونمشي مع التيار غير جازمين حتى ابتلع البلقان اموالنا وظلت من اجله ولاياتنا الاسيوية رازحة تحت نير الجهل والفقر والشقاء وعليها كان يجب وقف الاصغرين

لا خير في خل تريده ولا يريدك وعشير انت من عطفك تزيده وهو من اعراضه يزيدك

هل يتعظ العثمانيون ام هم سيظلون وبرقع الغرور يعصب عيونهم ويحجب عنها الطريق المثلى ؟

اني اتمنى لقومي و بلادي ان تزول العصابة تلك عن العينين ليروا نور الحقائق اللامع و يعملوا بحكمة وروية وعدل ومساواة على صيانة ما بقي من هذا الملك الضخم و يعالجوا ادواءه بالحزم والنصفة

وهو والحمد لله لم يزل ضخماً اوله بالغرب وآخره على ابواب الهند ملك يكفي وربك لمائة مليون من السكان اذا سكنوه غذتهم لبانه برخاء

واذا بقيت تلك العصابة على العين فالمطامع ستبقى متلاعبة بـه تنقض كل يوم من بنايته حجراً حتى يقضي الله بامره

هي نفثات وطني بيثها فهل يسمع لها صوت وهل ترعى لها حرمة ؟!



فرنسا وانكلترا في سوريا

(الخواطر ، في ٢٦ ت٢ سنة ١٩١٢)

حلوق تبتلع الريش ومعد تزدرد الحصى وتطحن الصخور فكيف بها اذا كان لها هذا البلد الطيب طعاماً

سماء صفا اديمها وجبال اعتل نسيمها وهضاب تدر اخلافها العسل واللبن وجنات لو رآها آدم قال : هذا هو وطني ، ربي لو اعدتني اليه . تلك هي البقعة التي تحوم عليها نسور المطامع وتحاول ان تجد للتدخل بها سبيلاً اليوم

تمنيت لو ان ذكر هذا البلد لم يأت على السنتهم ولم تسطره اقلامهم فسعادته بنسيانه وتعاسته ان جرى ذكره على الالسنة والاقلام

ولكن ابتدأت جرائدهم تعد له الفصول الطوال وبرقياتهم تنم عن شوق مبرّح وقادة الرأي العام يمهدون طرق الاقناع وينتحلون الاعذار

كانت جريدة «السبكتاتور» الانكليزية مصدر تلك الحركة ومنشأ ذلك القلق

قصد الدهاء الانكليزي سبر غور الافكار والوقوف على منويات الامم فاعدت «السبكتاتور» مقالة افتتاحية جاء فيها :

«لقد انقضت الحوادث بسرعة البرق وبدت هذه الحرب وجه المسائل فلا يجب ان يبقى لنا معاشر الانكليز نظرنا الاول في الاستانة والوزارة الانكليزية التي تعارض اقامة الروس على ضفاف البوسفور تكون على خطأ مبين . والتهمت فرنسا مراكش وابتلعت ايطاليا طرابلس وتمدد السرب والبلغار واليونان

فاذا اخترقت لها النمسا منفذاً الى بحر الروم ونال نسيبنا غليوم نصيباً من خط بغداد لم يرتكب إثماً . اما نحن معاشر الانكليز فلا نطلب شيئاً ولا نبطن سراً بل جل ما نسأل ان يعترف لنا القوم بقانونية موقفنا في مصر وقبرص وان يكلوا ادارة سورية الى دولة متحايدة يرضى عنها المسلمون لان لنا فيها صلات رحم وجوار وحقوق نستمدها من التفاف العدد العديد من المسلمين حولنا »

فساء هذا القول « الطان » والجرائد الفرنسوية الكبرى واعلنت ان لفرنسا في سورية حقوقاً سياسية لا يمكن ان تتخلى عنها ومرافق اقتصادية لا تقبل نظيراً

وكان بينهما جدال يشف عن حقد مرة وعن سابق عهد مرة اخرى

والذي استقرته آذان الباحثين ووعته مسامع المنقبين ان الدولتين الغربيتين لما تفاهمتا بعد طول عهد الجفاء سنة ١٩٠٤ تعاهدتا ان تعضد فرنسا مركز الانكليز في مصر وان تسند انكلترا موقف الفرنسيس في مراكش وان لا تعارضا ايطاليا في طرابلس وعممتا سنة ١٩٠٦ اتفاقهما الاول الى كل مشاكل بحر الروم واقرتا ان تمنعا من الوصول اليه كل من لم يكن له قدم سابقة فيه وتناول الاتفاق الثاني امر سورية وفلسطين فاختلف الرأيان وتباين هنا المذهبان وعرض فريق ان تعترف فرنسا لانكلترا بارجحية المصالح الانكليزية في فلسطين عَلَى شرط اعتبار انكلترا مركز فرنسا ممتازاً في لبنان وسورية ولم تقر الدولتان على امر ام هما اقرتا عليه ولم يزل مكتوماً تضن به حنايا الضلوع والناس للامر الثاني اميل واقرب لان سياسة الدولتين واحدة في كل

انحاء المعمور . ثم تعزز اتفاقهما سنة ١٩٠٩ يوم تفاقمت الازمة المراكشية على عهد الوزير الخطير كليمانسو وذهبت فئة قليلة انه تحول الى تحالف هجومي دفاعي واقامت على ذلك الادلة فاعادوا البحث بشؤون سورية وجزموا على ضمانة الحالة الحاضرة وتأييد واحترام السلطة الحاكمة العثمانية في كل مكان وفي سورية خصيصاً وان يكلوا للزمان حل الخلاف الطارئ بينهما . ولم يكن بالحسبان امر ظهور داهية البلقان فرديناند بهذا المظهر الرهيب في مثل هذا الوقت القريب ولا مثول المسألة الشرقية بثوبها الحاضر على مسرح السياسة اليوم

اما وقد كان ما كان فكل من الدولتين تعد للطوارئ عدتها وتثب للامور والحوادث وثبتها . ولذلك ظهرت طلائع القوتين البحرية في مياه بيروت

ها هم باعوا جلد الاسد قبل قتله والاسد لم يزل حياً ولقد مرت عليه ازمنة اشد وطأة من الزمن الحاضر وكثيراً ما اعتبروه ميتاً ثم ثابت اليه روحه وعاد شبابه فزأر فرجعت عنه المطامع الى بعد الف ميل

ومن يجزم انه لا يستعيد نشاطه فهو مغرور والزمان ابو العجائب

واعتقادنا ان دولتنا العثمانية ستدخل بعد المؤتمر اصلاحاً الى كل الولايات وتقطع بالاصلاح علَى كل صياد في الماء العكر حجة التدخل فيروق جو السياسة وتصفو القلوب اذا بقي السوريون من كل المذاهب محافظين على ولائها كما هم اليوم . اما اذا عنَّ على بال فريق ان ينسب فشل الدولة لفريق وقامت فئة تنظر الى فئة اخرى شزراً فالليالي من الزمان حبالى

جبال تمخر عباب الماء وعقبان سابحة في الفضاء وسورية عندهم حديث الصبح والمساء فهل يرجى لاستقلالنا اذا لم تتآلف قلوبنا وتجتمع كلمتنا بقاء؟

النمسا وامبراطورها وولي عهدها

(الخواطر، الخميس في ٥ ك١ سنة ١٩١٢)

مركز هذه الدولة بالنسبة الى عناصرها مثل مركز الدولة العثمانية بل اخطر واشد · يجمع الامبراطور الشيخ تحت صولجانه مثل سلطان العثمانيين عناصر متعددة واتماً مختلفة مبدأ واخلاقاً ومشارب وفي مملكته الالمانيون والسلافيون والتشك والمجريون واليهود وامم اخرى

اما العنصران القويان اللذان يتنازعان النفوذ فيها فهم الالمان والسلافيون

اذا احترم سكان المملكة الواسعة الامبراطور الشيخ وراعوا في حياته مقامه وسنه فقد يكون انهم لا يحترمون الملك العتيد ولا يرعون له حرمة وعهداً

لقد خفقت اعلام هذه الدولة ذات المجد الباذخ القديم على جميع الممالك والامارات والولايات الالمانية المنضوية اليوم تحت صولجان غليوم وكان زمان وقعت هيبتها في قلوب امم الغرب حتى قيض الله على ما سبق «للخواطر» الاشارة اليه للامة الفرنسية جبار الاسرة البوربونية هنري الرابع ومن بعده وزير الخارجية العظيم الكردينال ريشيليو فاقر الاول على خطة اعجب بها الثاني وهي وجوب حصر وانصراف المساعي الفرنسية لخضد شوكة النفوذ النمساوي في الكون فعمل الواضع والمنفذ ومن بعدهما الملك الشمس لويس الرابع عشر وخلفاؤه واله الحروب نابليون وكل وزير مفكر على انفاذ

الخطة حتى اذلوا النمسا وتقلص نفوذها تدريجاً من الممالك الالمانية التي شقت عصا الطاعة وانقطعت لادارة شؤونها بنفسها . وتأتى من جراء ذلك بروز الدولة البروسيانية وظهورها في الارض الالمانية بمظهر المتسيطر المحامي عن حياض الجرمان والبانجرمانيسم فانضمت الامم الالمانية طوعاً او كرهاً اليها والناس كلهم يمشون مع القوي ويعرضون عن الضعيف

ولما رأى الالمان النمسويون ان زعيمة الامم الالمانية هي بروسيا وانهم في النمسا مغلوبون على امرهم مع امم وعناصر متعددة جاشت في صدورهم عوامل الجنسية وحنوا الى وطن كبير يجمع شملهم ويوحد كلمتهم . وكل فرصة امكن بها حل رباط من روابطهم النمساوية اغتنموها وكل عمل زادهم مع اخوانهم الالمان وامتهم الكبرى تمكيناً اتوه حتى صاروا اليوم الى برلين عاصمتهم المعنوية اقرب منهم ومن فيانة عاصمتهم الفعلية

ويقال ان لغليوم ووزرائه يداً بتوليد تلك الآمال والاماني في صدور الالمانيين النمسويين وان غليوم يعضد النمسويين بسياسته وسيفه ويدفعهم الى الشرق العثماني ليعيضهم عما سيطلب منهم في مستقبل الحين

وما سمعت عن العنصر الالماني في المملكة النمساوية يسري على العنصر السلافي ايضاً فأشهى متمنيات هذا العنصر يوم تسلخه امته البانيسلافية الكبرى عن فينا لتضمه الى صدرها الوالدي ولذلك اصبح مركز النمسا بنزوع هؤلاء واولئك الى الخروج قلقاً مضطرباً

ولقد جرى عَلَى ألسنة الناس كلام تفريق وتمزيق يقعان فيها بعد وفاة

امبراطورها العجوز ثم لما رأوا يد ولي العهد بادارة شؤون المملكة حديدية وهمته قعساء ناهضة عقلت ألسنتهم

وولي العهد هذا الارشيدوق فرنسوا فرديناند رجل حزوم جسور مخيف ظهرت منذ يوم صار لكلامه تأثير في الانديـة السياسية دولة النمسا بثوب العنفوان والشدة فلم تعد مع المانيا بمنزلة التابع بل اذا ارادت امراً طلبته بصوتها لا عن طريق برلين وهي اليوم تـدفع السرب عن البحر الادرياتيكي لا حباً بسواد عين الالبانيين ولا حرصاً على عهودها مع العثمانيين ولكن اعداداً للقمة سائغة تبتلعها في مستقبل الزمن



المانيا وانكلترا

(الخواطر ، في ١٠ ك ١ سنة ١٩١٢)

يجتهد المفكرون من الامتين — انكلترا والمانيا — في اقناع الناس وانفسهم ان الوفاق ممكن بينهما والتزاحم وهمي فاذا حسنت النيات امكن التغلب على الريبة العالقة في النفوس ويحاول السياسيون في كل حادث تبريد الافكار القلقة وتسويف المسائل الدقيقة كي لا يتحملوا هم مسوءولية انفجارها

ولكن لا اجتهاد اولئك يروي غلة ولا اهتمام هوءلاء يشفي علة وان هو الا ترقيع للثوب البالي وذر رماد على النار الملتهبة · والترقيع لا يعيد للثوب بهجته والرماد فوق النار تطيره اول نسمة تهب عليه

قطاران افلتا من قيودهما وسارا بسرعة البرق عَلَى خط واحد متقابلين الاول من الجنوب الى الشمال والثاني من الشمال الى الجنوب صاح رباناهما بالناس ورفعا علامات الانذار ، ولكن القوى البشرية عجزت عن توقيف القطارين فالاصطدام حاصل واللقاء رهيب

ذلك لان سنّة الكون أبت ان يتجاور قويان ويتنازع السيادة الكونية والبحارة العالمية طامعان دون ان يكون السيف بينهما الحكم الاخير

وحوادث الكون تأتي كل يوم مصداقاً على ما قلنا من استفحال امر الخلاف ومن وقوف الامتين فقط على المسرح دون سائر الممثلين يتلاعبان

براحة الامم وحرية الشعوب

علم قراؤنا مما كتبنا في مقالات عديدة لنا سبقت ان الحرب الطرابلسية الحاضرة وما تجره وراءها من ذيول الخراب والشقاء كانت نتيجة اقتسام مناطق النفوذ في بحر الروم بين الدول البحرية المطلة عليه — انكلترا وفرنسا وايطاليا واسبانيا — واتفاقها على الوقوف بوجه كل دخيل يحاول ان يخرق له منفذاً اليه ولكن فاتنا وفاتهم ان ايطاليا اكرهت على اشهارها تحت ضغط الحوادث بوقت كانت هي احوج الى الهدوء والسكينة بالنظر لضعف جيشها واميل للاكتفاء بما عرض عليها من المنافع الاقتصادية لقلة مواردها ولكن لما وصل المثلان بالتمثيل الى طرابلس ادركت ايطاليا ان هي تقاعدت يوماً عن العمل ذهبت احلامها هباءً منثوراً

ويقال ان مخابرة دارت قبل اشهار هذه الحرب الغاشمة بين الالمان ودولتنا العثمانية على ان تستأجر الاولى من الثانية طرابلس الغرب لتجعلها لها محطة بحرية تلتجئ اليها اساطيلها ومراكبها وترامى الخبر على ما يروى الى سفير ايطاليا في برلين والى الحكومة الانكليزية بوقت واحد فانذر السفير دولته واخطرت انكلترا رومية ان تفعل والا اضطرت (اي انكلترا) لاحتلال طرابلس حتى لا تجاور المانيا مصر وترسخ لها قدم في بحر الروم فخافت ايطاليا ان تفوتها الفرصة السانحة وحركت الفيالق والاساطيل وانساقت الى حرب لا يدري مصيرها الا الله

وسوف لا تذوق الانسانية الراحة ولا تعرف جفونها طعم الكرى ما

دام الخلاف بين الالمان والانكليز لم يحسم على وجه قطعي لان ما كان هنا قد يكون هناك ولان النسر الالماني يستحيل عليه ابقاءه في القفص الحديدي الذي وضعته فيه انكلترا ولان هذه يشق عليها التسليم بان تراه سابحاً في فضاء بحر الروم ، وبحر الروم هذا واسطة عقد اجتماع القارتين وطريق السويس والهند والصين حيث النفوذ الانكليزي غالب والعلم البريطاني خافق تستظل به الملايين



مؤتمر لندره

(الخواطر ، الخميس في ١٢ ك ١ سنة ١٩١٢)

• قضي الامر والقوم صاروا جلوساً حول البساط الاخضر

هم اليوم او غداً ضيوف ابناء التاميز او اسراء دهائهم يرتجون للعواطف

الثائرة في الجو الادبي حلاً ...

وما العواطف الثائرة والمطامع المكشرة الا بنات خلل الادارة العثمانية

المستمر وانصراف الافكار عن الوطن الكبير الى الوطن الصغير في بلادنا

والأ لو مشينا مع الزمان لما والى وعاهدنا الدهر حين اقبل لماخدش الاذان

اليوم صوت بلغار و يونان وسرب وروماني ولما عرف الناس للمسألة الشرقية اسماً

أما وقد كان ذلك القدر فالعاقل من نظر الى الخطر بملء عينيه ودفعه

بالحزم والصبر قبل ان يصير آخر الادواء الكي

جلسوا ام هم بعد هنيهة جالسون فهل اقروا ان تتناول ابحاثهم المسألة الشرقية

كلها ما فتح منها وما اغلق او هم يحصرون المذكرات بما اثارت الحرب الحاضرة منها

نحن اليوم بل من كان اكثر وقوفاً منا على غير علم جازم لان الحوادث

تسوق الرجال بهذه الاوقات الحرجة والرجال يعجزون عن تقييد الحوادث

جرائدهم مشكاة الهدى و كشافة الاسرار باشعة راتنجن من اعماق

الصدور لم تجزم باحدى الحالتين فكيف بنا نحن في هذا البلد النائي

هي كميزان الزئبق يؤثر بها ثقل الهواء ام خفته فاذا تجلد العثمانيون

وثبتنا قالت: وقوف بالحديث عند مسائل ثلاث البانيا والمضايق وجزر بحر

« ايجه » وان زحزح البلغار يون مراكزنا صرخت: بل موئتمر عام تشمل مباحثه الاستانة ومركز العثمانيين في الشام والاناضول والعراق

اما اليوم فقد كفانا وكفاهم ثبات جنودنا الابطال في « شاتلجه » موءونة الكلام عن فروق عاصمة الملك فلا هي داخلة في المباحث ولا هم متعرضون الحمد لله ثم الحمد لله

والمضايق تجر وراءها ذيلاً طويلاً وقد تكون سبباً لفتور في العلائق بين الروس والانكليز وقد يبقون بازاء الخطر الالماني متضامنين

اذا اشترط الروس في الموئتمر العتيد فتح المضايق فلتمر فيه اساطيلهم وحدهم بايام السلم والحرب لا ليروا مراكب الانكليز والالمان تمخر ذهاباً واياباً فيها . والانكليز ومثلهم بل اشد اليوم الالمان يفضلون بقاءها مغلقة العمر كله على استئثار الروس بحرية المرور

ويسهل على القوم اتفاقهم بقضية بحر «ايجه» وجزره لان الرأي الانكليزي والايطالي فيهما غير متناقضين بل متفقين على ان لا تدخل تلك الجزر بملك دولة كبيرة وفي غير ذلك سواء عندهما بقيت هذه الجزر عثمانية ام صارت الى ممالك صغيرة ام جعلوها امارة ترعاها وتكتنفها الدول الست

اما مسألة البانيا فعقدة مهمة او هي شر بط حرير طرح على سياج من الشوك متى وصلوا بالبحث اليها برز التنافس الروسي النمسوي باقوى مظاهره في الموئتمر العتيد

تهوى النمسا البانيا مستقلة (لتغنم الفرص في مستقبل الحين على ازدرادها) ويهوى الروس ان يخرقوا لابنائهم السربيين منفذاً الى البحر الادرياتيكي

وما دامت الحالة تلك كيف تتوفق مصلحة النمسا واستقلال البانيا على مرفأ يناله السرب في الادريانيك لا تطوله يد خصومهم بالشدة والرخاء . وبين السرب والبحر البانيا هذه التي وصفنا ؟

لشد ما قدحوا زناد الفكر قد وجدوا في برلين لهذه المشكلة الدقيقة حلاً مرضياً والاعتقاد برضى الروس عنه غالب بين الالمان

اقترحت برلين — وقد اعترفت من قبل مبدئياً بحاجة السرب الى مرفأ حر — ان تصير الطريق والارض القائمة على جانبيه من السرب الى ذلك المنفذ دولية تملكها الدول كلها وترعاها كلها ولا يكون لاحداهن فيها ارجحية وسلطة

ولكن هل يرتاح الروس فعلاً لهذا الحل وهم التائقون لغسل ما لحق بهم من الغضاضة بحادثة البوسنه والهرسك والمشوقون الى مركز مهاب تقف جنبه صدور ابناء جنسهم السلافيين في النمسا دروعاً ؟ سيما والدفة في بلادهم لم تبق بيد وزير الخارجية السلمي «سازانوف» بل على يمين هذا جلس هارتويغ وميوله الى امة سلافية متوحدة مشهورة

وما قيل عن الروس يطلق على النمسا وبين في فينا ليس لبرختولد الوزير بالامور الخارجية القول الفصل بل هنالك ولي العهد الارشيدوق فرنسوافرديناند المخيف بقاسمه الادارة وكثيراً ما دفعه عن الدفة لينفرد بتسيير الفلك كيف يريد

ولعل المؤتمر الذي تكل فيه الدول الى مندوبيها النظر بكل هذه المسائل يحصر الكلام بامضائه فلا يبقى للخوارج عنه سبيل للتأثير فيه فيسود السلام ويحل محل الخصام الوئام والله عليم بذات الصدور

بين الامس واليوم

(الخواطر ، الثلثاء في ٢٤ ك ١ سنة ١٩١٢)

هبوط وارتفاع ، وذل وامتناع ، وقنوط ورجاء ، واشجان وعزاء ، تلك كانت حالتنا بهذه الحرب

وقفنا والاعداء في « لولو بورغاش » ذلك الموقف الرهيب فقال المحب وقال العذول اما انتصار يبقي لهذه الامة رمقاً والا فالموت من وراء الانكسار

وقضى الله ان تتزحزح الصفوف العثمانية فهلعت القلوب وارتخت العزائم ولما لفظت مدافع العدو حكمها الاخير فتح التاريخ كتاب الوصية وقال : سلام على الراقد في اللحد

وكان صباح وكان مساء سمعت العاصمة اصوات الفيالق البلغارية وشاهدت ضفاف البوسفور نيرانها في الليل توقد فترجرجت صفوفها واضطرب سكانها وضيوفها وعرفوا ساعة عميت فيها البصائر وجفت عاطفة الحب في قلب الزوج ونضبت موارده في فؤاد الحبيب وراح كل يهيم في واد لا يلوي على امر ولا يقف ولا ينتظر الا شيخ قوس الدهر ظهره وبيض الشيب لمته ظل هازئاً بعاديات الزمان لم ييأس ولم يضطرب ولم يعرف الخوف من قلبه مكاناً

ظل هذا العجوز من وراء منضدته يعالج كليات المشاكل وجزئياتها ويبحث في الامور واسبابها رصيناً وقوراً غير قانط ولا مستسلم للاقدار حتى حير العقول . ولما اتاه احد فتيان السياسة الاجنبية مؤاسياً مستطلعاً راهنه

انه يعيش حتى يرى الشاب مدرجاً في كفنه

لذلك الرجل الحكيم علم ما تظهر الضمائر وما تضمر وما تطوي السرائر وما تنشر

ادرك ذلك الشيخ العجوز ان «فينا» لا سيما في زمن ولي العهد لا ترتاح الى ظهور قوة في البلقان قاصمة وسلطة عسكرية سلافية علَى حدودها غالبة خصوصاً اذا حاولت الدنو من البوسفور وايقن ان غليوم وامته يحفلان من قيام امة صقلبية كبرى تضم تحت لوائها كل العنصر السلافي وتحول دون بلوغ الالمان الى ما نووا وما قصدوا واستشعر ان الفرنسيس والانكليز لا يجازفون بسلام العالم وراحة الامم لنصر تحرزه السرب في سواحل الادرياتيك او مركز يكسبه الروس ويرجون به في المستقبل البعيد خيراً

واحسّ ان دون اتفاق البلغار واليونان وتآلف قلوبهم والتحامها عقبات كأداء وان هي الا نار تحت الرماد كامنة اذا هبت اوقدت جذوتها في الصدور

ولذلك بقي يوم اضاع الناس رشدهم آمناً باسماً ضاحكاً كمن مسه جنون او ذهول

ولقد كان ما حسب الشيخ وما قدر فلما أطل البلغاريون على الاستانة وامعن السرب واليونان بالفتوح غمزت «فينا» الزر الكهربائي فتحرك الجيش وصاح من ورائها وزير الالمان نحن واضعون سيفنا في كفة الميزان وما هي الا عشية وضحاها حتى خرست المدافع البلغارية واعتدلت الشروط ورغب الناس عن العداء الى صلح يعقبه حب وولاء

وبين صبح وأمسه ثار ثائر التنافس بين المتحالفين وكمت افواه الحساد
ورأى الكون حادثاً غريباً يابه وحيداً من نوعه: امة مغلوبة على امرها يتسابق
لخطب ودها من بالامس عنها اعرض ويعمل على ضمد جراحها من اثخنها
ضرباً وجراحاً وجنود ظافرون كادوا يملكون الغاية التي ترمي اليها مطامعهم
ثم ارتدوا عنها خاسرين! مدهش غريب امر هذه الدولة: كشفوا عن
جذورها التراب واثاروا من حولها ريحاً صرصراً ولما هزتها عادوا يتعهدونها
بالسقاية ويمدونها بالنصائح والمال وخاطب لاجلها قومه مستشار غليوم: «هي —
الامة العثمانية — بنظرنا نحن الالمان عامل من عوامل التوازن الاوربي مهم
وكذلك يجب ان تبقى» وتمنى لها على الاثر كبير وزراء الفرنسيس ان تعود
الى مكانها في المجتمع الكوني بعد عقد صلح شريف

نعم بين امس واليوم تبدلت والحمد لله الحالة وانقلبت الادوار فالنمسا
عاملة على خضد شوكة البلقانيين ونقض نفوذهم وان قدرت على حرمانهم ثمرة
انتصاراتهم لا تتأخر والمانيا تسند ظهرها وتشد ازرها حتى لا تقوم في الشرق
الاوربي امة تحبط المقاصد الالمانية والانكليز والفرنسيس لنا محبون والبلغار
واليونان خصمان متباغضان متحاسدان الى يوم الحشر . فهل يفسح الزمان
لذلك الرجل الشيخ الاجل ليقوم باصلاح صحيح يصلح ما فسد من امور هذه
الدولة وما اعتل؟

وهل يذعن للحق من صور الحرب جهاداً دينياً اقرّ به حملة الانجيل على
اقصاء المسلمين من ارض يافث ونسله ؟

وهل يقوم في ذهن رجال الدولة والمؤثرين على مجرى الاحكام فيها

ان سن الانظمة او نسخ الافرنج فيها لا يغني فتيلا ولا يروي غليــلا اذا لم تـكن النفوس قابلة تلك القوانين والارض مهيأة مستعدة لها واذا لم تنشأ القلوب عَلَى حب المساواة والاقتناع بها ؟

وهل يدور عَلَى خلد المسلمين ان ائتلاف القلوب لا يتم ان بقيت لفريق على فريق آخر ميزة وارجحية او اعتقاد بميزة وارجحية

تلك اسئلة نلقيها واشهى ما نتمناه ان تجيبنا الحوادث عليهـا بالايجاب ولكن واحرّ قلباه يغلب ان يصيبها غداً كاليوم والامس النفي والسلب



مواطن الداء والدواء

والمسألة الاسلامية المسيحية

(الخواطر ، الثلثاء في ٣١ ك ١ سنة ١٩١٢)

لا توسيع المأذونية يفيد ولا اللامركزية تجدي نفعاً ولا بقاء السلطة منحصرة في العاصمة ينقع غلاً ولا المستشارون الاجانب الاختصاصيون يغنون فتيلاً ما دامت في البلاد مسألة مسيحية اسلامية

المسألة موجودة ومن انكرها فهو مغرور جاهل او عن الحقيقة يتعامى ومن نظر اليها بملء عينيه وعالجها بالرأي المخلص السديد فهو عندي ذلك الوطني الصادق

نحن في منعطف من التاريخ لا نملك فيه الخيار بكتم الحقائق والباسها لباس الرياء والتصنع وكل يوم تمر امامنا حوادث داخلية وتقلبات خارجية تهيب بنا الى اماطة النقاب عن وجه تلك الحقائق ونزع اللثام ليراها الناس كما هي في هذا الوطن العزيز قبل فوات الوقت

نحن نخاطب العقول الصحيحة التي لم يعم التعصب بصائرها والقلوب السليمة من الغل والحقد ، والصدور النقية من ادران الجهل . اما من ابتلاه الله بنظر شحيح لا يرى الى ابعد من انفه فلا شأن لنا به وما اياه نخاطب

قلنا المسألة موجودة — المسيحية والاسلامية — وهي لا شك كانت السبب الظاهر الذي انتحلته الدول الكبرى والصغرى للتدخل بشؤون الدولة وتجزئتها . ولو عرف القابضون على زمام الامر منذ عهد الله اليهم ادارة

هذا الملك الضخم مداواتها لبقي الهلال خافقاً بغنج ودلال في شرق اوربة كله وعلى ضفاف بحر الروم حتى الهند

ومن انكر ذكرناه بالمقاطعات الواقعة على ضفاف الدانوب والتي تتألف منها اليوم المملكة الرومانية واليونان فالسرب فالجبل الاسود فالبلغار فالبوسنة والهرسك فساموس وكريت وألبانيا ومقدونية وسائر الولايات التي اقتطعتها منا هذه الحرب واسماؤها اطول من شهر الصوم

ولا نقول تونس والجزائر ومصر فلخروج هذه من يدنا اسباب اخرى تجتمع بالاسباب التي نشرح اليوم عن اصل واحد هو الجهل

اقتطعوا تلك الممالك والولايات من جسم الدولة العثمانية بحجة المسيحيين وما كانوا يلاقونه من صنوف الاضطهاد والعذاب وما كانوا يتجرعونه من غصة التسلط والاستئثار بالامر فمن دافع منها عن استقلاله وكان بالحياة خليقاً استقل ومن كانت اخلاقه معتلة قيدوه واستعبدوه

وستظل اوربة تتذرع بهذه الوسائل وأماني المسيحيين في العالم كله ترافقها حتى تصح التربية الوطنية او يقضي الله بامره

اما المسألة فتدور حول الشعور الاسلامي المسيحي في البلاد الذي قضى فيها حسن حظ او سوء حظ الدولة ان يعيش المسيحي والمسلم جنباً لجنب

المسلم نشأ وتربى على اعتقاد بميزته وسيادته واعتبار المسيحي من طينة غير طينته وقلب المسيحي يجفل وينكمش لمجرد ذكر هذه الارجحية والسيادة ويعتقد انه ارقى من المسلم علماً وخلقاً وكلاهما ينظر الى الاخر شزراً

الواحد يعتبر ان البلد بلد آبائه واجداده رسخت فيها بحق الفتح قدمهم

منذ ١٣٠٠ سنة فاذا شاء اقصاء الاخر عنه فعل وان غض النظر عد محسناً والاخر يستغرب امر انكارهم الملكية وسواغيتها بل يعتبر امر بحثهم فيها اهانة له وتحقيراً

الاول يتصور ان سياسة الملك خصت به ويحسب تدخل الغير فيها فضولاً وتطاولاً وفي صدر الثاني تجيش عوامل الحقد لانهم يبعدونه عنها فكيف يمكن ان يتفاهما و يتعاونا ؟

المسلم رضع حب الاثرة مع الحليب واعتاد وتأبى اذناه ان يلقب بغير كلمة المولى والسيد والمغيث والمنجد، والمسيحي لا يرى بعد في هذا الجيل ان يعطي مخاطبه غير لقب الاخ والصديق

مرت قرون واجيال كان الذمي يرضى من الغنيمة بالاياب فاذا ردّ عليه السلام او اقتنى بدرهمه ملكاً او اطلق عليه لقب معلم او جاز له ان يركب الصافنات حسب نفسه سعيداً ولكنه كان يتربى على بغض مواطنه المسلم و يلقم بنيه هذا الشعور و بقوا و بقينا كل منا ينشد في هذا البلد ضالة و يطلب مطلباً حتى اتانا عن طريق اوروبة علم الحقوق والواجبات و كشف النور عن العيون عصابة الوهم والخوف وضعفت هيبة الدولة ورقي علم الاخلاق فصرنا نعتبر سكوتنا وسكوتهم عن ذلك الشعور جبناً و بقاءنا و بقاءهم عليه فظاعة ما بعدها فظاعة

نحن وهم ابناء عنصر واحد ولغة واخلاق وعادات واحدة فاذا تآلفت قلوبنا دفعنا عن الدولة خطراً واذا لم تلتحم فالخطر موجود

فاذا احب المسلمون ان يحبهم والدولة المسيحيون وان يتعاون الجميع على

انهاض الدولة من كبوتها، عليهم ان يعتنوا بتربية شعورنا وشعورهم على قاعدة المساواة التامة المطلقة

ما لنا وللمركزية واللامركزية اذا لم يكن شعورنا واحداً وتربيتنا واحدة وعواطفنا تنمو نمواً واحداً بل قد تكون اللامركزية اشد ضرراً ومدعاة الى تنفير القلوب اكثر مما هي عليه الان لان كثيرين من المسيحيين يعتقدون ان الاتراك اقل تعصباً او اكثر تساهلاً من مسلمي العرب فاذا افضت الحال ان يحكم في البلاد مسلمها الوطني زادت في القلوب حفرتها وزاد نفارها

تحتاج القلوب الى خيال وطني تهواه وتعمل له وانزال الاجانب منزلة هذا الخيال من قبيل ذر الرماد على العيون ولذلك رأيت المهاجرين بين الاقوام الراقية يفاخرون بعثمانيتهم ويعملون لها ولو كانوا لا يعتمدون عليها ونحن كلنا نتمنى ان يكون لنا وطن تذب عنه دماؤنا وتفتديه ارواحنا لكن اذا علمونا حب الوطن وعرفوا كيف يربى الشعور الوطني



رومانيا وبلغاريا

توسط اوروبا بينهما

(الخواطر ، الثلثاء في ١٨ شباط سنة ١٩١٣)

رومانيا وبلغاريا امتان بلقانيتان ان جمعهما المذهب فقد فرقتهما السلالة والمنازع

الاولى تنحدر من اصل لاتيني بل هي بقية الفيالق والكتائب والمزارعين الرومان الذين اقرهم الامبراطور «تراجان» الروماني سنة ١٠٥ في شرق اوربة حيث هي اليوم والثانية نازلة من صميم العنصر السلافي الكبير

والاثنتان اذلهما الهلال وخفق في ربوعهما قروناً واعصراً ودفعتا الجزية له عن يد وهما صاغرتان

اما الخلاف الذي سمعنا انه بينهما يتعاظم اليوم فيرجع الى عهد خروجهما من الحكم العثماني ولقد سبق لاروبة ان تدخلت فيه من قبل مرتين لانها تعتبره اوربياً اكثر منه بلغاريا رومانياً والراجح انها الان تعود الى درسه وحسمه حرصاً على سلامتها

يطلب الرومان من جيرانهم اربعة الاف كيلو متر مربع حول ضفاف الدانوب جزاء سكوتهم وملازمتهم الحياد . وبينها بلدة سلستريه ذات الموقع الجغرافي الحصين . ويعرض البلغار ثلاثمائة كيلو متر مربع لا غير لتصحيح الحدود مع بعض امتيازات ينفحون بها الرومان المقيمين بارضهم البلقانية الجديدة . والفرق كما ترى كبير بين الامتين يخشى معه ان يغنم

الرومان فرصة اشتباك العساكر البلقانيـة مع العثمانيـين ليقضوا من جارتهم لبانتهم وينالوا امنيتهم ولكن هل يفعلون ؟

انهم اذا فعلوا عرضوا السلم العمومي لخطر اكيد قريب لان الامة الروسية تعتبر نفسها قيمة على بلغاريا وزعيمة مسوءولة عن سلامتها فمن تعرض لها طعن الروس بصدورهم

وكان بين الامتين وفاق عسكري سنة ١٩٠٢ زاد روابطهما متانـة وصلاتهما احكاماً فاذا حاول الرومـان ان يقوموا بعمل عدائي ضد البلغار ولا سيما اليوم اضطربت الامة الروسية كلها في المزارع والدساكر والقرى والمدن وثارت خواطرها فتغلب ارادتها عَلَى ارادة قيصرها السلمي فيخطر غير باغ ولا اثيم ان يغزو رومانيا

ولما كان بين رومانيا وجارتها القوية النمسا اتفاق عسكريـ ايضاً يوجب عليهما التضامن اذا هجمت روسية على احداهما ارغمت النمسا ان تقف جنب رومانيا في مثل تلك الحال واكرهت فرنسا وانكلترا والمانيا وايطاليا ان تتدخل فيكون ما يسميه الالمان حرب الكل ضد الكل

فهل من صالح رومانيا ان تضرم نار مثل هذه الحرب وهل تنتظرهـا اوربة مكتوفة اليدين ناعمـة البال او هي تعمل كما عملت سنة ١٨٧٨ على توفيق الفريقين ؟

الخلاف كما سبق القول بين الامتين خلاف اوربي ولقد وضع «وادينتون» معتمد فرنسا في موءتمر برلين حلاً نهائياً على قاعدة الحاق سلستريا القائم الخلاف عليهـا اليوم برومانيا وعضده معتمد النمسا وايطاليا وعارضه

المعتمدون الروس ورجح كفتهم بسمرك فقال : اني بـين عاملين يتنازعانني عامل الميل لامة يحكمها امير من البيت الالماني وعامل الحرص على السلم العمومي ولكن العامل الاخير هو الذي يجب ان اعتد به ولذلك اضمها — سلستريا — الى بلغاريا . وكان ما قال بسمرك وحتم ذلك الرجل العظيم ان تضع خارطة الحدود لجنة فنية اوربية وباشرت هذه اللجنة عملها ولم يتيسر لها اتمام العمل لخلاف وقع بـين اعضائها وانسحاب المعتمد الرومي منهـا وبقيت سلستريا بلغارية وظل الخلاف عليها قائماً وحجة الفريقين بها طويلة مملة

فلا مندوحة ولا غنى لاوربة عن ان تمد يدها لتفصل الخلاف ولو الغى عملها الحاضر احكام مؤتمر برلين او غيّر به بعض التغيير

ولقد مدت اوربة يدها غير مرة لذلك المؤتمر وعدلته مرتين سنة ١٨٨٠ لما رفض الالبانيون تسلم الجبل الاسود الارض التي شاءت اوربة ان تعطيها له وحورته وغيرته سنة ١٨٨١ يوم تصحيح حدود العثمانيين واليونان وقلبته بطناً لظهر سنة ١٨٨٦ لما وافقت على ضم الروملي الشرقية الى بلغارية سنة ١٨٠٩ وصدقت على الحاق البوسنه والهرسك بالنمسا فلا يعقل انها تحرص عليه في سنة ١٩١٣ بعد ان كاد يمحى اسم العثمانيين من خارطة اوربة وبعد ان ذابت الـ ٢٢١ الف كيلو متر مربع الـتي ابقاها لهم مؤتمر برلين او اوشكت ان تذوب

لا يحول دون تدخل اوربة بين الرومانيين والبلغاريين الا خوفها ان لا تـكون متحدة ومنزهة وخطر اضطرام نار الحرب بينها ينزهها عن الحالين

عبد الحميد

(الخواطر ، الثلثاء في ٢٥ شباط سنة ١٩١٣)

نعم ان الخليع لداهية ولكنه دهاء لم يبذل في سبيل غاية بعيدة

فاز الرجل بخطة وضعها لنفسه واخفقت الامة بها من بعد بل قضت خطته عَلَى بلده وليس ذلك شأن النوابغ

سارت فرنسا في سياستها الخارجية من القرن السادس عشر حتى سنة ١٨٧٠ عَلَى خطة وضعها هنري الرابع وريشيلو الكردينال العظيم ونالت بها غنماً

وتبعت روسيا وصية بطرس الاكبر وكاترين ولم تزل

والمانيا تتمشى على طريق بسمرك لا تحيد قدماً يميناً وشمالاً . اما عبد الحميد فمسلكه في السياسة العمومية شخصي زال بزواله ومنهجه في المسألة الارمنية اعوج ملتوٍ قضى به عَلَى سياسة الدولة التقليدية وجر الشقاء

عشنا معاشر العثمانيين والفرنسيس والانكليز عَلَى صداقة وولاء وجمعتنا واياهم روابط ان لم نسمّها عرى تحالف فتضامن ابعد اجلاً وافصح مغزى حتى مد يده اليها الخليع ففكها عروة عروةً بسياسة خرقاء اتبعها في المسألة الارمنية وباعراض عن الانكليز مقصود نتجرع من اجله غصة الموت اليوم . والانكليز كما عرفهم الناس اذا غضبوا يرهبون فلا تلمهم اذ بدا لك منهم جفاء او رأيتهم حيارى او خلتهم يتعمدون بنا الايقاع لان الخليع سقاهم الكأس حنظلاً من سنة ١٨٩٠ الى سنة ١٨٩٦ والنوم على الضيم والاغضاء ليسا من مميزاتهم .

كان لهم من معاهدة قبرص (التي بموجبها استلموا الجزيرة) امران

واجب وحق

اما الواجب فضمانة السواحل العثمانية في آسية الصغرى من كل اعتداء واما الحق فمطالبة السلطان بادخال الاصلاحات المقررة في مؤتمر برلين الى تلك الولايات

واذا قلنا آسية الصغرى عنينا الاناضول وولاياته الواسعة الممتدة من ابواب الاستانة الى دجلة والفرات

بقطن هذه الولايات كما لا يخفى ثلاثة عناصر : الاتراك والارمن والاكراد او على ما يقول العارفون عنصران لان الارمن والاكراد يرجعان الى اصل واحد وان اختلف المذهب

ولقد رأوا لهافي مؤتمر برلين رحمةً بالارمن وضناً بهذا العنصر الناهض بعض اصلاحات وكلوا الى الانكليز امر المطالبة بها وادخالها فقبلت انكلترا والغنم بقدر الغرم

اما عبد الحميد فوعد علانية ان لا يبر وحاول يوم امضى الشروط له منها فكاكاً

اعد الداهية لامته التركية خطة لو كانت في غير هذا العصر لاتت بما توخى لهامن الخير ولكن التصور بامكان صيرورتها اليوم والاثير ينم للغرب عن الشرق بلحظة عين والهيبة زالت والعدو على باب فروق رابض غرور وذهول

احس الرجل ان موقف الاتراك في اوربة قلق بل ان بقاءهم فيها متعذر ولو حرق الارم فاقر عفا الله عنه ان يبني لهم ملكاً خاصاً ويوطد لهم دعائمه وان شئت فقل ان يعيدهم الى ارض ابائهم واجدادهم بعد ان يكون قد طهرها من

كل نبات دخيل

وما النبات الدخيل وما العثرة القائمة في وجه صفاء الجو واستقرار راحة الاتراك الا الارمن وهم شعب ناهض فنوى السلطان ان يمحي الارمن من خريطة الوجود او يدخلهم بالاسلام عن يدٍ وهم صاغرون

ولقد تسنم العرش ولم يرَ حوله الا الانكليز والروس يتشاورون وسائر الدول بشغل شاغل عنه · فالالمان عملاً برأي وزيرهم الناطق : لعظام جندي بروسياني عندي افضل من كل ما حواه الشرق ، معرضون · وللنمسا مطامع في البلقان صارخة · وفرنسا لم تغتنم الفرصة السانحة فاضطر الرجل ان يحصر اهتمامه بالدولتين الاولتين وان يدير سياسته على محور اختلافهما وتنافسهما · فطوراً يجنح بكليته الى الانكليز وتارة يرمي نفسه في اذرع الروس حتى بان له الخيط الابيض من الخيط الاسود بمنازعهم ومراميهم فآثر الروس وولى الانكليز ظهره

ومن انوى ما نواه الخليع احتاط للامر واعد له العدة والروس على ضرب الارمن يساعدون والانكليز اذا قدروا يمنعون لذلك انكر حماته بالامس



ما وراء هذا المنعطف

(البرق ، السبت في اول اذار سنة ١٩١٣)

اخي بشاره ، (١)

لقد عرضت عليَّ صدر « البرق » لتفهم هذا الملأ من الناس اننا نحن ايضاً معشر اللبنانيين لعلى تفاهم وتعاطف

لست من المتفائلين بمصير الاحوال ولو قامت على فساد رأيي الحاضر الادلة والبراهين . اما ما ترى من امتزاج القوم في درة تاج آل عثمان الان وعملهم المبرور لازالة سوء التفاهم الذي اوقفهم عند هذا الحد فوقتي عندي الا اذا كان جواباً علَى مقالتي « الخواطر » الصادرتين تحت عنوان : مواطن الداء والدواء ، فان كانَ ذلك فبه والا فالرجوع الى شعورهم الماضي وتخاذلهم المعروف اقرب

اما لبنان فكما ترى وسيبقى لان شعبه يعلق كل امله على الحاكم والحاكم وان حسنت نيته لمعذور بما يشاهد من آثار الاضطراب والتضعضع في الحكومة الرئيسية ولان المصلحتين متباينتان لا يسعه معها الا التردد والتربص من آونة الى اخرى

اجيز للبواخر ان ترسو في ميناءين من الجبل فهل لك ان تقول لي ما عملناه في سبيل تعزيز المصلحة اللبنانية للاستفادة منهما ؟ وان قلت ان مجلسنا

---

(١) الاستاذ بشاره الخوري صاحب جريدة « البرق »

يتذاكر في الميزانية الكبرى اجبت ان هي الا حبر على ورق او ان شئت فتمهيد لبحث يتناوله البروتوكول العتيد بعد خمس سنين

اني ارى من وراء منضدتك فريقاً من اخواننا اللبنانيين في دار هجرتهم يهز الكتف استخفافاً بنا عندما يقرأون مـا كتب فالى ذلك الفريق اوجه الكلام . ان بين القول والعمل بوناً شاسعاً فاذا رأوا ما نرى وعرفوا ما نعرف انصفونا ومن بقي منكراً سألناه ان يشرف البلد اللبناني ليتولى بنفسه زعامة القوم على ان يقوم بعمل كبير تعجز عنه مدار كنا القاصرة او يؤمن بما آمنا به

بقيت مسألة القضاء والقضاء مستودع الحقوق ومقر العدل فاذا توفق الحاكم وتوفقنا لتقويم القضاة وتنظيم المحاكم على شكل يضمن للناس الكرامـة ويـدفع استئثار اهل النفوذ ويمنـع الحيف عن الفقير حق لنا القول انا — بين الامم التي تضحي الضحايا الهائلة لتنال من الحياة بغيتها — اتينا عملاً يستحق الذكر في هذا الدور الحاضر والا فدعنا نلهو بصغائر الامور وسفاسف الاقوال الى ان يقضي الله امراً و يلفظ القضاء حكماً



بيـــــــان

(الخواطر ، الثلثاء في اول اذار سنة ٩١٣)

وضع دولة متصرف لبنان اعزه الله ثقته بكاتب هـذه السطور فعينه قائمقاماً على وطنه زحلة فاصبح من الواجب الرئيسي ان انقطع عن خدمة الامة في عالم الكتابة الى خدمتها في عالم القانون . فانا في الحالتين خادم ، وجل ما ابتغيه من نفسي ان اجيد الخدمة واكون نافعاً للامة التي انا منها . غير انني منذ اصبح الواجب يقضي علي بالانقطاع عن الكتابة توفيراً للوقت الذي يجب ان لا يصرف في غير القيام بمهام الوظيفة التي اسندت الي بدأت اشعر في داخلي بوجد مؤلم هو وجد المفارق وقد حيل بينه وبين الفه . وها انا و«الخواطر» ما برحنا منذ نشأتها الى الان الفان لا يفترقان فقد اسلت فكري مداداً على صفحاتها وقد صرفت كثيراً من ساعات نومي باحثاً عمّا يليق بها ان تحمله بين سطورها من المعارف الى قرائها وقد بذلت كثيراً من اموالي (والاموال في هذه الديار عزيزة) في سبيل احيائها وقد جعلتها حبل الصلة بيني وبين قرائها ممن عرفتهم في ايامي الماضية فاعادت الي تذكارات مفرحة وزادتني بها اعتصاماً . والان وقد قضى الواجب ان اتركها فانا افارقها مكرهاً وفي نفسي انعطاف عليها وشوق اليها

غير انني سوف لا اهمل امرها بل ساودعها في عهدة من يحافظون على مبادئها ويبذلون عنايتهم في شأن اعلاء شأنها وابقائها نافعة للامة التي تقرأها وسأولي شؤونها من له سابق اختبار في عالم الصحافة والكتابة وستبقى

حرة غير خاضعة لغرض او لحزب او لسياسة غير التي تقتضيه المصلحة العمومية وسوف لا يكون لي ولا لسواي يد في كيفية مسيرها فهي تستطيع انتقاد اعمالي فيما لو جئت عملاً مغايراً للعدل. وانا بدوري استطيع الاقتصاص منها فيما لو نشرت ما يعتبر تجاوزاً للحدود وفي هذه المناسبة وانا اعلن انقطاعي عن التحرير ومفارقتي «الخواطر» لا بد من كلمات اقولها لقراء «الخواطر» ممن يسكنون في هذه المدينة وفي خارجها:

اولا — انني فيما مضى لم اتعمد مختاراً ما كنت اضمره من حسن القصد في ما كتبته في جميع المواضيع التي بحثت فيها فاذا كان قد صدر مني ما لم يرق في عيون سواي فانما صدر ذلك عفواً لغير قصد سيء وهي هفوة لم احتسبها حينئذ هفوة ولا انا عالم بها الان . فانني ما قصدت قط الا ما فيه خير المصلحة العامة بحسب معتقدي . وانا من الذين كانوا وما برحوا يعتقدون ان رقي كل امة موكول بصحافتها الحرة لان الحرية الحقيقية هي بنت الاخلاص وبالاخلاص وحده تحسن خدمة الامة وقد كنت مخلصاً في جميع ما كتبته ونشرته في «الخواطر» على علاته اذا كان ثمة فيه من علة

ثانياً — كانت قد جرت العادة والعادة لم تزل شائعة في جميع مدن الدنيا ما عدا هذه البلاد انه متى نصب حاكم في بلد ، ينصب ذلك الحاكم على مرأى من اهالي المحلة في يوم مشهود فيخطب في الناس و يعلن نياته وما يقصد وضعه موضع الاجراء في مدة حكمه ولما جاء الدستور ابطلت هذه العادة و كانت مرعية قبله . غير اني اغتنم الفرصة الان لاقول قولي في سياق هذا المقال ليلم ابناء وطني ما يخالج ضميري وما يجول في خاطري مما انوي القيام به لاجل

قوام المصلحة العامة

ان منصب القائمقامية لا يتجاوز في صلاحيته القانونية حد احالة الاوراق الى مراجعها القانونية وتنفيذ القرارات التي تصدر عن المراجع التي انيط بها حق التقرير والسهر على الراحة العمومية وهذا كل ما في الوظيفة التي اشغل كرسيها الان . لذلك ساري بنفسي ان اقوم بهذه الوظيفة حق القيام فلا اؤخر تنفيذ حكم او تقرير ولا اسيء استعمال التنفيذ . واذا كان في الاحكام والمقررات ما لا يريده المنفذ عليه فليس الذنب ذنبي ولا انا الملوم فما دائرتا القائمقامية والاجراء الا دوائر تنفيذ لا دوائر تدقيق في الاحكام وتمييز بل قد يتأتى عن تنفيذ الحكم او القرار الجائر بعض المنفعة لما يبدو من تقبيح الباطل واظهار الحق مخذولاً او مجهولاً بيد الدوائر القانونية

واعتقادي ان ليس في هذا الوادي بل ولا في هذا الجبل العزيز من دائرة يمكن ان يرجى لها منها الخير والمنفعة مثل الدائرة البلدية فالحاكم الاكبر ووكيله وسائر المأمورين لا يقوون على عمل كبير واصلاح مفيد مهم في هذه البلاد التي خلقها الله لتكون مصيفاً ومحط رحال الغرباء مثل الدوائر البلدية ولذلك ارجو ان تشعر دائرتنا البلدية بالمسؤولية الكبرى التي انتدبت نفسها اليها واعاهدها على معاونتها ضمن صلاحيتي وعلى احترام قراراتها وتنفيذها

وامنيتي الى ابناء وطني ان يظل الامن سائداً في جميع انحاء هذا البلد الجميل يستظل بظله ابناؤه الكرام حتى اذا لا سمح الله اختل ما ارجوه من الامن والسلام بين بعض الناس اضطررت للقيام بكل ما يمليه علي الواجب

ثالثاً — بما انني على ما اتيت سابقاً قد خرجت من عالم الصحافة فقد وجب ان اودع الصحافة بكلمات اوجهها الى من كانوا رصفائي بالامس :

انني لا ارى في جميع المناصب المختصة في خدمة الهيئة الاجتماعية ما يفوق المهنة الصحافية شرفاً وجاهاً لانها كما يثبت بالاختبار هي العامل الوحيد على الرقي الحقيقي في الامم والبلوغ بهم الى اسمى درجات السعادة ذلك لان الصحافة عقل بمجموع الامة الذي يسدد خطواتها فتأمن الزلل

ولذلك انني انظر الى من كانوا زملائي بالامس نظرة التكريم والاعتبار على امل ان لا يضلوا السبيل ولا يزيغوا عن الحق وان لا يحيدوا عن الاخلاص فيما سينشرونه من الانتقاد المحلي والخارجي وان يجعلوا القانون دليلهم فلا يخرجون عن حدوده كيلا تكون الصحافة قدوة سيئة بالخروج على القانون

وان لي من رصفائي بالامس ومواطني امس واليوم وغداً انصاراً يتضافرون على نصرة الحق واقامة العدل لننهض معاً بهذا الوطن العزيز ونحله محله من السمو والاعتبار الجديرين بزحلة والزحليين



الوطن

(الخواطر ، الثلثاء في ١٨ اذار سنة ١٩١٣)

كلمة هي عند فريق مجاز وعند فريق حقيقة مقدسة وشعاع سماوي ذلك يدرك لها سراً وهذا لا يفهم للوجود كله بدونها معنى ولا لذة للحياة

اولئك يعتبرون الارض كلها للانسان موطناً فحيثما نزل وجد له زوجاً وصحباً وخدناً — والارض والزوج والصحب هم الوطن — وهؤلاء يصرحون بل قسم الله الخلائق اقواماً وجعلها انسالاً وادب كلا منها بآداب وخلقه باخلاق واقره بارض هي منبت تلك الاخلاق ومغرس هاتيك الاداب واوحى له ونفخ في صدره الذود عن حياضها فولد الانسان مولعاً بالارض التي رأت عيناه فيها النور والهواء الذي تنشقته رئتاه

هؤلاء هم الاحرار السائرون بالارض وجلال القوة يكلأهم واولئك هم الارقاء المستعبدون

الذلة والمسكنة بجانب الاولين والفقر والشقاء والعز والسعادة نصيب الواقفين اموالهم واوقاتهم على خدمة الوطن والكاشفين على الحدود عن صدورهم يدفعون بها عنه قنابل العدو وغاراته

نخاف نحن الحروب وتعتبر الخدمة العسكرية وزراً ونستهجن خضوع الناس لها في بلاد الغير . اما اقبالهم عليها فنعده ذهولاً وجنوناً ولو تدبرنا الامور ووزناها بميزان التعقل لبان لنا بخط عريض انهم هم الحكماء العاقلون ونحن من جن وذهل عن واجباته

هم بما يضحون يحفظون عرضهم و يصونون ما لهم ويزيدون غنائم ويمكنون في الارض وتد سعادتهم وغبطتهم لان القوي غني مهيب ونحن نبذل الكرامة ونبيع العرض بيع السلع ونشتري بالجبن والتخاذل الفقر ٠ والضعف كما لا يخفى يثبط الهمم و يولد الفقر

بثت الماسونية في الغرب روح مناهضة الحروب والتذرع باية وسيلة كانت لاجتنابها وتأييد السلم ولو بذل، فنمت فكرتها في الممالك اللاتينية التي تتعشق جمال المبدإ و كانت الفكرة الى ضياع الشعوب ادعى ولولا وطنية بالغة بصدور الفرنسيس حد الاعجاب وقوى حيوية لم ترها ولن ترها امة اخرى لتمكنت تلك الفكرة من النفوس والحقت بالامة ضرراً بليغاً

و لكن شاء ربك ان تهز كلمة الوطن تلك الامة النبيلة فلما واصلت عدوتها التاريخية (المانيا) السير في طريق العدوان واقرت على الزيادة الحربية الاخيرة ذكرت تلك الامة الفرق بين الروح التي جرعتها اياها الجمعيات السرية وتلك التي اتخذها الالمان لهم منهاجاً وقاست المسافة وقابلت الفرق فقمزت قمزة الى الوراء عجيبة وقامت بتضحية وطنية انحنى لها العالم اعجاباً واحتراماً

بين ليل وصبحه عادت فرنسا بالخدمة العسكرية الى ثلاث سنين ووقفت بها بوجه خصمها موقف القوي المطمئن الذي ينتظر الحوادث بسكون ورباطة جأش

والواقفون على الحركة الاقتصادية والفكرية والعارفون افتقار الحقول الى اذرع تتعهدها يقدرون هذا العمل الكبير المدهش قدره

ومثل فرنسا ينطبق عَلَى سائر شعوب الغرب بل عَلَى جميع امم الارض

الحية الا الذين ختم الله على قلوبهم فصارت قلامة الظفر عندهم اعلى ثمناً من كل الوطنيات وهم الخاسرون

لا يعقل ان ذلك الشعور الوطني الشريف موجود عند طائفة من الناس دون اخرى بل الثابت ان الطبيعة نفحته في صدر كل القبائل عَلَى السواء ولكن كان شعورهم به متفاوتاً ومنزلته في قلوبهم عَلَى درجات متباينة بنسبة قصرهم و بلوغهم ورقيهم وتمتعهم بالحقوق الوطنية والواجبات او حرمانهم منها ولذلك حق لنا القول انا معشر السوريين واللبنانيين لا يمكن الا ان يكون فينا خيال وطني نسر ونبتهج اذا اقبلت الدنيا عليه ونتألم اذا ادبرت عنه ومن ظن منا ان صدرنا خلو منه فهو مغرور

ولقد قامت لنا على بطلان مزاعم اللاوطنيين فيما بيننا الادلة والعهد الذي رأينا فيه الناس يقاتلون بعضهم ويهاجمون و يدافعون و يضحون كل عزيز على مذبح الوطنية ليس ببعيد

كل واحد منا يعلم خبر الحوادث التي جرت بايام الدولة المصرية (اذا لم نرجع الى ما هو ابعد) والوقائع التي استمات بها السوريون واللبنانيون دفاعاً عن الوطن وليس بيننا من لم يقص عليه ابوه او خاله او عمه او صديقه حكاية الفتن الاهلية التي جرت بين الدروز والنصارى وكيف هان بها على الفريقين بذل المال وقهر النفس وتضحية افلاذ الاكباد صيانة لعرض يهدد او احتفاظاً بارض ضيق عليها او انتقاماً لشرف اهين. وهذا هو الشعور الوطني بعينه ولا تغضب الامم الراقية لاكثر او اقل منه اليوم

اذاً ليس بطبيعة السوري ما ينافي احكام الوطنية الصحيحة بل قد

يكون عنده الشعور الوطني اشد اذا عرف ان البلد بلده والحكومة حكومته والحقوق والواجبات متساوية

وهذا ما لم تعرف الادارة التركية تقريره والتعامل به منذ صارت حكومة وهذا ما ذهل عنه القائمون بالامر في العاصمة والولايات ولذلك رأينا الجسم العثماني في العراق والاناضول والشام لم يتألم كثيراً لعملية القطع والبتر التي جرت لاحد اعضائه في البلقان وما هي الا صرخة ألم طبيعية دامت هنيهة ثم عاد الجسم يسير سيره في هذا الوجود: آلات الطرب تعزف والمسارح تفتح والناس حالهم بالاخذ والعطاء



برقع يتمزق

— بوانكاره وكليمنسو —

(الخواطر ، في ١٠ حزيران سنة ١٩١٣)

قطبا السياسة الفرنسية يتخابران ورجلا الامة النبيلة يتباحثان

اذا قلنا قطبي السياسة فلأن نقطة الجاذبية بيد الرجلين تشد اليها الرحال ويهبط الوحي ولئن فرقتهما المذاهب وابعدتهما المنازع والمطالب فقد الفت الوطنية بين قلبيهما وضمهما الموقف الحرج

اختلف الرجلان مشرباً واخلاقاً ومضاء عزيمة فكان الاول معتدلاً بارد الطباع تدل ملامحه عَلَى عناد وصلابة رأي وشبّ الثاني متطرفاً مقداماً تنم اطواره عن جرأة لا تعرف صعاباً والقول ما قاله الرجلان

قال كليمنسو لن يكون بوانكاره رئيساً فاخفق · وقال بوانكاره لن يتصدر بالوزارة غير كليمنسو في المستقبل القريب فهو وحده لها وهو ربّ كل مطلب بعيد · ذلك لان الامة الراقية تجتاز اليوم ازمة غير ما تتصور فان لم تتعهدها يد حديدية وتتدار كها ارادة تدك الجبال عادت الى حيث يشتهي العواذل

فتنتها الماسونية بكلمة اخاء ومساواة وتصافٍ ينزع الغل من الصدور الى غير ذلك من الكلمات المتقارنات المترادفات التي عرفتها اللغات ولم يعرف هذا المخلوق العجيب فعلاً · وسحروها بحدودٍ بين امم تهدم وفواصل تمحى

وشعوب تتعانق وانسانية تسعد بعد الشقاء واذرع تعود من الثكنات الى الحقول ولشد ما حذروها تاهت الامة النجيبة قصداً وضلّت سبيلاً واهملت واجباتها القومية انتصاراً للمبادىء الانسانية بينا ان من جاورها من الامم وعاصرها من الشعوب مكب علَى اعداد العدة وابلاغ قوة الهجوم والدفاع حدها الاقصى ولما بعدت بينها و بين الامم المسافة بالمعدات وطالت الشقة وادرك الشعب الافرنسي المجيد الهوة فاغرة فاها وظهرت المانيا بمظهر المسيطر المهدد ثاب الى رشده واقر على الرجوع الى ماضيه وارتاح جمهوره الاكبر الى تأييد الحكومة بما طلبت ولكن فاته العلم ان سوساً ينخر الجسم منذ جيل وان داء انهك القوى وتمكن لا يغلبان بين يوم و يوم ولا يقهران الا بسعي حثيث يدعمه الثبات والحزم وهذا ما خيل لنا ان الرجلين اقرا عليه باجتماعهما الاخير

بين ثنايا النظام العسكري الذي سنّه النواب عام ١٩٠٥ وجعلوا الخدمة العسكرية سنتين ذيل مادة تمكن الحكومة اذا اقتضت الحال ان تبقي القرعة المنتهية سنة ثالثة تحت السلاح فاستعانت الوزارة بهذا الذيل وقررت ان تبقى القرعة المنتهية في ايلول المقبل عاماً آخر . تحوطاً واستدراكاً بازاء ما تجريه عدوتها التقليدية — المانيا — ورغبت الى مجلس النواب ان يصدق علَى ما عملت فقامت قيامة الاشتراكيين ومحالفيهم المتطرفين وصورت لهم نفوسهم المتشربة بالمبادىء الخيالية عمل الحكومة رجعياً يقضي علَى جهاد نصف جيل ونفخت في صدورهم الجمعيات السرية روح العصيان فثاروا على الحكومة وهيجوا في الثكنات العساكر فقام بعضهم بمظاهرات ادمت فؤاد كل افرنسي غيور وكل محب لفرنسا صادق لان مثل هذا الخروج يقلقل

مركز الحكومة و يضعف ثقة حلفائها بها ولذلك ذعر بوانكاوه واستقدم خصمه كليمنسو اليه يباحثه ويذاكره ويستطلع طلع رأيه السديد

فكتب هذا في جريدة « الرجل الحر » فصولاً شائقة تهافت عليها القراء تهافت الجياع على القصاع صرّح بها بلهجته العنيفة التي تهتز لها الاندية في العالم كله انه واقف جنب الحكومة يؤيدها و يعاونها على كل ما تود . وبديهي ان مثل ذلك التصريح صادراً عمن قاله عنه «ديروليد»— ان قلم النمر يخشى اكثر من حسامه — يعد بمثابة قرار دون في المجلس ولكن لا يسكت الخصوم ولا يلجم المعترضين الذين رسخت في اذهانهم تلك الاوهام ولذلك ينتظر العارفون ان يستمر المتظاهرون على غيهم حتى يقيض الله لهم كبداً غليظاً — ولا يكون غير كليمنسو — يهز لهم العصا و يضرب بها

ما الاخاء والمساواة الا كلمات مترادفات لاسماء الغول والعنقاء فمن اغترّ بها فقد جنى على نفسه ومن حاول ان يقنع بها الغير فلملة يفعل . فالى وزارة كليمنسو ندعو القراء



بيـــــان

يوم خروج «الخواطر» من يده الى عهدة الاستاذ موسى نمور

(الخواطر، في ٢٧ تموز سنة ٩١٤)

لا الشجرة التي غرست والتي تتعهدها يمينك في كل صباح · ولا البناية التي لحمت اوصالها بعرق الجبين · ولا الحبيب الذي تلقى بعد طول عهد الفراق باشهى لديك واعز من خواطر وافكار تصبيت من مخيلتك وعلقت على القرطاس

ما البناء والحبيب الا غذاء القلب وخمرة الحواس تتمتع بها النفس حيناً اما نفثات اليراع فعصا موسى بيدك يخال لك انك تحرك بها السواكن وتشق البحر

مشهد من مشاهد هذا الكون لا يدركه الا من عانى الكتابة بل تلك الخطرات لذة من لذات النفس المعنوية لولاها لما حمل كاتب نفسه عناء التحبير ولا وضع سواداً على بياض في هذا البلد

لذلك وقع انحجاب «الخواطر» مني موقعاً اليماً واسفت لا على مورد رزق اصبته ففقدته، بل على عمل سقيته ماء القلب زمناً غير يسير وصورت لنفسي اني خادم به وطني · وتمنيت لو قيض الله لها من يتعهد ثانية تربيتها و يؤنس وحشتها و يبثها من سباتها حية غير باغية ولا اثيمة بل مزدانة بالعمل النافع مؤدية لهذا الوطن المحبوب قسطها من الجهاد

ولما آنست بحضرة الكاتب الاديب الاستاذ موسى نمور ميلاً للصحافة

و كاشفني برغبته بأخذ « الخواطر » على عاتقه سررت واجبته الى مـا طلب وامضيت واياه صك اتفاق دخلت به « الخواطر » بعهدته وتحمل مسؤوليتهـا الادبية والمادية فلا الام اذا لا سمح الله كبت ولا اشكر اذا احسنت

لم يكن لي بالرجل سابق عهد غير ما كانت تزدان به الصحف من موحيات قريحته مما اعتبرته ضمانة كافية تكفل لها اطراد السير في طريق الخدمة الوطنية

وانا واثق انه يسير بها على خطة رصينة لا تهاب قوياً ولا تحتقر ضعيفاً ولا تنهش الاعراض ولا تبتغي غير خدمة المصلحة العمومية

ففي ذمة الله ومحررها الفاضل وضعتها بل في ذمة الاخوان الذين آزروها من قبل وكانوا الهافي جهادها الشاق الاول معواناً القيتها والامل ملء الصدر انهم لا يخذلونها ولا يهجرونها بل يبقون على موالاتها و يبذلون لهـا النصح

تعلة للقاء



هل اذنت الساعة

(الخواطر، في ٥ آب سنة ١٩١٤)

إذا أظلم الجو وعلا البسيطة ضباب كثيف وقصف الرعد يصب من بين الغيوم ناراً فلا تقل قربت الساعة

وإذا ثارت العواصف فمادت الجبال وزلزلت الارض زلزالها فلا تقل أذنت الساعة

وإذا رأيت ابن السماء المشرقة — الصين — واخاه ابن الشمس — اليابان — يزحفان الى الغرب بجحافل اولها في برلين وآخرها في بكين فلا تقل اذنت الساعة

وإذا قيل لك تحركت الفيالق الروسية كلها واجتازت طلائعها حدود الالمان فلا تحسب لذلك كبير حساب

أما اذا سمعت ان الفرنسيس في ربوع السين بدأوا يؤمون صرح الانفاليد واقفين على ضريح الاله — مارس — يتأملون ويتذكرون

واذا سمعت انهم لتلك الخرق البالية التي هي آثاره الخالدة بلهف يقبلون

واذا عرفت انهم وقفوا في ميادين وقائعه الاخيرة العجيبة ينقبون ويدرسون ويتعظون

واذا فهمت ان الباريسية الحسناء تنثر الزهر على تمثال ستراسبورغ ومن ورائها بنو قومها ينثرون ويخطبون

واذا تغنى امامك الالمان ان الرين الالماني سيبقى، واتصل بك ان غليوم

اختلى مع اركان حربه فقل لقد قربت الساعة

ومتى بدت لك الاساطيل الانكليزية بعضها في بحر الروم واقف وقفة المراقب المنذر تجاه السواحل الايطالية وجلها في المانش يحتشد، ونمَّ البرق ان الجيشين الفرنساوي والالماني يعبآن فقل: يا نفس استعدي للقاء ربك فالساعة قد دنت

واذا غمز غليوم في برلين «ومسيمي» (١) في باريس زرًا كهربائيًا فدوى المدفع على ضفاف الرين فقل: هذه هي الساعة فسلام عَلَى الارض وسكانها

الجيشان المتكافئان والعدتان الجهنميتان والطريقتان المتناقضتان بضرب الجناحين او بضرب القلب بيدهما حكم الساعة وما تبطن

ذلك لان في البلدين المتجاورين قوة تسخر بقوة سيدنا سليمان وعفاريته

ولان سككها الحديدية تشعبت في جوانب البلدين تشعبًا يسوق نصف مليون الى الحدود من الجنود كل يوم

ولان الحصون تقابلت والقلاع تلاصقت والالغام بثت بثًا فنيًا فاذا لمستها النار دكت الجبال

ولان اربعة آلاف مدفع ارتكزت على جانبيها متى اطلقت يسمع من في القبور صوتها فيقومون

ولان العداء تأصل بين الامتين واستحكمت حلقاته منذ نيف والف سنة واليوم يوم تصفية الحسابات فالفائز خالد والمقهور محي اسمه من عالم الوجود

ولان الحرب مفاجأة ومباغتة

(١) وزير الحربية في فرنسا عام ١٩١٤

ولان الانكليز سيتدخلون بكل ما لديهم ولدى مستعمراتهم من عدة وقوة

ولان يد هذه الامم الثلاثة صناعة العالم وتجارته واسواقه المالية فاشتبا كها في الحرب يرمي الخليقة بازمة مالية لا تبقي ولا تذر

ولان كل مشا كل الدنيا من شرقية وغربية وبرّية وبحرية ستحلّ بعد هذه الحرب فيدخل الناس بطور جديد

حذر ادوار ابنه جورج من هذا الموقف ودمعت عيناه خوفاً على أُمته منه . وقراء « الاحوال » و« الخواطر » يذكرون ان احدهم قدرها لعام ١٩١٣ بمقالات شرح بها اسبابها فخانه الحظ بسبعة اشهر فقط

وستشهد الاسابيع الاولى معارك فاصلة فالالمان سيدوسون حرمة بلجيكا وحيادها ليخترقوا لهم منفذاً الى بلاد الافرنسيس . والفرنسيس سيمشون على جثث الالوف من اخوانهم وراء الفوسج هجوماً عَلَى ارض الالزاس

والانكليز سيمزقون كرامة هولاندا صعوداً منها بقوتهم البرية الاولى كلها وقدرها ١٦٠ الف جندي الى ارض المانيا فاذا وفقوا حولوا فيالق اربعة عن الحدود الافرنسية فيتنفس الفرنسيون الصعداء

فاذا قدر النصر للفرنسيس في المعارك الاولى انحلت الوحدة الالمانية وكان آخر عهد آل هوهنزولرن بالصولجان . واذا قدر لهم الانكسار لا سمح الله ساق الالمان الحرب بسرعة ليتمكنوا من سحق فرنسا والعود بمعظم قواهم الى الحدود الروسية وهذا ميسور بفضل انتظام جيشهم وقوة سككهم

الحديدية

اما الروس فلا يلعبون دوراً في هذه الحرب مهماً قبل آخر الشهر الثاني
فلا يأتي الدواء من العراق حتى يكون العليل فارق

واذا طالت الحرب سجالاً طال امدها حتى يقضي الله امره

وكل محب للفرنسيس والانكليز يقول: اللهمَّ ثبت اقدامهم . اللهم بارك
اعلامهم في الاسبوعين الاولين

ولا تعيرنَّ كل ما تسمع من اشتراك البلغار ودخول العثمانية وانتصار
هؤلاء وانكسار اولئك انتباهاً فما ذلك الا سراب غرار

ولا تغرنك مظاهر في البلقان وهبوط وصعود بين أممها فهذا لا يبدل
حرفاً من النتائج التي يكونها الزمان على ضفاف الرين

بل خذ لك نظارة واحصر نظرك منها في ربوع السين ووادي الرين
وراقب الحركات والسكنات وادعُ من صمامات القلب لمن تحب

واذا غلبت عندك العواطف الانسانية فاسأل ربك ان يدرأ عن عباده
هذا الخطر المميت . ان ربك لرحيم !



الجمعية الوطنية الدستورية

والقانون الاساسي

(زحلة الفتاة ، في ٢٠ آب سنة ١٩١٩)

قبل ان ننتقد الناس لينتقد الواحد منا نفسه فلا يقال القذى يرى والجسر في العين لا يرى ...

نعيرهم بالمؤتمر (١) وبطريقة انتخابه ونهزأ بالمباحث التي بها يضيعون الوقت ولكن لو انصفنا لاعترفنا انهم عملوا شيئاً وانهم ساروا في سبيل تأليف حكومتهم خطوة فاذا فاتتهم المعرفة لم يفتهم حسن القصد اما نحن ...

نعم ان للامة وحدها بطريق نوابها حق التشريع ، نعم ان المجلس العمومي لا يسمى مؤتمراً ، نعم ان طريقة تشكيله عندهم اليوم لتركية عائبة ، نعم ان فتح بابه على مصراعيه بوجه كل شريد وطريد يدعو الى سوء الظن ، ولكن اذا وقفت الظروف السياسية سداً مانعاً وتعذر عقد الجمعية الدستورية بكل حقوقها ومرافقها فلا يعاب خصومنا اذا حاولوا النهوض وبين المتاجر بالوزنتين والدافن الوزنات ترجيح في الكتاب

اما نحن فمنذ تقلص الظل الثقيل عنا اكتفينا من الاستقلال بالمناداة به وملأنا الفضاء صياحاً

اسمعنا سكان القبور صوتنا انا مستقلون وانا للاستقلال خُلقنا وان

---

(١) المؤتمر السوري الذي كان منعقداً في دمشق بذاك الحين

تربتنا مقدسة لم تلوثها قدم الاجانب ولم تطأها حوافر خيولهم ولكن لتأييد هذا الاستقلال لم نعمل شيئاً وفي سبيل الحياة السياسية الصحيحة لم نبد حراكاً

قلنا لهم الجمعية الوطنية العمومية فقالوا ان الانتخاب ابان الاحتلال العسكري محظور فاستشهدنا بالانتخابات الانكليزية فاجابوا انها لفي البلد الظافر ، فرددنا القول ان لبنان لم يكن من ارض العدو المحتلة على ما تقول فولونا ظهرهم

قلنا لهم ابناء لبنان يجتمعون فقالوا يعوزنا المال . قلنا ابناء لبنان الكبير يتخابرون فعدوه عملاً تقط لاجله رقاب الرجال . فما دام لا مال هناك ولا رجال فقل لي بربك كيف يكون ذلك الاستقلال ؟

لا ، لم نصب بقحط بهما، بل هي الهمم فاترة والعزائم مستضعفة والاخلاق معتادة ان تلقي على الغير همها وان لا تعتمد على النفس والاعتماد عَلَى النفس لهو سر النجاح

المال توجده الرجال ومنبت هؤلاء الحوادث فلو كانت لنا ارادة وكان الاعتماد على النفس من مميزاتنا لمددنا للحوادث السائرة يداً واستفدنا . بيد اننا نستكبر الامر فنسوفه على رجاء ان ما لا يدرك الان نبلغه غداً فاذا لم نشكل حكومتنا واذا لم نسن دستورنا اليوم ستشكلها او تسنه الدولة المساعدة في الآتي القريب

نحن للدولة المحبوبة والدولة المحبوبة لنا وكلانا متضامنان ولكن كم نكون في عينها كباراً اذا قدمت فرأتنا امةً راقية لها تقاليدها ولها مميزاتها ولها دستورها وشرائعها وما القانون الاساسي بضاعة لتحوكها معاملها ولتسوقها

عَلَى ظهور الجواري الينا ولا يصح ان يسمى دستوراً اذا لم يكن ملائماً لروح الزمان والمكان والبلد وعاداته. والوطني العادي اعرف بذلك من الاجنبي الضليع. ولذلك حق لنا القول ان قانوناً نعمله خير من قانون يعمل او تتكون روحه بعيداً عنا وان خير الاوقات لعمله لهذا الوقت وان اولى الاعمال ما يتولاها الانسان نفسه

ولذلك جاز لنا التصريح ان اول دليل نعطيه عَلَى اهليتنا وضع القانون الاساسي واجمل عمل دعوه الجمعية الوطنية او المؤتمر كما تشاء الظروف واشهى ايامنا يوم يحشر نواب لبنان بعضهم في قاعة المجلس وينادي الرئيس : يا ابناء لبنان لقد فتحت الجلسة الاولى لمجلس تشريع لبنان !



سياسة التصريح

(لسان الحال ، في ٢٠ آب سنة ١٩١٩)

لو سئلت وانا ممن يدّعون لهم بعض العلم اي الامور انت طالب وعن ايها انت راغب لحرت جوابًا. ولو سئلت الى اين نحن صائرون لمكنني العي. ولو القي السوءال نفسه على من هم اطول باعًا واوسع اطلاعًا لارتج عليهم الكلام

ذلك لاننا من دون الناس لاخطة لنا بينة ولا طريقة معينة ولا حزب سياسي اسمعنا صوته بل كل منا يسير في الليل الداجي المدلهم ومصباحه قلبه وان شئت فقل مصلحته واذا التحمت مصالح فريق وفريق تهامس المتحمون واسروا القول حتى اذا قضوا من الامر لبانتهم تفرقوا كأن لا عهد بينهم ولا تلاق

ولانت الفضولي اذا استعلمت والناكث العهد اذا استفهمت والمهدد ألفة الجماعة اذا انتقدت. بل لانت الخائن المارق اذا لم تمش على روءوس اصابعك فقد يستيقظ من وقع اقدامك العليل النائم

وتهامس الكلام وتمشية الناس على روءوس الاقدام والانفراد بالرأي من دون الانام من مولدات الاحقاد ومثيرات الفتن بل هو خرق بالسياسة كان من اهم اسباب الحروب وما منيت به البشر

ولقد قضت عليه الاحكام الثوروية والمبادىء الديموقراطية في كل

البلاد الحرة واوجبت ان يتذاكر الناس و يتباحثوا في امورهم الكلية والجزئية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية على ملأ من بعضهم من غير تكتم ولا تحفظ

نعم ان في اذاعة الامور تتناولها العامة وابحاثهم وتتدافعها اهواؤهم ومنازعهم محاذير قد تعرقل المساعي وتفسد على العمال العمل ولكن ضررها في كل حال اخف من استئثار فريق بالسلطة واستبدادهم بالامر وتقريرهم مصير الناس على غير علم من الناس لا سيما اذا لم يكونوا من الاولياء يهبط عليهم الوحي ولا من النوابغ يخترقون حجب الغيب



كلنا ملومون

(لسان الحال ، في ٢٤ آب سنة ١٩١٩)

طلاب الانفصال ودعاة الاتصال عَلَى السواء وجميعنا على هذا البلد نجني لا فرق بين عشاق الفرنسي وعباد ابناء التاميز

الناس في بلاد الناس اذا صوتوا عادوا الى اعمالهم وهز الخصم يد الخصم ونحن بعد ان دونت اللجنة(١) الوقائع واستلم المؤتمر الامر بقينا نوقد في نار الفتنة ونضرم جذوتها كأن هذا البلد لم يكفه تحالف الناس والزمان عليه حتى قام ابناؤه يعملون بايديهم على تقويض اساساته والاجهاز على البقية الباقية من العرى فيه

ويلهم هلاّ دروا ان من جراء ما يفعلون مراجل الحقد تغلي والكوامن تثور ومن ورائها فتنة بدت طلائعها في كل مكان او دروا وكانوا بذلك متعمدين ؟

دعوه يلفظ انفاسه ولا تعجلوا عليه ففيه من عاديات الاسقام وداعيات المنون ما يجعل طريقه وعراً والفناء محتوماً فكيف به ونحن معجلون . جعله الزمان نقطة اتصال بين الشرق والغرب صافي اديمها فتاقت اليه نفوس المتاجرين واشرأبت اعناق الفاتحين فتعاقبوا عليه ولم يبقوه امة ولم يبقوه نسلاً بل مزيجاً من دماء وخليطاً من اخلاق تلونت معها المنازع واختلفت الميول وخصه الله

(١) لجنة الاستفتاء الاميركية المعروفة بلجنة « كراين »

بهبوط الوحي فشتته طرائق ومزقه طوائف لكل دينها ولكلٍّ معتقدها والكل علَى تباغض ونفار

وشاءت احكام الاقدار ان يكون بين اول من ذاق شدة الحرب واهوالها وآخر من يجني ثمار السلم من حول الطاولة الخضراء

كلها ظروف مضافة الى طرق التربية المتباينة تدعونا الى التفرقة لولا ان وحدة المصالح الاجتماعية والاقتصادية واشتباكها وشعورها بالخطر المحدق يرغبنا عن الخصام الى الوئام وعن التعصب الى التساهل واحترام اراء الغير · نحن مطية الغالب — والغالبون متفقون — لا يدفعه عنا صراخنا في الفضاء ولا حجة ويلسن خاطباً بحرية الامم وحقوق الشعوب لا لان القوم يضربون بما يقدمه الرئيس الكبير عرض الحائط بل لان المؤتمر وضعنا بين الامم التي لم تبلغ بعد الرشد السياسي المطلوب لنيل الاستقلال وان لا بدَّ لنا من يد تسير بنا الى سواء السبيل

ولان هنالك حقوقاً وتقاليد كرستها العهود والمواثيق ولا نخال الا كلا المتعاقدين باراً بها وما دامت المساعدة مفروضة قضاء فلا يعقل انهم يدوسون بها الاتفاقيات المنعقدة المبنية على الحقوق التاريخية والامتيازات

نعم ان للامم حقاً باختيار اليد المساعدة ولتقديس هذا الحق قدمت الينا اللجنة · ولكن هل بدا للجنة من غير الطوائف المسيحية رأي صريح؟

لذلك جاز لنا القول ان ما رأته اللجنة يزيدها ورئيسها اعتقاداً ان الحرية السياسية لم تتكون بعد، واننا اشد الناس تأثراً بالعوامل الخارجية، وان المؤتمر اصاب لما دوّن ان بيننا وبين البلوغ الاكيد شقة واسعة · وان

اقوى الدول علاقة بناهم الفرنسيس والانكليز

الاولون لما بنوا واسسوا على ممر الاجيال من المعاهد والملاجيء والطرق والمدارس والانكليز لمركز هذا البلد بين مصر والهند

ولما كان نصيب الانكليز من التراث العثماني نصيب الاسد ما كان يهمهم من سورية لا سورية نفسها بل تأمين طرق الهند وكان الدهاء الانكليزي قد احتاط لهذا الامر فلا يعقل ان انكلترا التي قاتلت لاجل احترام العهود تنكث العهد وتعمل اليوم على نقض ما ابرمته بالامس

الا اذا تغلب الحزب الاستعماري الانكليزي — والحزب الاستعماري هذا حكومة ضمن الحكومة — وامكن رجوع الرأي العام الفرنسي عن بر الشام ولا نظنه راجعاً

فيجدر اذن بالصحافة ان تسير بنا الهوينا ويخلق بالعقلاء ان يبثوا روح التساهل والتسامح بين طبقات الشعب وان يصرفوه عن المنازعات والمجادلات السياسية العقيمة الى العمل المفيد فمجادلتنا لو بقيت عند حد الاقناع بالبرهان لقبلنا ولكنها كثيراً ما تنتهي بتحكيم القتال والبلاد خارجة من حرب ذاقت فيها اعلم من شدتها الامرين واحوج ما هي اليوم الى السكينة والعمل لتضمد جراحاً وتعالج داء

فالمؤتمر باحث والمؤتمر مقرر ولا مرد لاحكامه فلينتبه العاقلون

خطرات افكار

حول الجمعية الوطنية

(الاحوال ، الاثنين في ١٤ حزيران سنة ١٩٢٠)

رحم الله ندره (١) امير القلم وربّ البيان فكم سمعته يقول: « ما اتعسنا من امة واشقانا من خلائق »

نحن من دون الناس مفككو العرى والاوصال لا رابطة تجمعنا ولا لواء ولا مبدأ يضمنا ولا قصد الا قلوب متنافرة وافكار متباينة ومساع مبذولة للتنكيل ببعضها ونهش الاعراض

ولفرط ما تنابذنا نبذنا الناس واعرضوا فاذا ذهب احدنا الى لندره او باريس قالوا له انك لسباق ولكنك تركي فيقول في نفسه لم يظلمني القوم فما العصبية الا العصبية الوطنية فعلي بفروق ويوم فروقاً فيقولون له لأنت عبقري ولكنك عربي فيقول في نفسه لقد انصفني القوم فلا رابطة الا الرابطة القومية ويهبط الفيحاء ويكتب ويدهش ويسحر العقول ويبتني القصور بالآمال واذا باصحابه يهمسون في اذنه ذات مساء ولكنك مسيحي لا امل لك هنا ولا رجاء

فهو في لندره تركي وفي الاستانة عربي وفي الشام مسيحي وفي لبنان ارثوذكسي او كاثوليكي : حواجز تحول دون الظهور وان تناسوا في لبنان علامته الفارقة كان شريداً طريداً يخاطب الناس ولا يفهم الناس لان لكل من الناس في الجبل التاعس لغته وتعابيره ومغازيه ومراميه

---

(١) المرحوم ندره المطران

تسوقنا في كل مرة الى بيروت تصورات وتخيلات فننزلها والامل ملء الصدور ونجور على الحبيب ونطيل الاقامة فيها علنا نلقى في البلد الزاهر مصدر الحركة الفكرية قبساً نهتدي به او مصباحاً يسدد خطواتنا في الليل الدامس واذا نحن اليوم مثلنا بالامس: زيد ينظم القوافي وعمرو يغني على ليلاه وسعيد يشكو المهاجرة وخالد يداويها بالبنوك العقارية والكل يضربون المجلس والمجلس هازئ بالكل

ولما انتهى دور الكلام الي وقد حشرت نفسي فضولياً بينهم قلت لا المهاجرة بالداء ولا البنك العقاري بالدواء ولا تحسين لهذه الحالة ولا شفاء منها الا بعقد الجمعية الوطنية الدستورية

وكأن قناعتي سرت للقوم فلم يقم منهم معترض على اساس الموضوع وجوهر الكلام بل على كيفية انعقادها وارتياب الدولة المنتدبة منها

اما عقدها فالمجلس يدعو البلاد اليها معللاً عن الاسباب واذا تمنع فالبلاد تنتدب اليها ممثليها

واما ارتياب الادارة المحتلة منها فهذا ما لم افهم

فالبلاد قد عرفت مصيرها وهي طلبت والمؤتمر لبى والامة الافرنسية قبلت وربطت حظنا بحظها الى امد بعيد فما الذي يسيء امة حقوق الانسان لو قام بعض بني الانسان من كل محب صادق يتذاكرون ويتشاورون ويضعون لهم وازعاً ودستوراً ؟

هم يعترفون لنا بالارجحية على ابناء الجوار فلمَ يجوز لاولئك ما لا يجوز لهؤلاء ولمَ يحق لهم ان يحفروا اساساً ويقيموا بناء ونحن يحظر علينا النظر في البيت

المتداعي والاساس العائب ؟ ألأنهم خرجوا ودخلنا وأبغضوا وأحببنا ؟

لا اظن ولا يخطر لي على بال انهم يحبسون عنا النور و يمنعون الهواء عمداً ونحن اهل عهد في الحب سابق ولكن منيت البلاد ومنينا بكل ساعٍ نمّام يصور لهم الاوهام حقائق فيريبهم و يوغر صدورهم ولم يقم من ابناء البلاد العقلاء من بذل لهم النصح واستعمل لغة الصراحة

فالبارح اعاد الجنرال غورو للحكومة الوطنية اللبنانية سلطتها ورفع عنها كابوس المعتمدين الاداريين ولكن اعزه الله قال ان لم يحسن القائمقامون دفعنا بصدرهم المعتمدين تكراراً ، وهل كان وجود المعتمدين مقيداً بشرط مثل هذا الشرط ؟ استغفر الله !

فلو كان لي رأي مسموع لقلت ان وجودهم يضعف هيبة الحكومة المحلية و يغل يدها و يشوش نظامها و يفسد عملها بما يولده من تنازع السلطان بين قائمقام مسؤول ومعتمد غير مسؤول فهل قام بيننا من قال له ذلك ؟

واليوم هل يكون فخامته عاتباً واجداً لو قيل له ان ليس للمجلس الاداري صلاحية بوضع القانون الاساسي او الاشتراك بوضعه ؟ استغفر الله

هل يكون ناقماً لو قيل له ايده الله ان البلاد تحب ان تعرف شكل حكومتها وان تبدي به رأياً وان تحدد لها المساعدة ؟ استغفر الله

ذلك لانه يعرف ان المجلس منتخب لمدة و بصلاحية معينة وانه مجلس ادارة لا مجلس تشريع وان ذلك حق البلاد المقدس وان امته النبيلة اول من ايد هذا الحق

ان في تبيين المساعدة فائدة للمصلحتين الافرنسية والوطنية فهي يد

الاولى حجة على ابناء الداخل بحسن النية وسلامة القصد و بيـد الثانية مهماز يستحثها للعمل الجدي والنهوض وهذا اقل ما تتمناه لنا الامة الـتي احببتنا واحببناها من زمن قديم الا اذا كانت النيات منصرفة لا سمح الله الى غـير مجراها الحسن

وما اعتاد ابناء الثورة ان يـكون لهم قولان



معاهدة فرساي

(الاحوال في ٣ شباط سنة ١٩٢١)

للضيق الآخذ بالخناق والبلاء الضارب في الارض اطنابه سببان : معاهدة فرساي ومكر الالمان

يحار المرء بأمر هذه المعاهدة فقد وضعها اقطاب الرحى الذين ينحدر عنهم السيل ولا يرتقي اليهم الطير فهل فاتتهم عللها ومشاكلها ام تعمّد احدهم تعقيدها لتبقى الحاجة ماسة اليه واضطر الثاني غير باغ ولا اثيم على اغماض العين ؟

وكيف كانت ظروفها فقد خرجت من ايديهم ناقصة ككل عمل انساني تتجاذبها القوتان السلبية والايجابية فهي جلية اذا اضمروا وهي مبهمة اذا بطنوا الشر وهي صريحة وهي غامضة وهي سهلة وهي ممتنعة وهي اعقد من ذنب الضب

التمس الالمان الهدنة وقد طوقتهم جيوش القائد العظيم وكاد ينفذ فيهم حكمه فاجابهم وفي القلب غصة الى ما التمسوا اشفاقاً على الشبيبة تحصدها مناجل المنايا واجابة لرغائب الرئيس ويلسون المنزل امانيه السامية منزلة الحقائق الباعث نفسه الى الامم رسولاً . والحامل من موحيات ضميره الطاهر انجيلاً كان للمكذبين ناراً وللمؤمنين هادياً ودليلاً

والمعاهدة وان وقعها المتحالفون فلا تخرج عن ان تكون بعهودها الرئيسية وشروطها الاساسية معاهدة افرنسية المانية تبحث بامهات سطورها عن حالة الدولتين وتحدد علاقاتهما وقوتيهما وتفصل حدودهما ولا يخفى ان لفرنسا من

غرامتها النصيب الاكبر ومن تعويضاتها القسط الاوفر ومن ضماناتها وتأميناتها الحصة الغالبة · وما تدخل الحلفاء بها الا لانهم اشتركوا بخضد الشوكة الالمانية فاحبوا واشترطت فرنسا ان يقرر سلام العالم على يدهم ليكونوا شركاء ، وليكونوا لها على غدر الالمان اعواناً

الا ان لكل من هذه الامم المتحالفة نظراً في الشعب الالماني يختلف معنىً ومبنىً عن نظر الامة الفرنسية فيه فبينما هو بنظر الاميركان شعب همام متجانس لا يجوز ان تمد اليد الى وحدته ولا ان يقرر مصير بقعة من بقاعه عَلَى غير ارادة من اهلها وذويها واذا كان قد ثمل بخمرة الغرور فحسبه سقوطه من حالق · وبينا ان الطليان يرتاحون حسداً من فرنسا لبقائه قوياً وشر التحاسد ما كان بين الاقارب · وبينما الانكليز قد نالوا بغيتهم بتمزيق اسطوله كل ممزق فلم يبق لهم خصماً يخشى جانبه ولا مناظراً يرهب جواره · بينا ان الانكليز في ما يبطنون وفي ما يضمرون اقروا ان يوفقوا به لاسباب واسباب · بينا ان تلك هي عواطف الحليفات كان الشعب الالماني بنظر فرنسا العدو التاريخي الواجب التحفظ منه · فاعتقدت واعتقد معها كل منزه خبير ان خير واسطة تتأمن بها على راحتها وسلامة العالم لهي فك عرى وحدته واعادة ولاياته ممالك مستقلة كما كانت من قبل وجعل الرين الحد الفاصل بينها وبينه عَلَى طول الخط

تلك هي خطة فرنسا التاريخية وتلك كانت مقاصدها يوم اندلع لسان المعترك الهائل واقرت عليها لا طاعة بمجد ولا طماحة بفتح · بل تكبيلاً للخصم الدائم فقد عرفته من عشرة اجيال جشعاً نهماً يتحفز للوثوب الى

الغرب بحكم ميوله كلما سنحت له سانحة

ولقد صدق الحلفاء كلهم على هذه المطالب الرشيدة ووضعوها بمقدمة شروطهم الاساسية لعقد الصلح الى ان اعاض ويلسون فرنسا عنها بعهد التضامن وقال لها انا وانكلترا فدى البلد الجميل اذا وقع عليه حيف او تحرش به الالمان ثانية وامضى لويد جورج هذا العهد

وحلف الالمان واغلظوا اليمين ان ينكثوا بالمعاهدة ولا ينفذوا بنداً من بنودها واتخذوا سياسة المطل والمراوغة ديدنًا والمعاهدة رأسمال فرنسا الاقتصادي والحربي وترسها تتقي بـه الحوادث ودعامتها عَلَى احياء موات ارضها وتعمير المتخرب منها وسد العجز . وتأخير تنفيذها يهيج الرأي العام ويثير ثائره ويقلقل مركز الوزارة ويسقط هيبتها ، والتنفيذ يفترض له وفاء الالمان وهو لا يوجد كما عرفت ومعاونة الانكليز وهي ذات ثمن كما رأيت في الموصل وديار بكر وفلسطين ! وانفراد فرنسا بالعمل كما فعل ميلران بوادي الرور

والانفراد امر دقيق خطير يوهن اذا تكرر المحالفة الانكليزية الافرنسية ويعرضها لخطر الانحلال وهذا ما تتحاشاه الدولتان العظيمتان ولو كان اصبع الواحدة في الماء واصبع الثانية في النار ولذلك كان مركز الوزارة صعبًا وحملها ثقيلاً ان هي استعملت الشدة او احلت محلها اللين ملومة والمحاذير واقعة عَلَى الحالين ولذلك لم يبق للوزارة بعد ان اعتزل النمر السياسة الا احد الثلاثة بوانكاره وبريان وفيفياني دهاة فرنسا ورجالها في الليلة الظلماء

حديث مجلس

(الجامعة السورية، في ١٧ اشباط سنة ١٩٢١)

ضمني ونفراً من كرامهم مجلس وجيه وبعد ان تهادينا التحية وتبادلنا عواطف الولاء ساقنا المجون الى الحالة الحاضرة فتقطبت منهم الحواجب وعبست الوجوه وقال احدهم: ما اتعسنا من امة واشقانا من خلائق، هوذا العالم كله يتنفس الصعداء ونحن لم نزل في غلاء يشتد وبلاء يمتد وضيق تتأجج ناره وعسر يتعاظم اواره. وزاد الثاني: لقد عرفت الامم كلها غالبة ام مغلوبة حقوقها ونحن نسير في الليل الدامس. والثالث قال: اين ما كنا نتوقعه مما نراه. والرابع: اما اللجنة الادارية فلاهية عن حقوقها منصرفة من واجباتها الى احداث الرسوم ووضع الضرائب ومسامرة القوم المنتدبين

وقد وجهوا خطابهم الي كأني عذيقها المرجب او انا ابن عم رسول الله فقلت ما انا بهذا ولا ذاك ولكنني ساقول ما اعلم وارجو ان تتغير به افكاركم الا اذا كانت لكم قناعة متكونة على غل ومقاصد فانتم غير منصفين

لا ادعي للسلطة المنتدبة العصمة ولا اعزو الى رجالها الكمال بل لا شيء يمنعني عن التصريح ان هم الا بشر مثلنا وخلائق يكبو بها الجواد وتزل الرجل ولكنهم اذا كانوا اشد الناس تأثيراً عصبياً فهم ولا جدال من انزههم قصداً واسلمهم نية وهم ولا حياء ألينهم قلباً واكثرهم حرصاً على مصلحة الضعيف واندفاعاً في سبيل تأييد حقه. وقد قدموا الى بلاد صعب مراسها مخيف وسواسها تعددت فيها المسالك وتشعبت الطرق وتدفق الذكاء ونمت

بجنبه النميمة والسعاية ولم يروا بيننا فئة متضامنة وعصبة تنمو نمواً واحداً بل رأونا بياطرة ننتف الحافر كلنا ونشد الى الصدور فحاروا وزادتهم السياسة ارتباطاً واضطرب امامهم حبل الامن في الجنوب فانقطعوا لمعالجة العلة عامين لو صرفا على تقويم الادارة الداخلية لكنا قطعنا من المسافة شوطاً بعيداً . وتالله لو هبطت الملائكة لتسوس البشر في مثل هاتيك الظروف وفي مثل هذا البلد المتباغض المتنافر لاغلق عليها العلم وتاهت قصداً وسبيلاً . اما اصحابنا فلم يقنطوا ولم يملكهم العيّ بل ظلوا سائرين يلتمسون الحقائق باخلاص و يتعثرون احياناً في طريقهم اليها لشد ما لقوا من الصعوبات وما وضعه الدساسون المملقون وهم بيننا جيش لجب من العقبات . وعندي انه اذا طاش احدهم سهماً والتوى سعياً فمعظم اللوم في عنق المبلغين المنافقين هؤلاء

ومع ذلك فقد أتوا من الاعمال النافعة المفيدة في عامين ما يعجز عنه غيرهم في اعوام والطرقات والجسور والراحة المستتبة والامن المخيم شاهد عيان وما عهدنا بالملاجىء التي فتحت والمطاعم التي اسست وصنوف الاشياء التي بيعت بخساً ببعيد

اما الغلاء فقد فعلت السلطة المنتدبة المعجزات لمحاربته وتخفيف وطأته واذا بقي فلا يجب ان يغرب عن الاذهان اننا في بلد ضعفت موارده وقلت معامله ومصانعه فاضطر ان يشتري من الغير والسوى كل ما يحتاجه كسوة وغذاء ولقد ساءت تربيته فبطر واستوى مصروفاً مع اغنى الامم مالاً واوسعها فناء ودواء العلة ميسور لو لجمنا نفوسنا وصادرنا الغلاء بالانقطاع عن الشراء فاذا فعلنا كسدت البضاعة وهبطت من تلقاء نفسها الاسعار ونلنا من الامر

بغيتنا واذا بقيت نساؤنا على الحرير المطرز والاطلس المجعد تستبدلنه كل شهر وبقينا عَلَى تغيير الحذاء كل شهرين فعلينا ان نتحمل تبعة الطيش والغرور

واما اللجنة الادارية فتتحككون بها لبث شكوى وتريدونها جارية مطيعة تنتدب لكل امر وهي ترباً بنفسها عن ان تخرج عن حد صلاحيتها ·

واذا كانوا يبتغونها لمرض الصدر ووجع الظهر وداء المفاصل فذلك هو المجلس المنتخب ولو انصف المنتقدون لذكروا لها مواقف في جنب المصلحة الوطنية فقد قررت ان تكون جلساتها علنية ليكون الناس على علم يقين من امرها والمجلس السابق لم يفعل · وحددت نظام الاحصاء بما يلائم مصلحة البلد · وحكمت بمسألة الملح حكماً لا ينقض ولا يرد وناضلت عن حقوق لبنان فيما يتعلق بالدخان وغيره · وناقشت المديرين الحساب · واستطلعت كثيراً اراءهم ولم تحجم عن ابداء رأيها غير هيابة ولا وجلة · والبارح ردت طلب الحكومة في المشاعات ولم تكن السلطة ناقمة او عابثة بل بحثت معها بحثاً يدل على نية طيبة وقصد حسن

هي لا تفاخر بما فعلت بل تعترف انها قضت بـه واجباً وستبقى فاعلة ان شاء الله

اما اعتزال العمل تحت تأثير خلاف موهوم تجسمه الاهواء نخدعة الصبي عن اللبن

بقيت مسألة الانتخابات فهذه ننشدها في الليل والنهار ومتى صار لنا فيها رأي مسموع قررناها عَلَى الاثر

ولكن من صبر دهراً يصبر عدة شهور أخرى وكل آتٍ قريب .

المشاعـات

بـين البلديات والحكومة

(الجامعة السورية ، في ٢٢ شباط سنة ٩٢١)

اذا رأوه على خروجاً احتكمنا الى صحافة باريس. هل تخلو جريدة فيها من مقال لاحد النواب يرسله دفاعاً عن مبدإ جاهر به في المجلس (١) ؟

بل أيسر واقرب ان يبسط صاحب الرأي رأيه جلياً لم يشوهه التعريب او النقل ما دامت الجلسات علنية والصحافة تتناول تباعاً الابحاث

ولادنى الى الحكمة ان يظل الذين يتكلمون بلسان الشعب باحتكاك دائم مع الشعب يتلقون منه النصح و ينزل عليهم من لدنه الارشاد

نحن لسنا نواباً و لكن من الذي يمنعنا ان نمتزج بالامة مثلما لو كنا؟ هل هو القائد العظيم و كثيراً ما صرح انه يتمنى ان نعود اليه قريباً منتخبين ام الحاكم الذي يرتاح ان يرانا والبلاد على تفاهم وتضامن ؟

هل يسوء الرأي العام ان نطلعه على مباحثنا ونتحمل امامه مسؤولية التصويت عليها. ان في العمل شرفاً للجنة وفخاراً اذا حسنت النيات وتنزهت المقاصد

لقد طلبوا عن غيرة ملتهبة ووطنية صحيحة سلخ المشاعات عن البلديات

---

(١) كتبت هذه المقالة وما سبقها او تلاها من مقالات في جريدة الجامعة السورية والفقيد عضو في اللجنة الادارية المشهورة التي كان يرأسها المرحوم داود بك عمون في عهد الجنرال غورو

وضمها الى الحكومة لتصونها وتتعهدها وتمكن مديرية الزراعة من غرس الاشجار فيها واجراء تجارب زراعية مفيدة

وحجتهم في الطلب ان المشاعات في البلد اللبناني تبلغ الوف الدونمات فاذا صارت الى يد امينة ذكية درت اخلاف الرزق وكانت للبلاد مورداً لا يجف ولا يغيض

اما اليوم فقد اهملتها البلديات وتلاعب اعضاؤها بها ومالأوا اصحاب النفوذ على اغتصاب القطع السمينة منها رغبة بجر مغنم او رهبة من بأس قاهر فاذا دامت الحال على هذا المنوال اصبحت المشاعات اثراً بعد عين

واقد شكوا البلديات شكوى مرة ونعتوها بعدم الكفاءة وزيغان النية وارتأوا ريثما يسن النظام الجديد المنوي عمله اعتبارها قاصرة ووضع وصاية الحكومة الجبرية عليها . ولقد درست المسألة ملياً ونظرت اليها من وراء قصدهم النزيه وملاحظاتهم الحرية بالاعتبار والتأمل فلم اجدني مقتنعاً وجانحاً لتلبية الطلب سواء لجهة الفك والربط ام لجهة وضع الوصاية لان القانون على حد ما اعلم يمنع والحكومة تحول

يعتبر القانون كل الاراضي المتروكة داخل القرية وخارجها من مروج وغابات ومزارع (وهذه هي المشاعات) ملكاً مستقلاً للقرية ولا شريك لها فيها ولا حق لاحد بالانتفاع منها غيرها ولقد ربط جانب مهم منها بسندات الطابو

نحن نتكلم عن لبنان الكبير «ولا نخص بالقول مقاطعة اخرى» فكيف يمكن ان تنزع يد اصحاب المشاعات وتسلم للحكومة وكيف يجوز ان

ينتفع المجموع بمال الافراد؟ وهب امكن الامر وجازسن نظام جديد وخرق العهود الاولى هل تقوى الحكومة على ادارة هـذه الاملاك وضبط دخلها (القول يسري على كل حكومات العالم) وهي رازحة تحت حملها الثقيل ؟ ألم ترها تأبى ان تجاري الاشتراكيين بشراء تلك المشاريع واستردادهـا ؟ ألم ترها كلما خرجت على هذه القاعدة عادت بصفقة المغبون ؟ فلماذا اذن نريد ان نحمل حكومتنا حملاً عجزت عنه ارقى الحكومات ؟

ان للشارع بما شرع حكمة فهو ينكر على مجموع الامة الانتفاع بمال الافراد ويعلم ان الحكومة بما لها من المشاغل والمتاعب وبما يمر على ادارتها من العمال دراكاً وتباعاً تنوء تحت تلك المسؤولية ولذلك آثر ان تبقى المشاعات بيد الاهالي ووكلائهم اعضاء البلديات. ولكنه استدرك المحاذير التي وقعت والتي بها نبحث فلم يشأ ان يترك البلديات حرة طليقة من كل قيد بل ربطها بمجالس الادارة والمديرين والقائمقامين والمتصرفين والسلطات القائمـة فوقهم وفرض لهؤلاء حق مراقبتها وتفتيشها كلما مست الحاجة واتخاذ ما يجب اتخاذه من المقررات ضدها واوجب عليهم معاونتها وتنفيذ قراراتها وصيانة املاكها فان فعلوا فواجباً قد قضوا وان اهملوا فمسؤولية شديدة يتحملون

هم بنوا طلب السلخ والالحاق علَى هذا السبب ونحن نسأل مـا الذي منع الحكومـة عند ثبوت التلاعب والاغتصاب من تحريك القانون ضد المتجاسرين ؟ الحق حقها والواجب منصوص عليه وسكوت العمال مريب وغريب اكثر من تقصير العضو البلدي واهماله

وعندي ان مسألة غرس الاشجار ضمانة كافية لو بقيت المشاعات بيـد

البلديات لان الاهالي يعاونون ويحرسون الاماكن المغروسة بما عندهم من الحراس اذ ان معظم النفع عائد اليهم ومديرية المالية لا تستاء اذا بعدوا عن صندوقها وقام منهم من ينوب عنها

ولا شيء ادعى لتصغير النفس وفك عرى التضامن واضعاف الاخلاق من التضييق عَلَى المرء واعتباره قاصراً عاجزاً ، ولا شيء يصيره رجلاً مثل اطلاق يده وتشجيعه وتعويده ان يعتمد على النفس وكلنا نذكر ان المجلس السابق اعتبر البلديات قاصرة ووضع في عنقها نير الوصاية الثقيل فصغرت نفساً وساءت حالاً واطالما حملت البلاد وحملنا على المجلس لرفع ذلك النير فهل يجوز الرجوع اليه في العهد الجديد ؟ ام يجمل بنا ان نطلق يدها ونعاونها في خدمتها المجانية الشريفة ونقومها بالنصح والارشاد والا فمتى نربي الرجال ونكبر آمالهم ونعلمهم ان لهذا الوطن عليهم حقاً ؟...



يا اخي المسلم ويا اخي المسيحي

(الجامعة السورية ، في ٣ اذار سنة ١٩٢١)

لا الاكثار من العمال الوطنيين ولا الاقلال من عددهم يجديان نفعاً ولا الانفصال يشفي غل مريديه ولا الاستقلال يروي ظمأ طلابه ما دامت في البلاد مسألة اسلامية مسيحية .

العلة موجودة ومن انكرها فنفسه يخادع ومن احدق بها بصراً وعمل على مداواتها مخلصاً منزهاً فقد وفى الوطن بعض حقه عليه

لقد اجتنبوا الموضوع خشية ان يحرك سواكن ويثير كوامن ويذري الرماد عن نار آكلة نودّ ويودون لو انطفأت الى الابد ولكن اذا اقتصرنا بالبحث عَلَى تسطير الحوادث المحلية وتدوين وقائع اللجنة الادارية وترجمة الجرائد الاجنبية دون ان نلمس العلل النازلة فينا والامراض فاي خير للبلاد يرجى واية فائدة نجني ؟

بل اية علة احق باهتمام المفكرين من تلك التي نخرت الجسم وفككته تفكيكاً صيّره من الهلاك عَلَى قاب قوسين وهل مثلها يعالج بالتناسي والانكار وهل يتقى شرها باغماض العين ؟

ان الدلالة عَلَى مصادرها ليمر المسبر والمبضع ادنى الى الحكمة واقرب الى الصواب ، والاشارة الى مواردها لتمسها النار فرض من فروض الذمة والضمير

تراءت لي العلة وقرحتها وذيول الشقاء التي تجر وانا في الشام سنة ٩١٦ سجين جمال باشا متهم بالمؤامرة العربية . عرفت حينئذ بين المتهمين شيخاً تونسياً فاضلاً كان يمضي نهاره مرتلاً وليله مسبحاً بحمد الله فاستبشرت بقربه وقلت قد يمن الله علينا بالفرج لصلاحه وتقواه . واذا به يساق ذات ليلة للجلد فكان اذا استغاث يقول : انا مسلم يا ناس لست من الكفار ولا المشركين! كأن لهؤلاء وجب الجلد . ثم قمت الى مستشفى الغرباء واقمت بجانب شاب مسيحي شقوا له خاصرته فصار اذا استبطأ الطبيب المسلم يسب له الدين و يطعن بالشيخين فصحت به يا هذا اية علاقة لحالتك بمن تسب وهما من اجل واشرف مخلوقات الله سابقاً ولاحقاً ثم خلوت بنفسي وتذكرت ان المسلم يشب والمسيحي يتربى على ارتياب من بعضهما وقلق لغير سبب موجب الا ما شاءت التربية الفاسدة والهوى فما اشقى هذا الوطن واتعسه حظاً !

كل شيء فيه يدعو الاخوين الى التفاهم من مرافق وعادات وتقاليد ولغة والاخوان عاملان على تقويض بنيانه احدهما يريد ان يكون سيداً والثاني لم يعد يقر له بالثابت من حقه والبيت بينهما ينهدم . مرت بهما عبر الدهر وتصاريفه ولم يعتبرا حتى اناخ عليهما بكلكله فافاقا وافتكرا بتجديد البناء قبل ان تعفو آثاره والبناية لا تقوم عَلَى اسس متينة الا اذا تساوى الاخوان بالعمل حقوقاً وواجبات . فالمساواة هي اذاً الضالة التي ينشدها الوطن التاعس واضطراب حبلها فيما مضى كان مدعاة للتمزيق والتفريق وليس في الاديان ما ينافي احكامها بل جميع الاديان تعلّم التساهل والرفق ولا تعطي لمؤمن على مشرك اثرة ورجحاناً

كلنا ندعي حب البلد و كلنا نتمنى ان نراه سائراً الى المحل الذي يؤهله اليه ذكاؤه المتدفق ومكارم ذويه ولكن لو امطرته السماء ذهباً لما استقرّ له مقام ولما صفت له حيّاً ومدام ان بقي الاخوان متخاذلين

انفع علاج لهذا الداء ان يقال للاخوين حسبكما طيشاً وغروراً فلم ينلنا منهما الا الذل والهوان وخير طريق الى المساواة ان تتقوم التربية وتتوحد طريقة العلم فاذا جلس البنون في المدرسة الواحدة على مقاعد واحدة يتلقون الدرس الواحد في الاخلاق تنمو في صدورهم العاطفة الوطنية و يعتبرون انفسهم اخواناً على سرر متقابلين



الروح العسكرية الالمانية

(الجامعة السورية ، الاربعاء في ٩ اذار سنة ١٩٢١)

البانجرمانيسيم كالبانسلافيسيم كلمة يراد بها الميل لايجاد الوطن الالماني او الرومي الاكبر والاوسع حداً وفناء والاعظم سؤدداً ومجداً ، الضام تحت جناحيه كل جرماني اوصقلبي . ولكنها لم تكن خطرة ومخيفة عند الروس مثلها عند الالمان لتأخر اولئك علماً ورقياً وقيام اسباب داخلية وحواجز خارجية حملتهم ان يخففوا من غلوائهم ويلطفوا من كبريائهم ويعيشوا مع الناس مسالمين . اما الالمان فلم يرهقوا ولم ينلهم حيف منذ نزلوا في وسط اوربا بين الرين والدانوب

لم تطب لهم الاقامة حيث وقعوا بل شاقهم تراث الرومانيين وارض الفرنسيس وتمنوا لو اصابوا منها مغنماً يقيمون فيه وينسلون منه الى بحر الروم . منذ ذاك تولد فيهم ميل التوسع والامتداد ، ومنذ ذاك كانوا خطراً على جيرانهم وبلية

وكان ذلك الميل يتلون بتلون الايام فطوراً كان يتقمص ثوب الفتح ويتحرش بالجار وطوراً كان يرتدي رداء القناعة والاكتفاء بلم الشعث ، ومرة تنازل مونيخ فينّا ، واخرى تثير فينّا على الفرنسيس حرباً عواناً الى ان ظهر في الامة البروسيانية فردريك غليوم والد فردريك الكبير

كانت بروسيا يوم القيت مقاليدها اليه امارة المانية صغيرة لا حول لها ولا طول فسلمها الى ابنه الفاتح مملكة ترعى حرمتها و يسمع صوتها في بطرسبرج ولوندره و باريس ولم يثر حرباً ولم يضرم نار خصام

والعهد بذلك الامير انه كان بخيلاً على نفسه وذويه يعدّ و يزن على الطاهي طعام المساء الباقي ولكنه كان علَى الجيش جواداً سخيّاً

انقطع الرجل كل حياته الى بثّ حب الجندية في نفوس أمته فاستقدم اليه كل جبار عنيد من بني قومه ومن الممالك المجاورة واغدق عليهم العطاء وقام يتنقل بهم من قصبة الى قصبة ومن مدينة الى مدينة وهم بلباس العيد معداً الولائم ومتفنناً بطرق الاستعراض حتى سرى حب الجيش الى الامة واخذت تنمو في صدرها تلك الروح العسكرية التي صارت شبح اوربا الاسود و كابوسها المخيف

وحذا حذوه ابنه الفاتح فردريك ونحا نحوهما الملوك والوزراء الذين تعاقبوا من بعد جلوساً على العرش من حوله وصار الانتظام في السلك العسكري أشهى وأسمى ما تتوق اليه نفس كل الماني بروسياني من نبيل وفقير

وشد ازر الملوك والعمال بتعزيز الجندية الفلاسفة والمفكرون والالمان الذين ذهبوا الى ان الامم الجرمانية امتن الشعوب اخلاقاً واصلحها وانسبها للبقاء وان في الدم الالماني قوى حيوية غير موجودة في غيره من الدماء الى ما سوى ذلك من التعاليم الضارة الفاسدة التي سممت الادمغة الالمانية وألقت فيها الهوس واركبتها متن الغرور والطيش ودفعت بها الى طلب الوحدة بكل لسان

وتمت للالمان امنيتهم سنة السبعين حيث اجتمع الشمل والتأمت العشيرة كلها والاهل وحلق النسر الالماني في الجو يردد: المانيا المانيا فوق الجميع! ويعطي اوربا من حالق كلمة المرور

واصابوا في ايام الامبراطور الخليع نجاحاً لم تعرفه امة من قبل فبلغ بهم الصلف والنزق حداً اعمى البصائر والابصار وضلل العقول والافكار فاعتقدوا جميعاً انهم من طينة اسمى ومن عند ربهم مرسلون ومبعوثون لتطهير الانسانية من الادران العالقة بها والامراض الاجتماعية النازلة فيها واجراء عملية الفصد ليخرج الدم الفاسد ويحل محله الدم الالماني المملوء حياة ونشاطاً ولتمدين الامم وتهذيبها على طريقتهم المثلى . ولو بالبارود الجاف والسيف المسنون . ولكن شاء ربك ان لا يدرك الباغي وطراً ولا ينال ارباً فقيض الله لغليوم رجلين . خاله ادوار وداهية افرنسي (دلكاسه) طوقاه بسلسلة من المحالفات رمت به اليوم على شواطئ هولندا شريداً طريداً لا حميم له ولا شفيع . بعد ان كادت تدق عنقه تحت المقصلة لولا أواصر قربى وصلات ارحام

الا ان تلك الروح العسكرية الخبيثة التي اضرمت نار هذه الحرب الضروس لم تمت ولم تنكسر شكيمتها بعد بل هي لم تزل حية في صدور القوم تتحين الفرص للظهور . ولقد استشعر الحلفاء ذلك وأيقنوا ان العالم لن يهنأ له بال ولن يصفو له عيش ولن تستتب به راحة وسلام ان لم تنتزع تلك الروح من الصدور وهم على خلاف بأمر الطريق الموصلة الى الغاية فمنهم من يرى المسايرة والنصح والارشاد والتعليم ومنهم من يذهب الى تحريك الفيالق وانزال العقاب الصارم الاخير وللمذهبين في كل بلد من بلاد الحلفاء

اعوان واشياع وانصار واتباع و لكن أهل المذهب الاول راجحون وحجتهم غالبة فالنفوس تجفل والفرائص ترتعد لمجرد ذكر التعبئة والتحريك والجراح لم تضمد بعد والناس تنام على الطوى

ولفرنسا في المذهبين القول الفصل



طرفا الحبل متماسان

(الاحوال ، الخميس في ١٠ اذار سنة ١٩٢١)

وحدّا الخط متلامسان ، والمتباعدان بيئة وربوعاً وتربية ورقياً متقاربان ، وربّ الخورنق والسدير النازل على الريش الناعم في سريره والهائم على وجهه في القفار يأكل الجراد ويفترش الارض والحصير متشابهان خلقاً واخلاقاً وعادات وتقاليد تشابهاً يقف عنده العقل البشري حائراً منذهلاً

لكل منهما مسلك وطريق وتصوّر وتخيل لكن المسالك ولو تعددت والمذاهب ولو تشعبت لا تنفي ان بني الانسان متحدرون من صلب واحد متربون في حجر واحد وانهم ورثوا عن الابوين ميولاً واحدة ونزعات تتناقلها الناس بحكم تلك القوة الغريبة التي تقذفها الارحام في صدور الرجال المعبر عنها لغةً بالميل الموروث

فالحضري في المنزل الفخم تحيط به الحدائق والمروج والبدوي الضارب اوتاد البيت الشعري في الفلوات البعيدة يستعملان الحواجز الخشبية المدعوة (بارافان) الاول بضعها عَلَى باب الغرف لتمنع النظر ان ينفذ الى الداخل او في القاعة ليقسمها قسمين والثاني يركزها في البيت الواحد ليفصله شقين وليحجب العين ان تقع على العين فمن كان السارق ومن كان المقلّد ؟

وربة الخدر في القصر الزاهر اذا خرجت للنزهة وريش القبعة يناطح السحاب تأبطت المسدس المتفجر وخدنها والوزير يفعلان ذلك والقروي

الذي يغزل الشعر ليحيك منه ثوباً متى ترك البيت لامر تمنطق بالسكين والخنجر

وكلهم يلبسون السلاح دفاعاً واستدراكاً والنتيجة واحدة في الحالين

والنساء على ضفاف السين وربوع التاميز وبين اكبر الامم جاهاً واوسعها فناء مجدّات في السير مكبات على العمل يقاسمن الرجال الاشغال بكل فرع من فروع الادارة والنشاط ويقدمن للمنازل قسطها عليهن من المادة التي تستر العيال وتعول الاطفال والقرويات في المزارع والقرى جاريات مطيعات قائمات باعمال الحراثة والحصاد والاحتطاب يفين البيوت حقها بفائدة ورباء

والمدفع يدوي عند المتمدنين والبارود يسمع عند المتأخرين في المآتم والاعراس وفي كل مظهر من مظاهر الحياة

وللاولين ندوة منتخبة للاشراف تراقب العمال وتناقشهم الحساب وللعرب الرحل والفلاحين هيئة مختارة تجتمع للمذاكرة والتقرير والتنفيذ حكماً كلما طرأ على القبيلة طارىء او زاغ الشيخ عن الطريق

وامور غير هذه كثيرة كلها تدل دلالة بينة ان بين الجالسين على القمة وعند قدمي السلم الاجتماعي روابط واواصر لا تدرس ولا تعفو ولو تعاقبت عليها الاجيال والسنون

وليس بين العلات التي وصفناها علة يمجها الذوق وتأباها الطباع مثل عادة هجر الامرأة المنزل وقيامها بالعمل الشاق في الخارج . ان للطبيعة شرائع واحكاماً هي غاية الابداع في الصفة والخلق فحذار ان تمس ولقد

خصت هاتيك الشرائع الرجل بالعمل الخارجي والمرأة بتدبير المنزل وتربية البنين والعملان متوازنان ولم ترتإ ان تصير المرأة طبيباً او محامياً او عاملاً في المصانع لان المنزل مهجوراً والبنين مهملين هو البيت قوضت اركانه وتداعى بنيانه ولهي الصلات الزوجية تتوتر والروابط العائلية تتفكك والعرى القومية تنحلّ و يعتريها الذبول والنحول



الشعب في الانتخابات المقبلة

(الجامعة السورية، في ١٦ اذار سنة ١٩٢١)

لقد لفظ القضاء حكمه، فلغد الاحصاء وبعد غد الانتخابات على ما يقولون

بشرى ترى بها البلاد تحقيق الاماني التي طالما نشدتها فهي تتوق لمعرفة عدد البنين وهي شيقة لترى نوابهم الاكفاء في الجمعية الوطنية الدستورية عاملين ولكنني من الذين يعتقدون ان ستمر بين الاحصاء والانتخابات وان تضامنا وتلازما شهور طويلة واللجنة واقفة مكانها تعمل ما يفرضه الواجب ولو قابلوا تمنياتها بالرد واقتراحاتها بالصد في بعض الظروف

لا ابني اعتقادي على الحدس والتخمين بل على الارقام سيدة الاحكام التي لا تقدم عليها بينة ولا تقبل الجدال

فالاحصاء لا يتم اذا قدر ان المهلة المحدودة كافية الا واللجنة داخلة في عطلتها الصيفية ولا تستلمه الحكومة الرئيسية الا وحرارة القيظ قد صيرت بيروت سكناً ثقيلاً ولا يمكن ان يصار الى الانتخابات قبل ان تضع الحكومة واللجنة نظاماً خاصاً تحدد به الطريقة الانتخابية هل تكون تصويتاً عاماً يشترك به كل مالك حق الانتخاب ام انتخاب بالدرجتين. فان كان الامر الاول فمن هم المنتخبون وان كان الامر الثاني فمن هم للدرجة الاولى المنتخبون وكيف تقسم المناطق الانتخابية ومن هم مالكو حق الانتخاب واي عدد

يحق له ان يمثل ومن يتولى العمل وغير ذلك من الامور الهامة التي لا يمكن الاستغناء عنها والتي لا بدّ من انزالهـا في قالب مسبوك يسمونه نظاماً

ومثل هذا النظام يفتقر لدرس عميق ومباحث دقيقـة فلا يمكن ولا يجوز ان ينتهي بين يوم وليل او عشية وضحاها

فلا اثم ولا حرج ايها الاخوان اذا شاءت الاقدار ان تفسح لنـا الاجل ردحاً من الزمن بعد لا سيما والعمل المنتظر هو من اهم الاعمال التي يدور عليها البحث فليمهلنا وليعذرنا الطلاب الضامنون لنفوسهم الفوز

لقد جرنا الى هذا الحديث الطويل ما نسمعه من الانتقاد المر كل يوم كأننا دخلاء في البلاد . لا سميع لنا فيها ولا نصير . او كأن الحياة موقوفة على العضوية وتالله لو عرفت ان اكثرية من بني قومي لا تريـدني لودعت اللجنة وجعلت بيـني وبينها مراحل ومراحل

ولكن هب كان لهم ما يريدون ودعيت الامة الى الانتخابات فـي الاسبوع القادم فلا اظن ان البلاد تنال بغيتها منها او تتمكن من اظهار رغائبها كلها فيها وهي على غير استعداد ولو كانت النيات منصرفة في غـير مجراها الحسن لامروا بها اليوم والقوا بتبعتها في عنق المتسرعين

فالشعب يخلو عادة بنفسه قبيل الانتخابات يدرس ويتأمل فتبـين له الاحزاب العلل وطرق مدواتها ويقف امامه المرشحون متكلمين بصراحـة ووضوح يستطلعونه رأيه وهو حينذاك يبديه عن علم ووقوف ونحن لم نقرأ بعد مقالاً في نقطة من النقاط الاساسية التي يجب ان يفتكر بها الناس فـي ايام الانتخاب . ولم نسمع محاضرة القيت في موضوع انتخابي . بل هنالك

نغمة واحدة تردد : اللجنة ! اللجنة ! كأنها سبب الشقاء · ومصدر المحنة والكربة والبؤس

ولم نر الا حزباً او حزبين طلبا استقلال لبنان المنفصل وحرية الاديان وحزباً او حزبين يطلبان الوحدة مع استقلال للبنان ذاتي وحرية الاديان فاذاً نحن في غير مسألة الاتصال والانفصال كنا من حزب واحد

اما التربية · واما الادارة الوطنية · واما الاقتصاد والنفقات وانقاص جيش الموظفين اللجب · واما توحيد المكوس والرسوم وسائر الاموال الاميرية في كل انحاء البلاد فلمَ لم يلمّ بها قلم · ولم ينم عنها لسان · ولم يتعرض لها باحث !

نحن في بلد امتنع علينا فيه التفاهم وعلقت الريبة في النفوس فكيف تريدان تجعله وطناً مستقلاً يخابر الشعوب مخابرة الند للند ولا تفتكر بالتربية التي تزيل الريبة من صدر النشء الحديد لتحل محلها الثقة والتضامن ؟؟ · · ·

والادارة الوطنية هي عندنا بيت القصيد نتهامس بها في الليل · ولا شيء يمنعنا عن طرق بابها في النهار · ولا ذنب ولا جرم علينا ولا عار لو قلنا البلاد بلادنا وعلى اكتافنا نقوم فلنا ادارتها ولكم الاشراف · وبيننا وبينكم عرى الحب والاخاء تنمو وتتقوى · ولكن هل نحن على ثقة من كفاءتنا فيها · واذا خانتنا الكفاءة ولم نظهر على علو الواجبات فهلا نخشى ان نحرمها الى اجل طويل · ام الدخول بها تدريجاً والتمرن على مصادرها ومواردها اضمن واولى ؟

دعوا اللجنة فهي لن تجهل واجباً . ولن تحدث في الحقوق الوطنية ثلماً باذن الله . ومن يقوى ان يفعل في ظروفها اكثر واعطى الضمانة اخلينا له المكان

وليطلع الشعب على الامور التي يصح ان تكون قاعدة للانتخابات المقبلة حتى اذا قال قوله بها كان القول مستنداً للنواب في مباحثهم العتيدة ودعامة لهم يوم يجلسون على المقاعد الوثيرة !



فهرس الكتاب

صفحة

٣ بيان من الاستاذ جوزف ابو خاطر
٧ المرحوم ابرهيم بك ابو خاطر للاستاذ عيسى المعلوف
١٢ مأتم الفقيد
١٧ المراثي

المقدمتان

٣٩ مقدمة اولى لخليل بك مطران
٤٣ مقدمة ثانية للاستاذ شبل دموس

خطب متفرقة

١ كلمة في البطريرك الجريجيري
٤ رثاء ابيه
٦ المعارض
١٤ العناصر العثمانية
٢١ كلمة في يوسف فرنكو باشا
٢٤ كلمة في اوهانس باشا
٣٦ خطاب امام الجنرال غورو يوم اعلان لبنان الكبير

صفحة

ابحاث في الاجتماع والسياسة

٣٠ العنصر العربي بين العثمانيين
٣٣ المبعوثان
٣٧ لا احرار في لبنان ولا محافظين
٤١ الخال وابن الاخت (المقالة الاولى)
٤٦ الخال وابن الاخت (المقالة الثانية)
٥٠ المسألة المصرية والحزب الوطني
٥٣ خطرات افكار او عبرة وذكرى
٥٨ المسألة اللبنانية
٦٤ واجعلوا الامر بينكم شورى
٦٥ بيان العدد الاول من جريدة «الخواطر»
٦٨ اسباب المخالفات
٧٣ التاريخ يعيد نفسه
٧٨ نحن والدول
٨٣ اسباب المخالفات — عود على بدء
٨٨ العيد الوطني
٩٣ الانتخابات
٩٦ الحالة السياسية
١٠٠ الامهات
١٠٢ لا تعجلوا في الحكم
١٠٧ الخطر العربي

صفحة

١١٥ الحرب

١١١ صفحة من التاريخ

١١٧ انكلترا والمانيا

١٢٢ سبحان الله

١٢٤ الشهر المنصرم

١٢٩ لماذا تجتنب المانيا الحرب اليوم

١٣٢ الحمد لله

١٣٦ الصحافي في لبنان

١٤١ الشهر المنصرم

١٤٦ الوطن والعرض

١٥٠ الناصري

١٥٢ الهواء الاصفر

١٥٥ فرنسا واسبانيا

١٦٠ الشهر المنصرم

١٦٣ الخيم الرحّل

١٦٥ الحالة في البلقان

١٦٨ محكمة الشرف

١٧١ لبنان

١٧٤ المساواة تؤخذ ولا تعطى

١٧٨ رجلان قد تخاصما

١٨١ سابا باشا

١٨٥ التوازن الدولي

صفحة

١٨٩ قيصر روسيا
١٩٣ حرب البلقان
١٩٥ المطامع البشرية
١٩٩ فرنسا وانكلترا في سوريا
٢٠٢ النمسا وامبراطورها
٢٠٥ المانيا وانكلترا
٢٠٨ موءتمر لندره
٢١١ بين الامس واليوم
٢١٥ مواطن الداء والدواء
٢١٩ رومانيا و بلغاريا
٢٢٢ عبد الحميد
٢٢٥ ما وراء هذا المنعطف
٢٢٧ بيـــان
٢٣١ الوطن
٢٣٥ برقع يتمزق
٢٣٨ بيـــان
٢٤٠ هل اذنت الساعة
٢٤٤ الجمعية الوطنية الدستورية
٢٤٧ سياسة التصريح
٢٤٩ كلنا ملومون
٢٥٢ خطرات افكار حول الجمعية الوطنية
٢٥٦ معاهدة فرسايل

صفحة	
٢٥٩	حديث مجلس
٢٦٢	المشاعات
٢٦٦	يا اخي المسلم و يا اخي المسيحي
٢٦٩	الروح العسكرية الالمانية
٢٧٣	طرفا الحبل متماسان
٢٧٦	الشعب في الانتخابات المقبلة



اصلاح خطأ

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
١٣	٨	متعلماً هل	مستعلماً فهل
١٨	١٩	مسيحي	مسيحيي
٣٩	١١	اذ	ان
٤٥	٢٠	الهوى	الهدى
٦٠	١٤	والتضامن	التضامن
٦١	٢٠	آخراً	آخر
٦٥	١٣	منها	منا
٩٧	١١	مشحوذا	مستحوذاً
١٢٧	١٧	رئيس الحكومة	رئيس حكومة
١٦٧	٢٠	مما	معها
٢١٠	٤	قد وجدوا	فقد وجدوا
٢٢٨	١٤	ثمة	ثمت
٢٥٦	٧	على	الى
٢٧٧	١٧	مدواتها	مداواتها
٢٧٨	١٢	الحديد	الجديد


New York University
31142017274393